

- من مفاتيح الرزق - التوكل على الله -

(أحبتي في الله)

التوكل على الله تعالى

تعريف التوكل في اللغة والاصطلاح:

التوكل من مادة (وكل) يقال: وكل بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم له. ووكل إليه الأمر وكُلاً ووكلوا: سلمه وتركه. ورجل وكلة إذا كان يكل أمره إلى الناس. ورجل وكل ووكَّله وتُكلَّه أي: عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه. والوكيل الذي يقوم بأمر موكله. وفسر بعضهم الوكيل بالكفيل كالراغب الأصفهاني. والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التكلان. قال أبو السعادات: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمدت عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. أ. هـ.

وفي الاصطلاح (أي الشرع) اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل على الله تبعاً لتفسيره تارة بأسبابه ودواعيه وتارة بدرجاته وتارة بلازمه وتارة بثمارته وغير ذلك من متعلقاته. وسبب هذا الاختلاف أن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها وهي صعبة أن تحد بحد أو تحصر بلفظ.

قال ابن عباس: التوكل هو الثقة بالله. وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك. قال الحسن: إن من توكل العبد أن يكون الله هو ثقته - الإمام أحمد: هو قطع الاستشراف بالإيأس من الخلق، وقال: وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به - عبدالله بن داود الخريبي: أرى التوكل حسن الظن بالله - شقيق ابن إبراهيم: التوكل طمأنينة القلب بموعد الله عز وجل - الحسن: الرضا عن الله عز وجل - علي بن أحمد البوشنجي: التبرئة من حولك وقوتك وحول مثلك وقوة مثلك - ابن الجوزي عن بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقةً بحسن تدبيره - ابن رجب الحنبلي: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا

والآخرة كلها - ابن حجر: وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب - عبدالله ابن محمد بن عبد الوهاب: هو إسناد العبد أمره إلى الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية. - وقيل: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرد بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فيوجب له اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وطمأنينةً به وثقةً به ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه. - عبد القادر الجيلاني: التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب. - عبد القادر الجيلاني: تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير فيقطع العبد ألاّ تبديل للقسمة فما قُسم له لا يفوته وما لم يُقدّر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه -

الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات. - وقيل: علم القلب بكفاية الرب للعبد -

وقيل: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار -

سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد -

وقيل: هو الرضا بالمقدور - التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق -

وقيل: التوكل نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك -

نو النون: خلع الأرباب وقطع الأسباب (يريد قطعها من تعلق القلب بها وليس منع مباشرة الجوارح للأسباب) -

أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب -

أبو تراب النخشي: هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطي شكر وإن مُنع صبر - أبو يعقوب النهرجوري: التوكل على الله بكمال الحقيقة ما وقع لإبراهيم

الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا

-

سهل: التوكل قلب عاش مع الله بلا علاقة - وقيل: التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال -

وقيل: هو ترك كل سبب يوصلك إلى مسبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك "فيه غلط".

وقيل: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية - وقيل: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه -

وقيل: هو التفويض إليه في كل حال - ابن عطاء: التوكل ألا تظهر في انزعاج إلى الأسباب مع شدة فافتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها -

وقيل: التوكل هو الأخذ بالأسباب والكفر بها - ابن جزي: التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضار ورفعها بعد وقوعها -

التوكل تمام اليقين بالله - وقيل: هو سكون القلب إلى كفاية الله تعالى، وتفويض الأمور إلى الله تعالى لكفايته، والاعتماد عليه تعالى لعلمه وقدرته -

وقيل: التوكل يجمع بين العمل والأمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. -

أبو حيان: والتوكل هو تفويض الأمر إلى من يملك الأمر ويقدر عليه

-

ابن عاشور: التوكل إسناد المرء مهمته وشأنه إلى من يتولى عمله - ابن عاشور: انفعال قلبي عقلي يتوجه به الفاعل إلى الله راجياً الإعانة ومستعِذاً من الخيبة والعوائق - الفخر الرازي: التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق -

صديق حسن خان: التوكل هو اعتماد العبد على الله في كل الأمور

والأسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها -

الصاوي: التوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها -

وقيل: هو اعتماد القلب على الله في كل الأمور مع إتيان الأسباب المشروعة للبلوغ إلى المطلوب مما هو خير ومعروف وأمر إدراك المطلوب على الله تعالى مع الرضا بما يتم من ربح أو خالفه ونجاح وغيره -

القرطبي: تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى - وقيل: عبارة عن الاعتصام بالله في جميع الأمور ومحلله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق للعبد أن التقدير من قبل الله فإن تعسر شيء فبتقديره - صديق حسن خان: هو تفويض الأمور إلى الله - ذو النون المصري: التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة -

أبو عبدالله القرشي: التعلق بالله في كل حال -

الغزالي: الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب.

أبو طالب المكي: التوكل نظام التوحيد وجماع الأمر - وقيل: التوكل ترك الإيواء إلا إلى الله -

ابن مسروق: التوكل الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام - أبو سليمان الداراني: إذا بلغ (يعني العبد) غاية من الزهد أخرجه ذلك إلى التوكل.

درجات التوكل (من كلام ابن القيم في مدارج السالكين):

١ - الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته واليقين بكفاية وكيله وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

٢ - الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها.

٣ - الثالثة: رسوخ القلب في مقام التوحيد.

٤ - الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها، وطمأنينته بالله والثقة بتدبيره.

٥ - الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل.

٦ - السادسة: استسلام القلب لله وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته.

٧ - السابعة: التفويض: هو إلقاء العبد أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراً. والتفويض هو روح التوكل ولبه وحقيقته.

٨ - الثامنة: الرضا

ويمكن اعتبار درجاتٍ للتوكل كما يلي:

١ - الأولى: أن يكون المتوكل حاله في حق الله سبحانه والثقة بكفالاته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل (هذا توكل العامة).

٢ - الثانية: حال المتوكل مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفرع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها والفرق بين هذه الدرجة والأولى أن هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته، بل إلى المتوكل عليه فقط وهي أقوى من الأولى.

٣ - الثالثة: أعلاها، وتكون باستسلام القلب لله وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته، ويكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه (وهو توكل الخاصة).

أقسام التوكل (مجاله ومتعلقاته) (مراتبه):

١ - توكل العبد على الله في استقامة نفسه وإصلاحها دون النظر إلى غيره.

٢ - توكل العبد على الله في استقامة نفسه وكذلك في إقامة دين الله

في الأرض ونصره وإزالة الضلال عن عبيده وهدايتهم والسعي في مصالحهم ودفع فساد المفسدين ورفعهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ - توكلّ على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية كالرزق والزواج والذرية والعافية والانتصار على العدو الظالم أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

وبين القسم الثاني والثالث من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الثالث تمام الكفاية ومتى توكل عليه في النوع الثالث دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه.

٤ - توكلّ على الله في جلب محرم من إثم أو فاحشة أو دفع مأمور به.

أهمية التوكل ومنزلته من العقيدة والإيمان والسلوك:

التوكل على الله خلق عظيم من أخلاق الإسلام وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين وهو نظام التوحيد وجماع الأمر كما أنه نصف الدين والإنابة نصفه الثاني ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها وهو مفتاح كل خير لأنه أعلى مقامات التوحيد وعبادة من أفضل العبادات. وهو فريضة يجب إخلاصه لله تعالى وعقيدة إسلامية لقوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر: أي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره. إن التوكل شرط من شروط الإيمان ولازم منلوازمه ومقتضياته؛ فكلما قوي إيمان العبد كان توكله أكبر وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل قال الله عز وجل: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

[آل عمران: ١٢٢]. وفي الآية الأخرى: {وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل. وهو من أشرف الرتب وأعلى المقامات من أعمال القلوب التي هي أصل الإيمان الذي هو أجل وأعظم ما تعبد الله تعالى به. والتوكل من أجمع

أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة. والتوكل مقترن بمراتب الدين الثلاث (الإيمان والإسلام والإحسان) وشعائره العظام. والتوكل مقام جليل القدر عظيم الأثر جعله الله سبباً لنيل محبته قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]. وجمع الله بينه وبين الهداية والحق والدعاء. التوكل أصل من أصول العبادة التي لا يتم توحيد العبد إلا به جاء الأمر به في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، وقوله عز وجل: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِدْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]، وهو من سمات المؤمنين الصادقين قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢]. وفي حديث: (أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب: الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا) رواه الطبراني وهو في إتحاف السادة. وقال علي: يا أيها الناس توكّلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي مما سواه.

فائدة: عندما نتأمل مقالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نجد أنه يربط التوكل بالثقة واليقين بالله، وإلا فلا توكل ما لم يكن معه اليقين. واليقين هو أن العبد يعمل لله خالصاً ولا يطلب به عرض الدنيا ولا رضا المخلوقين وأن يكون في نفس الوقت آمناً بوعده الله وهو الرزق. وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين فهو أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة، والتوكل أن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا. وقال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه أناس كثير، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل وشراؤها التوكل على الله، لعلك تبحر. وعن سعيد بن المسيب قال: التقى عبدالله بن سلام وسلمان فقال أحدهما لصاحبه: إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك وإن مت لقيتك فأخبرتك، فقال أحدهما للآخر أو تلقى الأموات الأحياء قال: نعم أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت، قال: فمات فلان فلقيه في المنام، فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط. أخرجه ابن منده وأورده ابن رجب في أحوال القبور والسيوطي في شرح الصدور. ومما يدل على أهميته أن الله أمر به نبيه

ﷺ والأنبياء قبله، وجعله شعاراً لعباده المؤمنين والثناء عليهم. ومن فضل التوكل في القرآن أن الله أمر فيه رسوله بالتوكل في تسع آيات وكذلك أمر المؤمنين عامة بالتوكل وكذلك التوكل خلق الرسل جميعاً وكذلك تبين القرآن لفضل التوكل. وكذلك ورد فضل التوكل في السنة. عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون» رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وعن الأوزاعي قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك» قال شعيب الأرنؤوط: ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي مرسلاً والحكيم الترمذي عن أبي هريرة. وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته واستهداك فهديته واستغفرك فغفرته» مروي في كنز العمال ومسانيد الجامع الكبير.

وصفة التوكل من أبرز صفات المؤمنين الجليلة لأن اعتماد القلب على الأسباب الظاهرة واعتقاد أنها هي المؤثرة يخل بصحة الإيمان وسلامته بل هو في حقيقته شرك بالله تعالى. والتوكل على الله تعالى سلوك نفسي وقلبي يقتضيه الإيمان الصحيح المائل في ساحة التصور الموجه للسلوك. ومما يدل على أهمية التوكل حاجة المسلم إليه حاجة شديدة وخصوصاً في قضية الرزق أو كان صاحب دعوة وحامل رسالة وطالب إصلاح، ومما يدل على أهميته أيضاً ضرورته للعبد وعدم استغنائه عنه طرفة عين من عدة جهات:

١ - من جهة فقر العبد وعدم ملكه شيئاً لنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقين.

٢ - من جهة كون الأمر كله بيد الله تعالى.

٣ - من جهة أن تعلق العبد الزائد بما سوى الله مضرة عليه.

٤ - من جهة أن اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له

الضرر من جهته عكس ما أمَّله منه.

* * *

من أقوال السلف في بيان أهمية التوكل وارتباطه بالإيمان

ابن عباس: التوكل جماع الإيمان.

سعيد بن جبير: التوكل على الله نصف الإيمان.

قال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الإخلاص والتوكل والاستسلام للرب عز وجل -.

وقال أبو محمد سهل: ليس في المقامات أعز من التوكل.

قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

سهل بن عبدالله: من طعن في الاكتساب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

أحمد: التوكل عمل القلب.

الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب.

فضيل بن عياض: التوكل قوام العبادة والتوكل من أوجب واجبات القلب.

ابن القيم: إن التوكل يجمع أصليين: علم القلب وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. والتوكل من أقوال القلب وأفعاله التي كل منها حسنة وسنة بنفسها يحصل بها الثواب والعقاب بما يكون في القلوب، وإن لم يظهر على الجوارح. ولا يستقيم توكل العبد حتى يصلح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وكذلك لا يحصل تحقيق التوكل حتى يؤمن العبد بكمال ربوبية الله تعالى وما تتضمنه من كمال الملك والتدبير والسلطان والقدرة والتصرف والمشئنة والقيومية والإحاطة

وملك الضر والنفع، فذلك من أقوى أسباب ودواعي التوكل ولهذا نجد في كثير من الآيات ربط التوكل بالربوبية. وكذلك كل من كان بالله تعالى وصفاته أعلم كان توكله أكمل، والآيات التي بينت تعلق التوكل بأسماء الله وصفاته كثيرة. ويستحيل أن يتم توكل العبد حتى يتم له أمران لهما صلة تامة بتوحيد الألوهية وهما: حسن الظن بالله عز وجل والتفويض. والآيات التي ربطت العبادة والإنابة بالتوكل قد صورت العلاقة بين الإلهية والتوكل وهي كثيرة. فالتوكل على الله عبادة يجب إخلاصه لله فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد.

{وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، إن كنتم مؤمنين بالله ومصدقين به فلا تعتمدوا في جميع أموركم إلا عليه وحده. إن الإقرار بالربوبية والألوهية هو أول دليل على أنه وحده سبحانه المستحق أن يفرد بالتوكل: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [المالك: ٢٩]، {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود: ٥٦]، {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]. وقرن تعالى التوكل بالربوبية والألوهية معاً ومن ذلك قول الحق: {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]، وقوله: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: ٩]، وقوله: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٢٢]؛ فالألوهية مقتضية للتبطل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق بالمرءة عما سواه من البرية. والتوكل من أكثر مقامات الإيمان صلة بأسماء الله وصفاته ولذلك عرف بعضهم التوكل بأنه: المعرفة بالله وصفاته. ومن الآيات: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨]، {وَأِنْ جَنَّحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال: ٦١]، وربط التوكل بصفتي (العزیز) و(الحکیم) في قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَاتَّكِلْ عَلَى عَزِيزٍ حَكِيمٍ} [الأنفال: ٤٩]. كذلك الآيات التي يذكر فيها القضاء والقدر تدل بالتوكل إذ يستحيل أن يحصل توكل حتى يعلم المسلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئة الله وقدرته، وأنها تنتهي كلها إلى علمه، فلا بد من الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتحقيق التوكل مترتب على تحقيق الإيمان بالقدر قال تعالى: {وَمَنْ

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا { [الطلاق: ٣]، وقال: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ اتَّوَكَّلْ مُمْتِنُونَ} { [التوبة: ٥١]، وقال يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } { [يوسف: ٦٧]، إن القضاء والقدر والتوكل من أساسيات الدين، والقضاء والقدر سابق للتوكل، والقدر أشمل وأعم من التوكل، والقضاء والقدر جالبان للراحة والطمأنينة والسعادة وسلوك الطريق المستقيم، والتوكل داخل في الإرادة الشرعية والقضاء والقدر داخل في الإرادة الكونية، والتوكل واتخاذ الأسباب يدفعان القضاء والقدر. واقترن لفظ العبادة بالتوكل في مواضع منها: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} { [الفاتحة: ٥]، و{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} { [هود: ١٢٣]، والتوكل داخل في معنى العبادة. واقترن التوكل بالتقوى في مواضع منها: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} { [المائدة: ١١]، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} { [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} { [الطلاق: ٢ - ٣]، فسر اقتران التوكل بالتقوى هو سر اقتران الاستعانة بالعبادة. وكذلك فإن التوكل سبب ولكنه ليس كافياً في حصول المآل، بل يحتاج معه إلى التقوى. وكلاً منهما يعتمد امتثال المأمور واجتناب المحذور. واقترن التوكل بالإجابة في مواضع {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} { [هود: ٨٨]، {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} { [الرعد: ٣٠]،

{ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} { [الشورى: ١٠]،

{رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنُبِئُكَ الْمَصِيرُ} { [الممتحنة: ٤]،

قال ابن عاشور: والإجابة الرجوع والمراد بها هنا الكناية عن ترك الاعتماد على الغير. وكلاهما يحتاج للآخر ويجب أن يفرد العبد ربه بكليهما. واقترن الصبر بالتوكل على الله في مواضع منها: {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} { [النحل: ٤٢]، فالصبر مبدأ السلوك إلى الله تعالى والتوكل هو آخر الطريق ومنتهاه. قال تعالى: {لِصَّابِرِينَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} { [إبراهيم: ١٢]، فالصبر والتوكل من

أقوى الأسلحة في مواجهة الشدائد والصعاب في طريق الدعوة وتحمل أعبائها، وقيل الصبر خاص بوقت المصيبة والتوكل في أمر مستقبل، والصبر في حاجة للتوكل لأنه (أي الصبر) من العبادات، وكلاهما من أمهات الصفات التي يجب على المؤمن الاتصاف بها، وقيل الصبر في أمر مملوك يحتاج للتحمل والتوكل خاص بأمر غيبي كوني يحتاج للاعتماد على الله والثقة بتدبيره، والتوكل على الله هو نتيجة للصبر. والتوكل على الله في إقامة الدين ودعوة الناس إليه يحتاج إلى همة عالية، فهو من أعظم مقامات التوكل وأرفعها كما هي همم الرسل والأنبياء وبعدهم الصحابة رضي الله عنهم. قال الله تعالى: {إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]. قال ابن عباس: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} [آل عمران: ١٧٣].

عوائق التوكل:

- ١ - الجهل بمقام الله من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.
- ٢ - الغرور والإعجاب بالنفس.
- ٣ - الركون للخلق والاعتماد عليهم في قضاء الحاجات.
- ٤ - حب الدنيا والاعتراض بها مما يحول بين العبد والتوكل لأنه عبادة لاتصح مع جعل العبد نفسه عبداً للدنيا.

قواعد التوكل.

- من أهمها التفات القلب إلى الأسباب وتعلقه بغير الله تعالى. وتلك الأسباب على ثلاث درجات:
- ١ - التي ارتبطت بالمسببات بها بتقدير الله ومشينته ارتباطاً مطرداً لا يتخلف كالطعام فتركها ضرب من الجنون.
 - ٢ - ليست متيقنة بل هي ظنية كالرقى والاكْتِواء؛ فالتعلق بها مضاعف للتوكل وكماله. وقيل إن الرقية والكي يقدحان في التوكل

فكر هو هما دون غيرهما وقيل أنهما لا يقدحان في كمال التوكل ولا ينافيانه وقول ثالث بأنه يفرق بين فعل الرقية بنفسه أو بغيره وبين طلبها وهو الراجح إن شاء الله، ونأتي لمسألة حكم التداوي فالأصل فيها الجواز وأنه لا يقدح في التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح في نغس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة. وفيه أقوال (أي التداوي): مباح وتركه أفضل ومستحب وواجب، وقيل ما غلب على الظن نفعه مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب وما غلب على الظن نفعه ولا هلاك محقق بتركه فهو أفضل وما تساوى فيه الأمران فتركه أفضل، وقد ادعى قوم أن ترك التداوي والعلاج من التوكل، وعدوا فعل التداوي قادحاً في التوكل ورد أهل العلم زعمهم هذا.

- الموهومة: ليست معتبرة شرعاً ولا قدراً كالتطير (وهو التشاؤم بكل مرئي ومسموع ومعلوم) وتعليق التمام والحروز فالالتفات لها خوفاً وطمعاً بالاستدلال على أمر غيبي، مناف لتحقيق التوكل وكمال التوحيد. وهناك أحاديث يثبت ظاهرها التشاؤم بأشياء معينة كالمرأة والدار والدابة وقد جمع العلماء بينها وبين أحاديث النهي عن الطيرة. وبالنسبة للنفاول هل هو من الطيرة أم لا؟ على قولين. والدرجة الثانية والثالثة جمعها حديث ابن عباس في حديث عرض الأمم على النبي ﷺ وفي آخره قوله (سبقك بها عكاشة).

البخاري رقم (٣٤١٠) في الأنبياء: باب وفاة موسى، ورقم (٥٧٠٥) في الطب: باب من اكتوى أو كوى، ورقم (٥٧٥٢) باب من لم يرق، ورقم (٦٤٧٢) في الرقاق: باب (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، ورقم (٦٥٤١) باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم رقم (٢٢٠) في الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، والترمذي رقم (٢٤٤٨) في صفة القيامة: باب رقم (١٧) وأحمد في "المسند" ١/ ٢٧١، والدارمي رقم (٢٨١٠) في الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي بغير حساب. انظر ما قال الحافظ في "الفتح" ٤٠٩ - ٠٦/١١.

«أمور تنافي التوكل على الله»

ومن الأشياء التي تنافي أصل التوكل :

١ - التعلق بسبب لا تأثير له كالأموال والغائبين والطواغيت فيما لا يقدر عليه إلا الله

٢ - اعتقاد أن السبب سواء المشروع أو المحرم فاعل بنفسه دون الله فذلك شرك أكبر.

ومما ينافي كمال التوكل الواجب:

١ - التوكل في الأسباب الظاهرة العادية على أي شخص قادر حي فيما يقدر عليه.

٢ - الاعتماد على أمر ليس سبباً شرعاً مع اعتقاد أن الضرر والنفع بيد الله وحده كالتطير والتمائم والتولة. وهناك الوكالة الجائزة وهي: توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه. وهناك أمور عدها العلماء منافية لكمال التوكل المستحب كالكي والاسترقاء. فهناك علاقة بين إثبات النفع والضرر لله تعالى من جهة، والتوكل عليه والاستعانة من جهة أخرى، فلا يتصور توكل العبد إلا بمن يعتقد فيه الضر والنفع قال تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } [الزمر: ٣٨]. ومما ينافي التوكل والتوحيد تعليق النجاح بالأسباب فقط.

والتطير قاذح في التوكل، وذلك أن المتوكل على الله يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ } [التوبة: ٥١]، وأما المتطير فهو في خوف وفزع دائم الاضطراب والقلق من أمور مخلوقة لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً.

علاقة التوكل بالأسباب

مواقف الناس من الأسباب على أربعة أقسام:

١ - الالتفات إلى الأسباب بالكلية واعتماد القلب والجوارح عليها من غير نظر لمسببها: كنظرة الماديين والعقلانيين فوقعوا في الشرك لأنهم أثبتوا موجداً مع الله مستقلاً بالضر والنفع، وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع كما أن الأسباب قد تتخلف عن مسبباتها بإذن الله كما يشهد لذلك الحس.

٢ - الإعراض عن الأسباب بالكلية: كنظر غالب الصوفية للتوكل، فهم لا يرون تحقيق التوكل إلا في ترك الأسباب بالكلية فتركوا التكسب والعمل والاحتراز والاحتياط والتزود في السفر والطعام ويرون ذلك كله منافياً للتوكل، ولهم شبه ضعيفة أجاب عنها العلماء المحققون كمحمد بن الحسن الشيباني في كتابه (الاكتساب في الرزق المستطاب) والخلال في كتابه (الحث على التجارة والصناعة والعمل) والحارث المحاسبي في كتابه (المكاسب) وابن تيمية وابن الجوزي وابن القيم وابن مفلح وابن رجب. كما أن الإعراض عن الكسب والخمول بدعوى التوكل له آفات ومفاسد يصعب حصرها. وهذا الموقف أي (الإعراض عن الأسباب بالكلية) حكم عليه العلماء بأنه قدح في الشرع.

٣ - نفي تأثير الأسباب بالكلية: وصف العلماء هذا القول بأنه (نقص في العقل) وهو قول القدرية الجبرية، وهم يرون أن الله لم يخلق شيئاً سبباً ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر. وغرضهم الرد على القدرية النفاة لكنه ردوا باطلاً بباطل. وهذا الموقف فاسد باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع.

٤ - قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى: هذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو الحق الذي دل عليه الشرع والعقل وهو الوسط في كل مذهب فاثبت للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله فيها من القوى الموجبة، وهي

تحت مشيئته وقدرته فإن شاء منع اقتضاها وإن شاء جعلها مقتضية لأحكامها، فهم (أي أهل السنة والجماعة) يوجبون الأخذ بالأسباب ويعتقدون عدم منافاتها للتوكل؛ بل إن التوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار ونفي الفقر ووجود الراحة. ويرون ضرورة الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها، ويكون التوكل بالقلب على الخالق مع اتباع الأسباب في ظاهر الحال فقط. والأخذ بالأسباب ثم الاعتماد على الله عز وجل هو مذهب أهل الحق من سلف الأمة.

قال تعالى: {وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾} [يوسف: ٦٧].

وفي جانب الرزق قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾} [الملك: ١٥]. قال في مدارج السالكين (... لا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية). والسبب الذي أمر العبد به أمر إيجاب أو أمر استحباب هو عبادة الله وطاعته له ولرسوله والله فرض على العباد أن يعبدوه ويتوكلوا عليه كما قال تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، وقال: {وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾} [المزمل: ٨ - ٩].

وقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٢ - ٣] والمقصود أن الله لم يأمر بالتوكل فقط بل أمر مع التوكل بعبادته وتقواه التي تتضمن فعل ما أمر وترك ما حذر. فمن ظن أنه يرضي ربه بالتوكل بدون فعل ما أمره به كان ضاللاً كما أن من ظن أنه يقوم بما يرضي الله عليه بدون التوكل عليه كان ضاللاً، وأن من ظن أن التوكل يغني عن الأسباب المأمور بها فهو ضال ولهذا كمن ظن أنه يتوكل على ما قدر عليه من السعادة والشقاوة بدون أن يفعل ما أمره الله به، فإن كانت أسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جبة الحرب ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن

يفعل ما أمر به من الجهاد. فإن قيل كيف يطلب ما لا يعرف مكانه؟
جوابه: أن يفعل السبب المأمور به ويتكل على الله فيما يخرج عن قدرته
مثل الذي يشق الأرض ويلقي الحب ويتوكل على الله في إنزال المطر
ونبات الزرع ودفع المؤذيات. ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز
مفرط مذموم. والتوكل باعتبار تعلقه بالأسباب ينقسم إلى قسمين:

١ - توكل اضطرار

٢ - توكل اختيار.

و من الأدلة على ارتباط التوكل بالأخذ بالأسباب: من القرآن

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } [النساء: ٧١].

{ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ
اللَّهِ عَدُوَّكُمْ } [الأنفال: ٦٠].

{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ } [الجمعة: ١٠].

{ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ } [الأنفال: ٦٩].

{ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } [البقرة: ١٩٧].

وقوله تعالى: { فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ لَفُتِنُوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران: ١٥٩].

{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمِ أَذَلَّةٌ } [آل عمران: ١٢٣].

{ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ } [مريم: ٢٥].

{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ } [النساء: ٧٨].

{ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ } [الأنبياء: ٨٠].

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } [النساء: ٧١].

ومن السنة حديث (وجعل رزقي تحت ظل رمحي)

رواه أحمد وابن أبي شيبة وذكره البخاري تعليقاً والهيثمى في

المجمع

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ على ناقة له، فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال: «اعقلها وتوكل».

(رواه الترمذي وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم والبيهقي وابن حبان).

وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتعود بطاناً».

رواه أحمد وابن المبارك في الزهد والترمذي في الزهد وابن ماجه في الزهد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وغيرهم.

خاصاً: جياً، بطاناً: ممثلات البطون.

والمعنى الإجمالي للحديث: أن التوكل الصحيح هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل، والثقة بحسن النظر فيما أمر به، فلو أن المسلمين يتوكلون على الله جل ثناؤه في كل شئونهم لرزقهم كالطير تماماً ولكن بعضهم يعتمد على قوته وحذره ويحلف بالباطل وكل هذا خلاف التوكل. وعن المقدم بن معدي يكره عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري وابن ماجه وأحمد والبيهقي في الشعب.

وعن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته.... رواه البخاري ومسلم.

ولقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال أنتم المتوكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله. وفي ذلك الرد البليغ على من يتركون الأسباب تقاعساً بدعوى التوكل على الله، ولو صدقوا لأحسنوا العمل.

أما التواكل فهو: ترك الكسب والطمع في المخلوقين والاعتماد عليهم بالتخلي عن الأسباب التي وضعها الله عز وجل والانقطاع عن السعي والتقاعد عن العمل وانتظار النتائج من الخلق أو القدر أو الاتكال على الله أن يخرق له العوائد. ولأصحاب هذا المفهوم أدلة. والتواكل خسة همة

وعدم مروءة لأنه إبطال حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتب المسببات على الأسباب. ولقد حارب الإسلام التواكل وحذر منه، وهو حرام ليس من الشرع أصلاً وهو مخالف للنصوص.

* * *

من ثمار التوكل على الله

١ - تحقيق الإيمان: قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣].

٢ - طمأنينة النفس وارتياح القلب وسكونه.

٣ - كفاية الله المتوكل جميع شئونه: لقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]. قال ابن القيم: أي كافيته ومن كان الله كافيته وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا بأذى لا بد منه: كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً. وهذا أعظم جزاء أن جعل الله تعالى نفسه جزاء المتوكل عليه وكفايته، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه رزقه ونصره، ولحديث: «إذا خرج الرجل من باب بيته كان معه ملكان موكلان به فإذا قال: بسم الله قالاً: هديت فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله قالاً: وقيت فإذا قال: توكلت على الله قالاً: كفيت قال: فيلقاه قرينه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي» رواه الترمذي وابن ماجه وروى أبو داود نحوه وكذلك أحمد. وروى ابن ماجه في الزهد عن عمرو بن العاص يرفعه: «إن من قلب ابن آدم بكل وادي شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي وادي هلك ومن يتوكل على الله كفاه الله الشعب».

٤ - من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار. قال ابن عباس: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} [آل عمران: ١٧٣]. قوله: {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] أي نعم الموكول إليه كما قال تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ

النَّصِيرُ} [الحج: ٧٨]، ومخصوص نعم محذوف تقديره (هو). قال ابن القيم رحمه الله: هو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه وهو الذي يؤمن الخائف ويجير المستجير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه، أمته مما يخاف ويحذر وجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع.

عن بهيم العجلي عن رجل من أهل الكوفة قال: بينا أنا في بستان لي إذ خيل إلي شخص أسود ففرعت منه فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل فساخ في الأرض (غاص فيها) وأنا أنظر إليه وسمعت صوتاً من ورائي يقرأ هذه الآية: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، فالتفت فلم أر شيئاً.

وكتب عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام (دواب الأرض المؤذية) والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: {وَمَا لَنَا إِلَّا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ} [إبراهيم: ١٢].

٥- يورث محبة الله تعالى للعبد لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

٦- يورث قوة القلب وشجاعته وثباته وتحديه للأعداء ويورث القوة الروحية لحديث (... ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله...) رواه ابن أبي حاتم وعبدالله بن أحمد في الزهد والحاكم وابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نعيم وأبو يعلى والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس وضعفه العراقي في تخريج الإحياء وحسنه المناوي في التيسير تبعا للسيوطي.

٧- ويورث العزة قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} [الشعراء: ٢١٧]، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٤٩].

٨- {إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} [آل عمران: ١٦٠].

٩- {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١]. قال الحسن: العز والغنى يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرا أوطنا.

١٠- يورث الصبر والتحمل ولهذا اقترن الصبر بالتوكل على الله في

مواضع من القرآن منها: {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٤٢]، {إِنصِرْبُوا عَلَىٰ مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [إبراهيم: ١٢].

١١- يورث النصر والتمكين، ولهذا قرن الله تعالى بينه وبين التوكل في قوله: {إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ {آل عمران: ١٦٠}.

١٢- {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَاتُكِلْهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٤٩].
١٣- يقوي العزيمة والثبات على الأمر. قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} {آل عمران: ١٥٩}.

وقال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا} [التوبة: ٥١].

ولحديث (إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) عزاه ابن كثير لابن مردويه.

١٤- يقي من تسلط الشيطان. قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٩٩]، وفي حديث «إذا خرج الرجل من باب بيته كان معه ملكان موكلان به فإذا قال: بسم الله قال: هديت فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله قال: وقيت فإذا قال: توكلت على الله قال: كفيت قال: فيلقاه قريباه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي». رواه الترمذي وابن ماجه وروى أبو داود نحوه وكذلك أحمد

١٥ - من أسباب دفع السحر والحسد والعين. قال تعالى: {وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ} [يوسف: ٦٧].

- يورث الرزق. قال تعالى: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ} {آل عمران: ١٧٣}.
وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتعود بطناناً». رواه أحمد وابن المبارك في الزهد والترمذي في الزهد وابن ماجه في الزهد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية وغيرهم.

١٦- يطرد داء العجب والكبر

١٧- يطرد التطير والأمراض القلبية كالتشاؤم ولبس الحلقة والخيط قال ابن مسعود: " وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل " بعد أن ذكر حديث النبي ﷺ: «الطيرة شرك» رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالاً.

١٨- يورث الرضا بالقضاء. قال ابن القيم: فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله.

١٩ - سبب في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب لحديث ابن عباس في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب. متفق عليه.

٢٠- الأمل.

٢١- دخول الجنة بوجوه مضيئة على صفة القمر؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر...».

٢٢ - هم أول من يدخل الجنة لحديث «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة» رواه البخاري ومسلم.

٢٣- الثقة بالله وعدم اليأس.

٢٤ - الثبات على الحق. قال تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩].

٢٥ - صدق الجهاد والإقدام على معالي الأمور.

نماذج عملية في التوكل واتخاذ الأسباب:

ترتيبات رسول الله ﷺ للهجرة للمدينة من استئجار دليل مشرك ليدله على طريق الهجرة للمدينة وغير ذلك - موقفه في غزوة بدر الكبرى - ظاهر رسول الله ﷺ يوم أحد بين درعين - ما حدث له بذات الرقاع من رفع الأعرابي سيف النبي ﷺ عليه. رواه البخاري ومسلم - دخل رسول الله ﷺ مكة والبيضة على رأسه - كان يحمل الزاد والمزاد إذا سافر في

جهاد أو حج أو عمرة وجميع أصحابه.

إبراهيم عليه السلام في قصة حرقه بالنار - موسى عليه السلام في لحاق فرعون وقومه له عند البحر - أصحاب الكهف والرقيم في نومهم بالكهف تاركين الكفر وأهله. كان الأنبياء يفعلون أسباباً يحصل بها الرزق.

(أحبتي في الله)

إن من أعظم أسباب الرزق ومفاتيحه، التوكل على الله، الأحد الفرد الصمد، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، [رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني].

وقال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا { [الطلاق: ٣].

والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦]، مع الأخذ بالأسباب. فإن التوكل عليه سبحانه مفتاح لكل خير.

وحقيقة التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد - مع هذا الاعتماد واليقين - من مباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وتعطيل هذه الأسباب يعد قاذحًا في نفس التوكل معطلًا للحكمة والشرع^(١).

ويأتي التوكل بعد حصول التقوى كآثر من آثارها ولازم من لوازمها، ولذا قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ} [المائدة: ١١]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} ٢ {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٢ - ٣].

فهكذا جعل الله تعالى - في هاتين الآيتين - التوكل بعد التقوى الذي

(١) زاد المعاد (١٥/٤) بتصرف.

هو قيام الأسباب المأمور بها، فحينئذ إن توكل على الله فهو حسبه وكافيه. قال القرطبي: "التوكل هو: الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب، وتحرز من عدو وإعداد..." (١) أهـ. وقال الإمام القشيري: "اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب، بعدما يحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره" (٢).

وقد ذكر الله تعالى موقف الرسول ﷺ وأصحابه عندما خوفهم بعض الناس - كيذا بهم - عدوهم قريشاً ومن معهم بأنهم قد جمعوا لهم إذ قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلَ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]. فهكذا خوفهم بعض الناس من عدوهم مشركي مكة ومن معهم فما كان من المؤمنين إلا أن قالوا: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]، توكلوا على الله بعد الأخذ بالأسباب فكفاهم الله ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم من المشركين عقب أخذ فانقلبوا بنعمة السلامة، وزيادة من فضل الله مما شروا وتجروا من السوق فربحوا (٣).

وقد كان رسول الله ﷺ سيد المتوكلين على ربه، يأمر بالتوكل على الله والانتطاع إليه بعد الأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وتصديق ذلك من سنته ﷺ ما جاء في حديث عمران بن الحصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها». أخرجه الطبراني في الأوسط (٤) والصغير (٥) ومن طريقه أبو بكر الخطيب (١)، وأخرجه أيضاً البيهقي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧٢/١) باختصار شديد.

(٤) المعجم الأوسط (٢١٥/٤ - ٢١٦).

(٥) المعجم الصغير (١١٦/١).

(٢)، وابن أبي حاتم (٣)، بهذا اللفظ وقال الطبراني عقبه في الصغير: لم يروه عن هشام بن حسان إلا الفضيل بن عياض، تفرد به إبراهيم بن الأشعث الخراساني. وقال الهيثمي (٤) بعد أن عزاه للطبراني في الأوسط: فيه إبراهيم ابن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يُعرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات. قلت: ويشهد لهذا الحديث ما ذكر بعده من أحاديث كما يشهد له ظاهر القرآن، والله أعلم.

وحديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً عند كل من: أبي داود (٥)، والترمذي (٦)، وأحمد (٧)، والطبراني (٨)، والحاكم (٩) بلفظ: "من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو أجل"، وفي لفظ آخر: "من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمناً من أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله آتاه الله برزق عاجل أو بموت أجل". اللفظ الأول للترمذي، واللفظ الآخر لأحمد، والباقون بنحوه عندهما. وقال الترمذي بعده: "حديث حسن صحيح غريب". وقال الحاكم عقبه: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

... فبين في هذا الحديث أن من حصل له حاجة شديدة من فقر أو ضيق معيشة فعرضها على الناس وأظهرها بطريق الشكاية لهم، وطلب إزالة فاقته منهم لم تسد فاقته ولم تقض حاجته، وهكذا كلما سد حاجة أصابته أخرى أشد منها. لكن إذا أنزلها بالله واعتمد على مولاه فإن الله

(١) تاريخ بغداد (١٩٦/٧).

(٢) شعب الإيمان (٢٨/٢، ١٢٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٣٦٠/١٠).

(٤) مجمع الزوائد (٣٠٣/١٠ - ٣٠٤).

(٥) السنن، كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف (١٢٢/٢).

(٦) الجامع. كتاب الفتن، باب ما جاء في هم الدنيا (٦١٧/٦ - ٦١٨).

(٧) المسند (٣٨٩/١، ٤٤٢).

(٨) المعجم الكبير (١٥/١٠).

(٩) المستدرک (٤٠٨/١).

يعجل له ويسرع برزق عاجل أي يسار وغنى، أو بموت قريب له غني فيرثه^(١).

... وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: " كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» أخرجه الترمذي^(٢) وأحمد^(٣) وهذا اللفظ للترمذي، ولفظ أحمد قريب منه، وقال الترمذي بعده: حديث حسن صحيح.

كما ذكر الترمذي بعده بنفس الباب حديث أنس - رضي الله عنه -: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل» يريد ناقته. وقال الترمذي عقبه: " حديث غريب من حديث، أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه."

وعن حبة وسواء ابني خالد - رضي الله عنهما - قالوا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يعالج شيناً، فأعناه عليه، فقال: " لا تياساً من الرزق ما تهزرت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر، ليس عليه قشر، ثم يرزقه الله عز وجل " عند كل من: بن ماجه^(٤)، وابن حبان^(٥)، وأحمد^(٦)، والطبراني^(٧)، واللفظ عندهم إلا ابن حبان فهو عنده بنحوه. وقال البوصيري^(٨): " إسنادهما صحيح رجاله ثقات "، لكن قال ابن حجر

(١) انظر: تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي (٦١٨/٦ - ٦١٩) بتصرف.

(٢) الجامع، كتاب القيامة، باب منه (٢١٩/٧، ٢٢٠).

(٣) المسند (٢٩٣/١، ٣٠٧).

(٤) السنن، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (١٣٩٤/٢).

(٥) الصحيح (الإحسان) (٣٤/٨) رقم (٣٢٤٢) ولفظ ابن حبان: (لا تنافسا في الرزق ما هزت رؤوسكما...).

(٦) المسند (٤٦٩/٣).

(٧) المعجم الكبير (٧/٤ - ٨).

(٨) مصباح الزجاجة (٢٨٤/٣).

(١): " روى الحديث ابن ماجه بإسناد حسن "

قلت: والقلب إلى تحسينه أميل، وذلك لأن سلام (٢) بن شرحبيل أحد رواته مقبول عند الحافظ ابن حجر، ولم يوثقه سوى ابن حبان، لكنه من التابعين الذين لم يعرفوا بكبير رواية ولم يشتهروا بفتقاده العهد بهم، وصعب الاطلاع على حالهم فأجاز العلماء روايتهم واحتملوها.

وروى الترمذي (٣)، وابن ماجه (٤)، وأحمد (٥)، والحاكم (٦) حديث حديث عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله يقـول: «لـ»

أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو (٧) خفاصاً (٨)، وتروح (٩) بطاناً (١٠). هذا لفظ ابن ماجه وأحمد في الموضع الثاني، وكذا الحاكم، وعند الترمذي وأحمد في الموضع الأول " لو أنكم كنتم توكلون " والباقي بنحوه. وقال الترمذي عقبه: " هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه "، وقال الحاكم: " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ولم يتعقبه الذهبي.

وهكذا يتضح مما سبق أن التوكل والانقطاع إلى الله سبب في حصول الرزق والبركة فيه وقضاء الحاجات، ورفع الحرج والضيق بإذن الله تعالى.

* * *

- (١) الإصابة (٣٠٤/١) ترجمة حبة بن خالد.
- (٢) انظر ترجمة سلام هذا في التهذيب (٢٨٥/٤)، تقريب التهذيب (ص ٢٦١).
- (٣) الجامع، كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا (٨/٧).
- (٤) السنن، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (١٣٩٤/٢).
- (٥) المسند (٣٠/١، ٥٢).
- (٦) المستدرک (٣١٨/٤).
- (٧) الغدو: هو: السير أول النهار نقيض الرواح. النهاية في غريب الحديث (٣٤٦/٣).
- (٨) خفاصاً: أي ضامرة البطون جياًعاً. النهاية في غريب الحديث (٨٠/٢).
- (٩) تروح: من الرواح آخر النهار. النهاية في غريب الحديث (٢٧٢/٢) بتصرف.
- (١٠) بطاناً: أي ممتلئة البطون. النهاية في غريب الحديث (١٣٦/١).

[من مفاتيح الرزق صلة الرحم]

(أحبتي في الله)

إن من أفضل الأسباب المؤدية إلى كثرة المال والرزق في الدنيا: صلة الرحم. نعم صلة الرحم. والمقصود بالرحم هم الأقارب، وهم كل من بينك وبينهم نسب من جهة الولادة سواء كان ذلك من طريق الأب أو الأم.

وصلة الرحم معناه تقديم الإحسان بكل أنواعه حسية ومعنوية، وسواء كانوا صغاراً أو كباراً نساءً أو رجالاً يسكنون في بلدك أو بعيدون عنك، روى الامام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» ولهذا بوب البخاري رحمه الله فقال: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

* * *

فضل صلة الرحم

١٢٢١ - عَنْ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صِلَةُ الْقَرَابَةِ مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَنَسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ» ^(١).

١٢٢٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعٍ رَحِمٍ» ^(٢).

١٢٢٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُعْظَمَ اللَّهُ رِزْقُهُ، وَأَنْ يَمُدَّ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ^(٣).

(١) المعجم الأوسط [٧٨١٠]، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع [٣٧٦٨].

(٢) أحمد [١٠٢٧٧]، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده حسن"، تعليق الألباني "حسن"، الترغيب والترهيب [٢٥٣٨].

(٣) متفق عليه، البخاري [١٩٦١] باب من أحب البسط في الرزق، مسلم [٢٥٥٧] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، أحمد [١٢٦١٠]، واللفظ له، تعليق شعيب الأرناؤوط "حديث صحيح".

١٢٢٤ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ»^(١) أَخَذَتْ بِحُجْزَةٍ^(٢) الرَّحْمَنُ بِصَلِّ مَنْ وَصَلَهَا وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا»^(٣).
(أحبتي في الله)

وقد ذكره الله تعالى مع الأمر بالعدل والإحسان قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ الْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].
وقال تعالى أيضاً: {وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} [الإسراء: ٢٦].

وكما أمر أولي الفضل أن ينفقوا على أقاربهم فقال تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢٢].
وكذلك وردت نصوص كثيرة من أحاديث النبي ﷺ الدالة على الحث بصلة الأرحام، فمنها ما روى أبو أيوب الأنصاري أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَبُّ مَا لَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»، ذَرَّهَا، قَالَ: كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ^(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ؟ قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفَرَأَوْا إِنْ سِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

(١) شجنة: متشابكة متماسكة.

(٢) بحجة الرحمن: الحجة: الوسط وهو موضع شد الإزار، والمعنى هنا: التجأت إليه اعتصمت واستجارت به.

(٣) البخاري [٥٦٤٢] باب من وصل وصله الله، أحمد [٢٩٥٦]، واللفظ له، تعليق شعيب الأرناؤوط "صحيح وهذا إسناد حسن"، تعليق الألباني "صحيح"، الصحيحة [١٦٠٢].

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، برقم: (٥٩٨٣).

تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ [محمد: ٢٢] (١).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: «أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ» (٢).

والإحسان إلى الأرحام: القيام بصلاتهم بالمعروف بالمال وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالדعاء، وبالزيارات، والهدايا والنفقات، وبالعطف والحنان، ولين الجانب، وبشاشة الوجه، والإكرام والاحترام، وكل ما تعارف الناس عليه من صلة، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الرَّحِمُ الَّتِي تُوصَلُ عَامَّةً وَخَاصَّةً، فَالْعَامَّةُ رَحِمُ الدِّينِ وَتَجِبُ مُوَاسَلَتُهَا بِالتَّوَادُّدِ وَالتَّنَاصُحِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ. وَأَمَّا الرَّحِمُ الْخَاصَّةُ فَتَزِيدُ لِلنَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيبِ وَتَقْفِدُ أَحْوَالَهُمُ وَالتَّعَافُلُ عَنْ زَلَّاتِهِمْ. وَتَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُ إِسْتِحْقَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ. قَالَ بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبْرُ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «تُمُّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ» (٣).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: تَكُونُ صِلَةُ الرَّحِمِ بِالْمَالِ، وَبِالْعَوْنِ عَلَى الْحَاجَةِ، وَبِدَفْعِ الضَّرَرِ، وَبِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَبِالدُّعَاءِ. وَالْمَعْنَى الْجَامِعُ إِيصَالُ مَا أَمَكَ مِنَ الْخَيْرِ، وَدَفْعُ مَا أَمَكَ مِنَ الشَّرِّ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَسْتَمِرُّ إِذَا كَانَ أَهْلُ الرَّحِمِ أَهْلَ إِسْتِقَامَةٍ، فَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ فُجَّارًا فَمُقَاطَعَتُهُمْ فِي اللَّهِ هِيَ صِلَتُهُمْ، بِشَرْطِ بَذْلِ الْجَهْدِ فِي وَغْظِهِمْ، ثُمَّ إِعْلَامُهُمْ إِذَا أَصْرُوا أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَخْلُفِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يَسْقُطُ مَعَ ذَلِكَ صِلَتُهُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ بِظَهْرِ

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وتقطعوا أرحامكم، برقم: (٤٨٣٢).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم: (١٦٩٤).

(٣) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الوالدين، برقم: (١٨٩٧).

الْغَيْبُ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الطَّرِيقِ الْمُتْلَى (١).

وقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في البر وصلة الأرحام كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَأُنْذِرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبْلُهَا بِبَلَالِهَا» (٢).

قال النووي: قوله ﷺ: «فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» مَعْنَاهُ: لَا تَتَكَلَّوْا عَلَى قَرَابَتِي فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ مَكْرُوهِهِ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ.. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: سَأَصْلُهَا، شُبِّهَتْ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ بِالْحَرَارَةِ وَوَصَلَهَا بِإِطْفَاءِ الْحَرَارَةِ بِبُرُودَةٍ (٣).

ومن الإحسان إليهم دعوتهم إلى الإيمان إن كانوا كفاراً، وإلى الاستقامة والنبات على الصالحات إن كانوا مسلمين؛ كما حرص النبي ﷺ على إيمان عمه أبي طالب، فعن ابنِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ. فَقَالَ: «أَيُّ عَمٍّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالَا يَكْلَمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِ عَنْهُ». فَتَرَكْتُ: {مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِشُرَكَائِهِمْ} وَلَوْ كَانُوا أَوْلَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {التوبة: ١١٣}، وَتَرَكْتُ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦]» (١).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٤١٨/١٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وَأُنْذِرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، برقم: (٢٠٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد الأول)، ١٩٢/١.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، برقم: (٣٨٨٤).

وهذا يدل على شدة حرصه ﷺ على إيصال النفع لعمه مكافأة لما قدم له من العون والنصرة في الجهود الدعوية، ولكن قضاء الله فوق إرادة كل أحد فلم يوفق للإيمان ومات على الكفر متعصبا لجاهليته، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعِ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] (١).

(أحبتني في الله)

إن صلة الرحم - سبب رئيسي لزيادة الرزق ووفرة بل والبركة فيه - وأيضا سبب في دخول الجنة وصلة الله للعبد في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْدِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢١ - ٢٢].

وفي الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بما يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل رحمك» فلما أدبر قال النبي ﷺ: «إن تمسك بها أمرته به دخل الجنة».

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله».

وصلة الرحم سبب لكثرة الرزق وطول العمر وحصول البركة لصاحبه بعمل الصالحات فيه.

قال النبي ﷺ: «من سره أن يسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» متفق عليه.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يغرغر، برقم: (٢٥).

ومن بركة صلة الرحم وفضلها أن أجر الصدقة على المحتاج من ذي القرابة والرحم مضاعفة على أجر الصدقة على المحتاجين من غيرهم، فهي للرحم المحتاج صدقة وصلة

ويشهد لذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وحديقة، وكانت مستقبله المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية {لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢].

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: {لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢].

وإن أحب مالي إلي (بيرحاء) وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها ونخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وإني سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيقل خيراً أو ليصمت» رواه البخاري ومسلم.

(أحبتي في الله)

إذا كان لصلة الرحم كل هذا الأجر في الدنيا وفي الآخرة، فلا ريب أن لقاطع الرحم عقوبة، تعدل في شدتها شدة منكره وإثمه الذي فعله، وذلك لما يترتب على قطع الرحم من تقطيع لأواصر المجتمع المسلم وتفكيك لعراه، وخلخلة لبنانيته، وانفراط لعقده. لذا فقد جاء التهديد والوعيد والعقوبة الشديدة لمن قطع رحمه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه العقوبة - إخوة الإسلام - منها ما هو معجل في الدنيا لقول الرسول ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعه الرحم».

وتتمثل هذه العقوبة العاجلة في عدم قبول الأعمال الصالحة، إذ ترد

على صاحبها، وهي خسارة فادحة للمسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم» حديث حسن رواه الإمام أحمد.

وتعظم الخسارة لمن أصرَّ على قطع رحمه بطرده من رحمة الله حيث يدخل تحت لعنة الله تعالى والعياذ بالله، ولا خير في عمل وكسب بدون رحمة الله تعالى وحفظه وبركته قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى. قال فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} [محمد: ٢٢ - ٢٣]».

ثم تكون العقوبة الأخروية - إخوة الإسلام -، وإنها لأعظم عقوبة يعاقب بها إنسان قط، وهي الحرمان من الجنة. والله ليس لمن حرم من الجنة من موئل إلا النار إلا من رحم الله.

فقد ورد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع. قال سفيان: يعني قاطع رحم» رواه البخاري ومسلم.

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل، فمن قطعها حرّم الله عليه الجنة». وهذا في حق من استحل قطيعة الرحم والعياذ بالله.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا قطيعة الرحم وقوموا بصلتها ابتغاء مرضاة الله تعالى ورجاء الأجر والثواب منه جل في علاه ولا تقابل من قطعك بالقطيعة واصبر واحتسب، فليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قطعت رحمة وصلها

(أحبتى في الله)

إن المسلم عندما يصل أرحامه يقوم بأمر أوجه الله تعالى عليه، يطلب به الأجر والمثوبة من ربه لا من أرحامه. لذلك فالصلة الحقيقية هي التي تبتدىء بالإحسان دون انتظار مكافئ من القول أو الفعل صادر من ذوي القربى وأعظم منها الصلة التي تستمر على الرغم من إساءة ذوي القربى ومقابلة إساءتهم بالإحسان.

ولا شك - عباد الله - أن ذلك شديد على النفس، ولا يقدر عليه إلا من وفقه الله، قال الشاعر في هذا:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة :: على النفس من وقع الحسام المهند
ولا ريب أن مثل هذا الواصل يستحق من الله تعالى كل عون ونصر وتأيد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي؟! فقال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» رواه مسلم. ومعنى: «تسفهم المل» أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم. ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم الفظيع في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه.

والبعض يسأل: وإن كانت القرابة كافرة فهل تجوز صلتهم؟ فيقال: إن كانوا ممن يناصبون الإسلام العداء، بأية صورة من صور العداوة وأساليبها فلا تجوز صلتهم، بل تجب مقاطعتهم ومعاداتهم، وإلا فلا مانع من صلتهم والإحسان إليهم من غير أن يكون لهم ولاء في القلب، قال تعالى: {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨].

وقد يسأل سائل فيقول كيف نستطيع أن نصل أرحامنا وهم كثير وفي أماكن متفرقة، ونحن في زمن تزاومت فيه الأعمال والحقوق والواجبات،

ففي هذه الحالة يبدأ المسلم بالأولى فالأولى، والأقرب فالأقرب، ويمكن الجمع بينهم بحسب الحال، فمنهم من يمكن زيارته لقربه منه، ومنهم من يوصل بالمراسلة بالبريد، ومنهم من يتصل به بالهاتف، ومنهم من يهدى إليه بعض الهدايا، ومنهم من يسافر إليه وذلك باستغلال أيام الإجازة والعطلي صلة الأرحام وزيارتهم والأنس بهم، ومن يتحرّر الخير يعطه، وكما قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦].

فإذا بذل الإنسان جهده في صلة رحمه وفقه الله تعالى لذلك ويسر أمره وأعانه.

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم، وصلوا أرحامكم، واحذروا قطعها، وتذكروا دائماً ما أعده الله تعالى للواصلين من الثواب وللقاطعين من العقاب.

(أخى في الله)

لعلك أخي المسلم تستغرب إذا وجدت بعض المسلمين قد فتح الله لهم أبواب تلو أبواب من الرزق وهم قليلو النشاط والخبرة قياساً بغيرهم من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، ولكنك إذا فتشت عن حاله وجدته ممن يصل رحمه، بل لا تستغرب أخي الحبيب إذا أخبرتك بأن بعض العصاة والفساق بل وبعض الفجرة قد تنمو أموالهم بسبب صلة الرحم،

روى ابن حبان في صحيحه بسند جيد عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة له من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا».

إن هذا الحديث يفسر لنا ظاهرة ربما كانت موضع استغراب عند كثيرين، نعم أيها الأحبة: «إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا».

- يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى -

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليَصِلْ رحمه» متفق عليه.

هذا الحديث فيه: الحث على صلة الرحم، وبيان أنها كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول أحب الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه. وسبب لطول العمر. وذلك حق على حقيقته؛ فإنه تعالى هو الخالق للأسباب ومسبباتها.

وقد جعل الله لكل مطلوب سبباً وطريقاً يُنال به. وهذا جار على الأصل الكبير، وأنه من حكمته وحمده، جعل الجزاء من جنس العمل، فكما وصل رحمه بالبر والإحسان المتنوع، وأدخل على قلوبهم السرور، وصل الله عمره، ووصل رزق، وفتح له من أبواب الرزق وبركاته، ما لا يحصل له بدون هذا السبب الجليل.

وكما أن الصحة وطيب الهواء وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب، من أسباب طول العمر. فكذلك صلة الرحم جعلها الله سبباً ربانياً، فإن الأسباب التي تحصل بها المحبوبات الدنيوية قسمان: أمور محسوسة، تدخل في إدراك الحواس، ومدارك العقول. وأمور ربانية إلهية قَدَّرَهَا مَنْ هو على كل شيء قدير، وَمَنْ جميع الأسباب وأمور العالم منقاداً لمشيئته، وَمَنْ تكفل بالكفاية للمتوكلين، ووعد بالرزق والخروج من المضائق للمتقين. قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً} ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ { [الطلاق: ٢ - ٣]. وإذا كان النبي ﷺ يقول: «ما نقصت صدقة من مال» (١) بل تزيده. فكيف بالصدقة والهدية على أقاربه وأرحامه؟

(انتهى كلام الشيخ السعدى رحمة الله عليه)

(١) أخرجه: البخاري في " صحيحه " رقم: ٢٠٦٧، ٥٩٨٦، ومسلم في " صحيحه " رقم: ٢٥٥٧.

اعقوبة قاطع الرحم في الدنيا

للإمام البخارى من كتاب الأدب المفرد

باب إثم قاطع الرحم

عن جبير بن مطعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع رحم». صحيح - صحيح أبي داود (١٤٨٨)، غاية المرام (٤٠٧): [خ: ٧٨ - ك الأدب، ١١ - ب إثم القاطع. م: ٤٥ - ك البر والصلة والآداب، ح ١٨، ١٩].

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن تقول: يا رب إنِّي ظلمتُ يا رب إنِّي قُطعتُ يا رب إنِّي، فيُحييها ألا ترضين أن أقطع من قطعك وأصل من وصلك؟». حسن - التعليق الرغيب (٢٢٦/٣).

عن أبي هريرة (أنه كان يتعوذ من إمارة الصبيان والسفهاء، فقال سعيد بن سمعان فأخبرني ابن حسنة الجهني أنه قال لأبى هريرة ما آية ذلك؟ قال: (أن تقطع الأرحام ويطاع المغوى ويُعصى المرشد) صحيح دون رواية الجهني - الصحيحة (٣١٩١).

٣٣ - باب عقوبة قاطع الرحم في الدنيا.

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أحرى أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدخرُ له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي». صحيح - الصحيحة (٩١٨، ٩٧٨): [د: ٤٠ - ك الأدب، ٤٣ - ب في النهي عن البغي. ت ٣٥ - ك القيلمي، ٥٧ - ب حدثنا على بن حجر. ج: ٣٧ - ك الزهد، ٢٣ - ب البغي، ح ٤٢١١].

٣٤ - باب ليس الواصل بالمكافئ.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رَحْمُهُ وصلها». صحيح - صحيح أبي داود (١٤٨٩)، غاية المرام (٤٠٨): [خ: ٧٨ - ك الأدب، ١٥ - ب ليس الواصل بالمكافئ].

٣٥ - باب فضل من يصل ذا الرحم الظالم.

عن البراء قال: جاء أعرابي فقال: يا نبي الله علمني عملا يدخلني

الجنة قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النَّسمة وفكَّ الرِّقبة» قال أو ليستا واحدا؟ قال: «لا أعتق النَّسمة أن تعتق النَّسمة، وفكَّ الرقبة أن تُعين على الرِّقبة والمنيحةُ الرغوب والفيء على ذي الرَّحم، فإن لم تُطق ذلك فأمر بالمعروف وإنه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكُف لسانك إلا من خير». صحيح - التعليق الرغيب (٤٧/٢)، «المشكاة» (٣٣٨٤).

٣٦ - باب من وصل رحمه في الجاهلية ثم أسلم.

عن حكيم بن حزام أنه قال للنبي ﷺ: رأيت أمورا كُنْتُ أتحنُّ بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة فهل لي فيها أجر؟ قال رسول الله ﷺ: «أُسلمت على ما سَلَفَ من خير». صحيح - السلسلة الصحيحة (٢٤٨): [خ: ٢٤ - ك الزكاة، ٢٤ - ب من تصدق في الشرك ثم أسلم. م: ١ - ك الإيمان، ح ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦].

٣٧ - باب صلة ذي الرحم المشرك والتهديّة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر حلة سِيَرَاء فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفود إذا أتوك. فقال: (يا عمر إنما يلبس هذه من لا خلاق له) ثم أُهْدِيَ للنبي ﷺ منها خُلٌّ فَأُهْدِيَ إلى عمر منها خُلة فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله بعثت إلى هذه وقد سمعتك قلت فيها ما قلت. قال: «إني لم أُهدِها لك لِتَلْبَسَها إنما أُهديتها إليك لتبيعها أو لتكسوها» فأهداها عمر لأخ له من أمه مشرك. صحيح - صحيح أبي داود (٩٨٧): [خ: ١١ - ك الجمعة، ٧ - ب يلبس أحسن ما يجد. م ٣٧ - ك اللباس والزينة، ح ٦، ٧، ٨، ٩].

٣٨ - باب تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم.

(ث ٢٣) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: (تعلموا أنسابكم ثم صلُّوا أَرْحَامَكُمْ والله إنه ليَكُونُ بين الرجل وبين أخيه شيءٌ ولو يعلم الذي بينه وبينه من دَاخِلَةِ الرَّحْمِ لأَوْزَعَهُ ذلك عن انتهاكه). حسن الإسناد، وصح مرفوعا - السلسلة الصحيحة (٢٧٧).

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: احفظوا أنسابكم تصلوا

أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَا بُعْدَ بِالرَّحْمِ إِذَا قُرُبَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً وَلَا قُرْبَ بِهَا إِذَا بُعِدَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا تَشْهَدُ لَهُ بِصَلَةٍ، إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ إِنْ كَانَ قَطَعَهَا. حَسَنُ الْإِسْنَادِ، وَصَحَّ مَرْفُوعاً - السُّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ (٢٧٧).

(انتهى من كتاب الأدب المفرد للبخاري)

(أُحِبَّتِي فِي اللَّهِ)

كُلْ ذَلِكَ فِي الْعُقُوبَةِ الْآخِرِيَّةِ.

وَأَمَّا تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ يَعَجِلُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا عَلَى بَعْضِ الذُّنُوبِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَعْجِيلُ عِقَابِ قَاطِعِ الرَّحْمِ وَالظَّالِمِ وَحَالِفِ الْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ مِنْهَا:

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ، أَعْجَلَ ثَوَاباً مِنْ صَلَةِ الرَّحْمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَاباً مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ تَدْعُ الدِّيارَ بِلَاقِعٍ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ٣٥٠/١٠، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السُّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ ٧٠٦/٢، وَبِلَاقِعٍ، جَمَعَ بِلَقَعَ وَبِلَقَعَةٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَفْرُ الَّتِي لَا شَجَرَ فِيهَا، ذَكَرَهُ الزَّبِيدِيُّ وَنَقَلَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ "أَيُّ يَفْتَقِرُ الْحَالِفُ وَيَذْهَبُ مَا فِي بَيْتِهِ مِنَ الْمَالِ، أَوْ يَفْرُقُ اللَّهُ شَمْلَهُ وَيَغَيِّرُ مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ" تَاجُ الْعُرُوسِ ٣٠/١١.

٢ - وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «إِنْ أَعْجَلَ الطَّاعَةُ ثَوَاباً صَلَةِ الرَّحْمِ، وَإِنْ أَهْلَ الْبَيْتِ لِيَكُونُوا فِجَاراً، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ، إِذَا وَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ، وَإِنْ أَعْجَلَ الْمَعْصِيَةَ، عِقَابُ الْبَغْيِ وَالْخِيَانَةِ، وَالْيَمِينِ الْغَمُوسِ يَذْهَبُ الْمَالُ وَيَثْقُلُ فِي الرَّحْمِ، وَيَذُرُ الدِّيارَ بِلَاقِعٍ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ: إِنَّهُ صَحِيحٌ بِمَجْمُوعِ طَرَفِهِ وَشَوَاهِدِهِ.

* * *

سؤال وجواب في عقوبة قاطع الرحم

أخشى أن أصِلها فيقاطعني إختها!

المجيب سعد بن عبد الله الماجد

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

التصنيف الفهرسة/ الاستشارات/ استشارات اجتماعية / العلاقات الأسرية/مشكلات أسرية.

التاريخ ١٤٢٧/٠١/٢٧ هـ

السؤال

لي عمة أخطأت في حق أخواتها، وهن الآن قاطعات لصلتها، وأنا محتارة لو كلمتها سوف تقاطعني جميع عماتي، فما الحل في ذلك؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعمتك من أرحامك الذين عليك صلتهم، والعمل على برهم:

١ - قطيعة الرحم من الإفساد في الأرض، قال الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} [محمد: ٢٢ - ٢٣].

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب.. ثم قال رسول الله ﷺ اقرأوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٢) [محمد: ٢٢]» [رواه البخاري: ٤٤٥٥].

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله». [رواه مسلم: ٤٦٣٤].

٢ - قاطع الرحم لا يدخل الجنة، فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» قال ابن أبي عمر قال سفيان يعني قاطع رحم. [رواه مسلم: ٤٦٣٦].

٣ - قاطع الرحم كالقاتل المتعمد، فعن أبي خراش السلمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه». [رواه أبو داود: ٤٢٦٩].

٤ - قاطع الرحم لا يرفع له عمل صالح من صلاة وصوم وغيرها. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا». [مسلم: ٤٩٥٦].
أختي الكريمة، هل تريدين أن تكوني ممن حلت عليه عقوبة قاطع الرحم؟

إن المدة التي سمح الشرع في الهجر هي ثلاث ليال فأقل كما جاء في الحديث، وعن ابن الزبير أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». [رواه البخاري: ٥٦١١].

وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». [رواه البخاري: ٥٦١٣].

والرجل والمرأة في ذلك سواء مخاطبون بأوامر الشرع. فعليك بالتوبة وصلة رحمك، ولا تلتفتي إلى من يأمرك بمعصية الله؛ لأنه لا طاعة له. في الحديث عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: " لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف ". [النسائي: ٣١٤٥].

وعليك برضا الله عز وجل، ففي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى

الناس». [الترمذي: ٢٣٣٨].

فعليك بالتوبة والمبادرة إلى الاتصال بعمتك وإصلاح ما بينكما، ومن ثم العمل على التوفيق بينها وبين أخواتها اللاتي هن عماتك! والصبر في ذلك واحتساب الأجر، فهذا أنت علمت وبلغك حكم الشرع، فليس لك بعد ذلك حجة بالجهل وعدم العلم، أو أن عمتك أو عماتك هن السبب. فكوني مفتاح خير، وأفسدي مخطط الشيطان الذي يحب إفساد وقطيعة الرحم. وفقك الله وجنبك قطيعة الرحم.

أسأل الله لي ولكم أن يجعلنا الله وإياكم من الذين يصلون أرحامهم إبتغاء مرضات الله واحتساباً للأجر والثواب
إنه أرحم الراحمين جواد كريم

* * *

[من مفاتيح الرزق - الإنفاق في سبيل الله]

(أحبتي في الله)

- ومن أسباب فتح أبواب الرزق: الإنفاق في سبيل الله. فمتى ما أنفقت من مالك يا عبد الله كان ذلك سبباً لكثيرته، وهذه قاعدة صحيحة في باب الرزق، كلما أخرجت زاد المال لا كما يظن الماديون أنهم ينقص إذا أخرج زكاته أو تصدق قال الله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: ٣٩]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي مهما أنفقتُم من شيء مما أمركم الله به وأباحه لكم فهو يخلفكم ويخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، ولذا لما أمر الله عز وجل بالإنفاق في سبيل الله قال بعد ذلك: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ بِأَمْرِكُمُ الْفَحْشَاءَ وَالْمُنكَرَ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦٨] قال ابن القيم رحمه الله: إن وعد الشيطان لابن آدم بالفقر ليس شفقة عليه وليس نصيحة له، وأما الله عز وجل فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أنفق أنفق عليك». «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

«أنفق يا بلال ولا تخش من ذا العرش إقلالا» رواه البيهقي.

بعض المسلمين لا يتصور نفسه من المنفقين، ولا يمكن أن يتخيل أن يكون في يوم من الأيام من الذين ينفقون في سبيل الله إلا إذا كان من أصحاب الملايين وهذا خطأ، لأن المسلم يمكنه أن ينفق بحسبه ووضعه وإمكانياته، فقد يكون الجنيه الواحد الذي تنفقه في سبيل الله بصدق وإخلاص أعظم من المليون الذي ينفقه غيرك لأنه أراد الشهرة مثلاً، والله أعلم بالنيات قال الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

التَّكَارُّ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦].
واعلم بأن هذا الأمر وهو العناية بالضعفاء والمحتاجين من أعظم أسباب الرزق لأن المصطفى ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». (البخارى عن مصعب بن سعد عن أبيه) أخرجه البخارى (١٠٦١/٣)
رقم (٢٧٣٩).

(أحبتي في الله)

يقول الله تباركت أسماؤه في محكم تنزيله: {لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمِمَّا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢]، وقال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَنَفْسِكُمْ} [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠].

وهكذا أيها الأخوة، وهكذا أيها الأخ المؤمن، لا تكاد تتلو بضع آيات من كتاب الله إلا وتجد حضاً كبيراً، وتجد دعوة قوية تهيب بك أيها المؤمن أن تتفق في سبيل الله، تتفق لمن؟ إنك تتفق على أخ لك مثلك.

ما الغرض من ذلك؟ التغرض من ذلك أن يكون هناك تعاطف بين المسلمين، أن يكون هناك تراحم بين المسلمين، حتى يكونوا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد، كل عضو ندب نفسه لمعونة هذا العضو كي لا يكون في المسلمين شقي واحد ولا بائس واحد ولا محروم واحد. أيها الأخ الكريم: لا تتلو آية فيها دعوة إلى الصلاة إلا وتجد آية فيها دعوة إلى الزكاة، ولا تتلو آية فيها دعوة إلى الإيمان إلا وتجد آية تدعى فيها إلى الجهاد وآية ثالثة تدعى فيها إلى الإنفاق في سبيل الله.

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ السَّادِقُونَ} [الحجرات: ١٥]. وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال: ٢]، خافت من عظمة الله، من كبرياء الله، من سطوة الله، من جبروت الله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ { [الأنفال: ٢ - ٣].

أيها الإخوة: الأمة يجب أن تكون جسماً واحداً، المجتمع يجب أن يكون بناءً واحداً. هنالك الضمان الاجتماعي، هنالك التكافل الاجتماعي، هنالك العدالة الاجتماعية، كل ذلك مبعثه من الإيمان، من الرحمة، من حب المؤمنين، «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شعبان وجاره جائع».

أيها الإخوة: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وكفرنا بكل مبدأ يغير الإسلام، كفرنا بكل نحلة تأتينا من ديار الأعداء، وتركنا وهجرنا كل مذهب يغير مذهب الإسلام، إنما هو كفر وإيمان إنما هو ضلال وهدى، إنما نستمسك بدين محمد ﷺ وندع كل شريعة باطلة. أيها الإخوة لا نعرف ضماناً إلا ضمان الإسلام، ولا نعرف تكافلاً إلا تكافل الإسلام، ولا نعرف عدالة إلا عدالة الإسلام، أما ما وراء ذلك فألفاظ كاذبة ودعوات زائغة واشتراكيات منحرفة ضالة وذلك لأن الإسلام ينظر إليك على أنك إنسان على أن لك روحاً، على أن فيك معاني الإنسانية، تستطيع أن تعلق فوق الحيوانية، تستطيع أن تسمو فوق المادة، تستطيع أن تؤمن بالله وتهب نفسك لله وتعيش في سبيل الله وتتفق مالك لله، الإسلام أيها الإخوة يربيك على أنك إنسان تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر وترضى بما أمر الله، وتذر ما أمرك الله بتركه، كل ذلك سهل عليك فتتفق مالك كله إن اقتضى الأمر في سبيل الله كما فعل أبو بكر حين جاء بماله كله فوضعه بين يدي الرسول في غزوة تبوك، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ماذا تركت لنفسك وأهلك؟» قال: تركت لهم الله ورسوله. وجاء عمر بنصف ماله وجاء عثمان بشيء كثير جداً ووضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه»، قدم آلاف الدنانير ومئات الإبل وهكذا جهز جيش العسرة.

الانطلاق عندنا من الإيمان، من مبادئنا أن يكون الإنسان إنساناً، أما الإنسان الذي لا يعرف إلا شهوته، لا يعرف إلا طعامة، لا يعرف إلا شرابه، لا يعرف إلا منفعه، إنسان مثل هذا يجب أن ينزع ماله وتوضع

له القيود ويغل بالأغلال، أما المؤمن فليس له ذلك. ترك الإسلام للمؤمن الحرية، ترك لطاقاته أن تندفع، ترك لإمكاناته أن تتبارى وأن تقوم بمشروعات، إن إنساناً واحداً يستطيع أن يقوم أحياناً بما لا تستطيع أن تقوم به أمة. الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة، الأكثرية على الغالب بسطاء وسطاء تجد بينهم نابغة واحداً، الإسلام لا يقول لهذا الواحد نكبت حريتك، منعك من التصرف، نغل يديك، بل نقول له: انطلق بقوتك ولكن أنت وقوتك وإيمانك وطاقتك لله وفي سبيل الله وللأمة، فإذا دق جرس الخطر تقدمت بنفسك ومالك.. هذه تربية الإسلام، تربية الإسلام إطلاق للقوى، إطلاق للطاقات مع تربية القلب حتى يكون قلباً مؤمناً فإذا كان كذلك كان كل ما لديه له، كل سعيه كان في سبيل الله. نظرة الإسلام أن نطلق القوى ونربي القلوب ونعتبر الإنسان بشراً سوياً. نظرة أولئك ألا نعتبر الإنسان بشراً سوياً بل نفعياً أنانياً لا سبيل للرحمة إلى قلبه. لا تسمح له بالانطلاق، ينطلق في سبيل نفسه وكبت غيره. أنا لا أدري هل أستطيع أن أفرق بين نظرتين نظرة الأمل بك أيها الإنسان ونظرة سوء الظن بك أيها الإنسان، نظرة على أنك تؤمن بالله واليوم الآخر، ونظرة على أنك قطعة من الكون أقيت وستنتهي، هذه الحياة تكون منطلقاً لك ومسرحاً للذاتك أنت، أما نظرة الإسلام فإنه أطلق وربى من الداخل، أما نظرة أولئك فاعتبروا الإنسان حيواناً وبهيمة.

أيها الأخوة: أما الذنب فهو ذنبنا، ذنبنا نحن المسلمين، هل يصح أن يقال إن مجتمعنا مجتمع إسلامي؟ لا. هل نمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً؟ هل هذا المجتمع هو الذي وصفه الرسول ﷺ في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؟ لا بكل أسف، لا ليس الأمر كذلك إنما لا نمثل الإسلام، نحن الآن أنانيات محضة، قلوب بعيدة متنافرة يصدق علينا ما يقول أولئك كأننا والله لا نؤمن بالله ولا نؤمن باليوم الآخر، نحن لا نمثل الإسلام ولا نستطيع أن ندافع عن الإسلام ولا نستطيع أن نذيع للملأ أن كلمة الله هي العليا لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال هذه النفوس الواهية المتواكلة الضعيفة المستخذية فلا نستطيع أن نقول هذا هو الإسلام، فانظروا نحن قد جنينا إثمين:

أولاً: جنينا على أنفسنا وسنلاقي جزاء عملنا.

ثانياً: جنينا على سمعة الإسلام.

إن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال أعمالنا ومن خلال مجتمعنا، هذا هو المجتمع الإسلامي فانظروا إلى الإسلام، الذنب ذنبنا الإثم إثمنا، الجريمة جريمتنا. لو كان هناك مجتمع واحد إسلامي في العالم كله لكان حجة على النظريات وحجة على المذاهب، ولتبين للناس جميعاً أن الإسلام هو الكمال وأن ما تتخبطون به من نظريات ومذاهب هو الضلال والبطلان، ولكن هؤلاء يتخبطون ويتنقلون بين المذاهب ولا يظنون أن الإسلام لديه الحل إلا نفر يسير منهم ولكنهم قلة، نفذت أبصارهم إلى ما وراء المجتمع الإسلامي وإلى الإسلام وحقيقته واستطاعوا أن يعرفوا الإسلام. لو كان هناك مجتمع إسلامي واحد لكان حجة على الشرق وحجة على الغرب، وكان مجتمعاً مثالياً.

أيها الأخوة: لم يكن كذلك أسلافنا أصحاب رسول الله ﷺ نحن أيها الأخوة أصبنا بضعف، وهذا الضعف الذي أصبنا به رضيانا به وسوغنا لأنفسنا ما نحن فيه وقلنا هذا هو الإسلام، المؤمن لا يبالي بما في المجتمع، المؤمن لا يهتم بشئون الأمة، المؤمن لا يندفع إلى الخير، المؤمن لا يجاهد في سبيل الله وفي سبيل إيقاف الشر عند حده، كل واحد منا شأنه كذلك وهو يرى أنه مؤمن وهو يرى ألا طاقة له، وهو يرى أن هذا قضاء الله، وكل ذلك حيل ركبها الشيطان، وسولتها النفوس، وليس الواقع كذلك حينما نسمع آيات الله تجبهنا وتصدع وجوهنا نلتفت إلى حيلة أخرى، نقول: لا! ذلك لأصحاب رسول الله ﷺ أما نحن المساكين أين نحن من أولئك، الآيات تدعونا إلى الجهاد، ونحن همتنا أدنى، رضيانا بالأدنى. رضيانا بالمرتبة الدنيا وانتهى ذلك إلى أن مجتمعنا لا يمثل مجتمعاً إسلامياً صحيحاً

حين نزل قوله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] لن تنالوا درجة البر، مرتبة البر، أن يقال إنك من أهل البر، من الأبرار عند الله، لن تنالوا هذه الدرجة حتى تنفق من كرائم أموالك وتنفق من طيبات ما كسبت، تنفق ونفسك طيبة راضية بما تنفق، درجة عالية لا

تصل إليها بكل أسف. حين نزلت هذه الآية تبارى أصحاب رسول الله ﷺ إليه، يقول أحدهم: يا رسول الله، إن أحب مالي كذا وكذا أضعه صدقة. وجاء أبو طلحة - كما يروي الشيخان البخاري ومسلم - جاء إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله سمعت قول الله تعالى: {لَنْ نَأْخُذَ بِدِينِكَ} [آل عمران: ٩٢] وإن أحب مالي إلي بستان. اسمه بستان بيرحاء، بستان من أطيب البساتين مقابل مسجد الرسول فيه عين ماء عذبة يدخل الرسول ﷺ يشرب من تلك العين يقول أبو طلحة: إن أحب مالي إلي بستان اسمه بستان بيرحاء وإني أجعله صدقة أرجو برها ونخرها يوم القيامة، يقول رسول الله ﷺ: «بخ بخ قد سمعت ما تقول اجعلها في الأقربين» أو كما قال رسول الله ﷺ. سمع أبو طلحة قول الله تعالى: {لَنْ نَأْخُذَ بِدِينِكَ} [آل عمران: ٩٢] فبادر ونفذ، لم ذلك أيها الأخوة؟ لأن الإيمان خالطت بشاشته قلبه وخالطت حلاوته قلبه. تربية أولئك خير من تربيتنا.

من أضرار عدم الإنفاق في سبيل الله

وهناك أمر آخر أيضاً يعتبر من أكبر العقبات، وهو بخل كثير من الناس بأموالهم وجهدهم، فتعطل الجهاد في سبيل الله والدعوة، وخزنت أموال كثير من الناس كأرقام لا يستفيد منها إلا الكافرون في البنوك الدولية التي وضعت في كل بلد من بلاد المسلمين لها فرعاً لتمتص هذه الأرباح، وأصبح العدو هو الذي يستفيد، ولربما يقتلون المسلمين بأموال المسلمين، كما يفعل الهندوس الآن في الهند، وكما يفعل في الفلبين في مناطق كثيرة، لربما يكون هذا بأموال المسلمين.

لكن المصيبة الكبرى أن الإسلام أصبح لا يستفيد إلا نادراً من هذه الأموال، بينما نجد أنه في يوم واحد دعت الكنسية إلى البذل، فجمع في يوم واحد مليار دولار، وقد يتساءل شخص: لماذا خصصوا ملياراً؟ ولماذا ما قالوا: نريد أكثر من مليار أو نريد أقل منه؟

الجواب: لأن عدد المسلمين مليار، فقالوا: نريد كل دولار ينصر ويكفر واحداً من المسلمين فهذا هدفهم، وجمع مليار دولار في يوم واحد.

ولنعلم أن كثيراً من المسلمين يرتدون عن الإسلام بسبب الفقر والمجاعة، فإذا كان الواحد منهم سيموت جوعاً ويأتيه رجل كافر يريد أن يقدم له الغذاء ويقدم له اللباس فإنه سيستجيب له، وقد يأخذه طفلاً فيريه، وإن كانت الفطرة التي فطر الله الناس عليها موجودة في الأصل، لكن لربما يؤثرون أو يشوشون على هذه الفطرة.

وهناك مراكز إسلامية تفتقر إلى أموال المسلمين، وهناك من يصلي في العراء لا يجد مسجداً، وهناك من المسلمين من لا يجد لقمة العيش، فبخل المسلمين بالمال ثم بخلهم بعد ذلك بالجهد كان عقبة في طريق هذا الدين، وفي طريق المسلم وسيره إلى ربه سبحانه وتعالى.

ولذلك حينما نذهب إلى مناطق يضعف فيها المسلمون ويحتاجون إلى توجيه وتربية لا نجد إلا أبناء النصارى هم الذين يتكاثرون في تلك البلاد وفي تلك المواقع، والله لقد رأيت شابات وشباناً في سن العشرين أو ما يقرب من ذلك في مجاهل أفريقيا في مناطق يصعب على واحد من المسلمين أن يصل إليها، رأيتهم يربون أبناء المسلمين الفقراء، فقلت: كيف جاء هؤلاء من تلك البلاد المترفة المنعمة الباردة الجميلة الخضراء إلى هذه الصحاري وإلى هذه الغابات الموحشة؟! ثم قلت أيضاً: أين المسلمون؟! لماذا لا يربون هؤلاء الأبناء حتى لا ينشأ هؤلاء نشأة كافرة؟! فالمهم أنها بلية، وهذه تعتبر أيضاً عقبة من العقبات التي تعترض سبيل المؤمن في سيره إلى ربه سبحانه وتعالى، ولو أن علماء المسلمين وطلبة العلم ساحوا في أرض الله عز وجل ينشرون هذا الدين الذي سوف يسألهم الله عز وجل قبل أن يسأل المرسلين عنه كما قال سبحانه: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: ٦]، لو أنهم ساحوا في هذه الأرض ينشرون دين الله عز وجل لما كان هذا التكفير والتنصير الذي أصبح يقض على العقلاء مضاجعهم، ثم يخاف على هذه الأمة أن تترك دينها لولا أن الله عز وجل تكفل بحفظ هذا الدين.

ثم هذه الأموال لماذا لا تصل إلى أولئك المسلمين إلا نادراً؟! أليس المال مال الله؟ والله تعالى يقول: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ} [الحديد:

[٧]، فهذا أمر لابد أن ينتبه له المسلمون، ولابد أن تصل كثير من أموال المسلمين إلى هناك لترد الحق إلى نصابه.

* * *

فضل الإنفاق في سبيل الله عز وجل

أيها المسلم! أكثر من الإنفاق في سبيل الله عز وجل؛ فإن ذلك من نصرة الدين، ومن تقوية المسلمين، ومن مواجهة المعتدين، وإذا لم تسخ نفوسنا بالإنفاق في سبيل الله لنصرة دين الله فكيف نزع أنه يمكن أن نجود بأنفسنا؟! الجهاد الأعظم بالنفس لا بد أن تكون النفوس مهياة له بكثير من الأسباب والأحوال، فمن لم يستطع مجاهدة نفسه للقيام بالطاعات وأداء الفرائض، ومن لم يغالب نفسه في شهوتها في هذا المال وتعلقها به، فكيف يجود بنفسه؟! نحن نعرف الآيات الكثيرة التي تقرن جهاد النفس بالمال، بل وتقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال: (جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم)، والله سبحانه وتعالى يقول: {هَآأَنَآ هَآؤَلَا ءُتَدْعُونَ لِئَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلْ عَن نَّفْسِهِ ؕ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنَّهُمُ الْفُقَرَاءُ} [محمد: ٣٨].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «شر ما في الرجل شح هالع، وجبن خالع» وهي سمات نعرف أننا واقعون فيها، فإذا دعينا في الملمات، وعند حصول الكوارث، وعند نزول البلاء تحركنا وأنفقنا شيئاً من أثر العاطفة المتأججة المؤقتة العارضة، ثم بعد ذلك نعود إلى ما نحن فيه! خاطبوا أنفسكم، وحاسبوها اليوم: كم من المال تنفق باستمرار ودوام؟! مواجهتنا مع الأعداء ليست عارضة ولا عابرة، ومقارنة ما ننفقه في مقابل ما ينفقونه - للأسف الشديد - مقارنة محزنة ومؤسفة، فالتنصير - الذي يسمونه التبشير - نعلم من الإحصاءات الموثقة أن هناك نحواً من أربعة آلاف وستمائة قناة وإذاعة أعدت للقيام بنشر النصرانية، وتبث بلغات أكثر من أن تحصر وأن تحصى، ويُطبع من الإنجيل - رغم ما فيه من التحريف - لا أقول: الملايين ولا عشرات الملايين بل مئات وآلاف الملايين، وقد طبع بأكثر من ستمائة لهجة ولغة! وما ينفقونه في كل عام أكثر من أن يحصى، ونحن نوقن بقول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ لِيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً

ثُمَّ يُغْلَبُونَ { [الأنفال: ٣٦]، لكن كيف نواجه أعداءنا ونحن لا ننفق مثلهم؟ هذه صورة من صور ضعفنا، وصورة من أسباب هزيمتنا، ومن أسباب بلأنا؛ لأننا لا نصنع كما صنع الصالح رضوان الله عليهم، فقد كانوا في كل ملمة بل وفي غير الملمات ينفقون إنفاقاً عظيماً جداً، كان الإنفاق أمراً فوق الزكاة وفوق الواجب، وكانت صدقاتهم لا تنقطع دائماً وأبداً، حتى كان من لم يجد يكتسب حتى يجد ما يتصدق به، كما ورد في الصحيح عن بعض الصحابة من الفقراء قال: (كان أحداً لا يجد ما يتصدق به، فكان أحداً يتحمل الحمالة لا يريد بها إلا أن يجد ما ينفقه في سبيل الله) أي: حتى لا يحرم نفسه من الأجر والثواب، فقد كانوا يتسابقون إلى الإنفاق؛ لأنهم يعلمون أن ذلك من أسباب قوة دين الله سبحانه وتعالى.

* * *

إما إلى الجنة وإما إلى النار

واعلم - أخي المسلم - أن المال سبب موصل إما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن استعان به على طاعة الله، وأنفقه في سبل الخيرات، كان سبباً موصلًا إلى رضوان الله والفوز بالجنة، ومن استعان به على معصية الله، وأنفقه في تحصيل شهواته المحرمة، واشتغل به عن طاعة الله، كان سبباً في غضب الله عليه واستحقاقه العقاب الأليم. قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَكْزُوبَ الْذَهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: ٣٤].

وأخبر سبحانه أن من أنفق ماله في الصد عن سبيل الله، فسوف يلحقه الخزي والندامة يوم القيامة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لِيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال: ٣٦].

وقال سبحانه عن القسم الأول الذين استعانوا بالمال على طاعة الله وأنفقوه في مرضاته: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ۖ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فقال: «هم الأخسرون ورب الكعبة» قالها ثلاثاً قال أبو ذر: فأخذني غم، وجعلت أنتفس وقلت: هذا شر حدث في، فقلت: من هم - فذاك أبي وأمي -؟ قال: «الأكثر من أموالا، إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم ما من رجل يموت فيترك غنما أو إبلا أو بقرا لا يؤدي زكاتها إلا جاءته يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمن حتى تطأه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، حتى يقضي الله بين الناس ثم لا تعود أولاهها على آخرها» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار» مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أنه قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته، مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - يقول: أنا مالك.. أنا كنزك» البخاري

الكنز في الإسلام

ليس الكنز في الإسلام هو المال الكثير، ولكنه المال الذي لم تؤد زكاته. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما كان من مال تؤد زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفونا، وما ليس مدفونا لا تؤدي زكاته، فإنه الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه.

فريضة الزكاة وأهدافها

أخي المسلم: اعلم أن الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، قال النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس» فذكر منهن: «إيتاء الزكاة» متفق عليه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد يؤتي زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت، ثم تلا قوله تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

أَحَدَكُمْ أَلَمُوتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْخَرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ { [المنافقون: ١٠ - ١١].

قال ابن الجوزي: وينبغي للمتيقظ أن يفهم المراد من الزكاة، وذلك ثلاثة أشياء:

أحدها: الابتلاء بإخراج المحبوب. والثاني: التنزه عن صفة البخل المهلك.

والثالث: شكر نعمة المال، فليتذكر إنعام الله عليه إذ هو المعطى لا المعطي!

ويزاد على ما ذكره ابن الجوزي ما يلي: -

١ - إعانة الضعفاء وكفاية ذوي الحاجة وقضاء الدين عن أهله.

٢ - تقوية روح الجماعة بين أفراد المجتمع والتخلص من الإفراط في حب الذات.

٣ - نشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع وعدم شعور الفقراء بالحقد على الأغنياء أو حسدهم.

٤ - الحفاظ على الدولة الإسلامية وحماية حوزة المسلمين عن طريق تقوية الجيوش والإنفاق على الجهاد والمجاهدين.

* * *

الحث على الصدقة

أخي المسلم الحبيب: رغب الإسلام في الصدقة، والعطف على الفقراء، ومواساة أهل الحاجة والمسكنة، ورتب على ذلك أعظم الأجر عند الله تعالى يوم القيامة. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى رجل يصرف راحلته في نواحي القوم فقال: «من كان عنده فضل من ظهر - أي مركوب - فليعده به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل من زاد، فليعده به على من لا زاد له» قال ابن مسعود: حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل!! مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من تصدق

بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها، كما يربّي أحدكم فلوه - أي مهره - حتى تكون مثل الجبل» متفق عليه.

وبين النبي ﷺ أن الصدقة تظل العبد يوم القيامة وتحول بينه وبين حر الشمس حينما تدنو من الرؤوس. فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي له ﷺ قال: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى - بين الناس» أحمد والحاكم وصححه الألباني.

وبين النبي ﷺ أن أجر الصدقة يقع مضاعفا إلى سبعمائة ضعف يوم القيامة، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعائة ناقة كلها مخطومة» مسلم.

والصدقة تطفي غضب الرب وتدفع ميتة السوء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ «أن الصدقة لتطفي غضب الرب وتدفع ميتة السوء» الترمذي وقال: حسن غريب.

وأخبر النبي ﷺ أنه قال: «لا يخرج أحد شيئا من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطانا» أحمد وابن خزيمة وصححه الحاكم والألباني.

وأخبر الله سبحانه وتعالى أن الصدقة زكاة وطهارة للمسلم، حيث تزكو نفسه وترتفع عن أخلاق السفلة من الشح والبخل ولأثرة وغيرها قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ} [التوبة: 103].

وبين رسول الله ﷺ أن الصدقة لا تنقص المال، بل تزده بما يحصل فيه من بركة الإنفاق والعطاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما نقص من مال من صدقة..» الحديث مسلم.

إخواني: إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلا والنعيم المقيم لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: 148]، {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [آل عمران: 133]، فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة

العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه نafسه وحاول اللحق به بل مجاوزته، فكان تنافسه في درجات الآخرة، واستباقهم إليها كما قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ} [المطففين: ٢٦].

أما نحن فعكسنا الأمر، فصار تنافسنا في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية.

قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة!!
وقال وهيب بن الورد: إذا استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الله فافعل.
وقال عمر بن عبد العزيز في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة:
ليس السابق اليوم من سبق به بغيره، إنما السابق من غفر له.

الله أكبر! أين التنافس إلى الطاعات؟

أين التسابق في الخيرات؟

أين بذل الزكاة والصدقات؟

أين أصحاب الهمم والعزمات؟

* * *

آداب المزكي والمتصدق

أخي المسلم الموفق: اعلم أن الإنفاق يشمل الزكاة المفروضة، والصدقة النافلة، والإيثار والمواساة للإخوان، وينبغي على المزكي والمتصدق مراعاة ما يلي: -

١ - إصلاح النية: فينبغي للمتصدق أن يصلح نيته، فيقصد بالصدقة وجه الله عز وجل، فإنه إن لم يقصد وجه الله، وقصد بها رياء وسمعة لم تقبل منه، وعوقب على ذلك أيضا.

٢ - تخير الحلال: فعن ابن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقبل الله صدقة من غلول» مسلم.

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» مسلم.

٣ - تخير الأجود: قال تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاطِلِينَ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة: ٢٦٧].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أبو طلحة أكثر أنصاري المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء - أرض بالمدينة - وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: {لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]، قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: {لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. متفق عليه.

وعن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل، قال نافع: وكان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن! والله ما بهم إلا أن يخذعوك، فيقول ابن عمر لهم: من خدعنا بالله انخدعنا له!!

وعن سعيد بن هلال أن ابن عمر رضي الله عنهما نزل الجحفة وهو مريض فاشتوى سمكا، فلم يجدوا إلا سمكة واحدة، فلما قربت إليه أتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر خذها، فقال له أهله: سبحان الله! قد عניתنا ومعنا زاد نعطيه. فقال: إن عبد الله يحب!!

وقف سائل على باب الربيع فقال: أطعموه سكرأ فقالوا: ما يصنع هذا بسكر؟ نطعمه خبزا أنفع له. قال: ويحكم أطعموه سكرأ فإن الربيع يحب السكر!!

٤ - تقديم الأقرباء: فمن الآداب أن يقدم المتصدق ذوي الحاجة من أقربائه وذوي رحمه، فقد أمر رسول الله ﷺ أبا طلحة بذلك كما في الحديث

السابق.

وقال رسول الله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني.

٥ - تحري أهل الدين: وعلى المتصدق أن يتحرى بصدقته أهل الدين الذين يستعينون بهذه الصدقة على طاعة الله، ولا ينفقونها في معصيته فيكون معاوناً لهم على المعصية والإثم.

٦ - إسرار الصدقة: وعلى المتصدق أن يسر صدقته ما استطاع، إلا إذا كان في إعلانها مصلحة راجحة، فقد قال الله سبحانه: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢٧١].

وذكر رسول الله ﷺ من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: «ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه» متفق عليه.

٧ - إخراج ما سهل وإن قل: ومن الآداب أن يخرج المعطي ما سهل وإن قل، ولا يرد سائلاً ولو بأيسر شيء فعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل النبي ﷺ شيئاً قط. فقال: لا. متفق عليه.

وقال الحسن: أدركنا أقواماً كانوا لا يردون سائلاً إلا بشيء.

وأتى سائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعندها نسوة، فأمرت له بحبة عنب، فتعجبين النسوة فقالت: إن فيها ذراً كثيراً!! تتأول قوله تعالى {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧].

٨ - ولا يجوز تأخير الزكاة عن وقتها إذا حال الحول لأنها حق للفقير، ويجوز تقديمها على الحول.

٩ - وعلى المتصدق أن يتلطف مع الفقير وهو يعطيه، ولا يبطل صدقته بالمن والأذى قال تعالى: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى} [البقرة: ٢٦٣]، وقال سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٦٢].

١٠ - وعلى المسلم أن يعود نفسه الصدقة والعطاء والإيثار ولو كان

فقيرا قليل ذات اليد، فقد سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الصدقة فقال: (جهد المقل) أحمد والنسائي وأبو داود أي صدقه الفقير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله ﷺ ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما عندنا إلا الماء!! فقال ورسول الله ﷺ «من يضيف هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أن فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين - أي جائعين - فلما أصبح غد إلى رسول الله ﷺ ، فقال «ضحك الله الليلة - أو عجب من فعالكما» فأنزل الله تعالى: {رِئُوسُ ثَرَبٍ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩] رواه البخاري.

إيثار حتى الموت!!

استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى وأتى عكرمة بالماء، فرأى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدؤوا بهذا فجيء إلى الحارث بن هشام فإذا هو قد مات، ثم جيء إلى عكرمة فإذا هو قد مات، ثم جيء إلى سهيل بن عمرو فإذا هو قيد مات، فماتوا جميعا قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: بنفسي أنتم!!

أخي: كم بينك وبين الموصوفين كما بين المجهولين والمعروفين.. أثرت الدنيا، وآثروا الدين... فتلمح تفاوت الأمر يا مسكين!! أم الفقير فما يخطر ببالك.. فإذا جاء سائل أغلظت له في مقالك، فإن أعطيته فحقيرا يسيرا من رديء مالك.

أفضل أوقات الصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: (أن تصدق وأنت شحيح صحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان) متفق عليه.

* * *

صور من إنفاق السلف

تركت لهم الله ورسوله:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوما قال: فجئت بنصف ما لي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله!! فقلت: لا أسابقه إلى شيء أبدا. رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

رجل واحد يجهز جيشا:

وكان عثمان رضي الله عنه من المنفقين أموالهم في سبيل الله، فعن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحدث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله! علي مائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله! علي ثلاثمائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، قال: فرأيت رسول الله ﷺ ينزل على المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما فعل بعد هذه.. ما على عثمان ما فعل بعد هذه» الترمذي وقال: غريب وله شواهد.

يطفىء السراج لئلا يتخرج السائل!!

وروي عن سعيد بن العاص أنه كان يعيش الناس في رمضان، فتخلف عنده ذات ليلة شاب من قریش بعدما تفرق الناس، فقال له سعيد: أحسب أن الذي خلفك حاجة؟ قال: نعم! أصلح الله الأمير. قال: فضرب سعيد الشمعة بكمه فأطفأها ثم قال: ما حاجتك؟ قال: تكتب لي إلى أمير المؤمنين أن علي ديننا، وأحتاج إلى مسكن وخادم. قال: كم دينك؟ قال: ألفا دينار، وذكر ثمن المسكن والخادم، فقال سعيد: تكفيك مؤونة السفر، اغد فخذها منا. فكان الناس يقولون: إن إطفاء الشمعة أحسن من إعطائه المال، لئلا يرى في وجهه ذل المسألة!!

بشرى للفقراء

قال ابن رجب: وقد كان بعض الصحابة يظن أن لا صدقة إلا بالمال، فأخبره النبي ﷺ أن الصدقة لا تختص بالمال، وأن الذكر وسائر أعمال المعروف صدقة كما في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟ إن بكل تسيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة».

تصدق بعض الأغنياء بمال كثير، فبلغ ذلك طائفة من فقراء الصالحين، فاجتمعوا في مكان، وحسبوا ما تصدق به من الدراهم، وصلوا بدل كل درهم تصدق به الله ركعة!! هكذا يكون استباق الخيرات، والتنافس في علو الدرجات.

فسبحان من فضل هذه الأمة وفتح لها على يدي نبيها أبواب الفضائل الجمّة، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعجز عنه آخرون، إلا وقد جعل الله لمن عجز عملاً يساويه ويفضل عليه، فتتساوى الأمة كلها في تحصيل الخيرات ونيل علو الدرجات.

مجالات الصدقة

أخى المسلم: للصدقة مجالات عديدة جداً يصعب حصرها، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض هذه المجالات على سبيل الاختصار:

الإنفاق على الفقراء والمحتاجين وإسقاط الديون عن المدينين.

بناء المساجد والإنفاق عليها وعلى الأئمة والمؤذنين والقائمين عليها.

سقي الماء وحفر الآبار في الأماكن التي لا يصل إليها الماء.

إطعام الطعام وشراء الملابس وتوزيعها.

الإنفاق على طلبية العلم وشراء الكتب والأدوات الدراسية لهم.

طباعة الكتب والأشرطة الإسلامية وتوزيعها.

توزيع المصحف الشريف على الشعوب الإسلامية في العالم
الإنفاق على حلقات تحفيظ القرآن الكريم ورصد المكافآت للطلاب
والمدرسين.

بناء المدارس ودور العلم والمستشفيات.

بناء الملاجئ ودور الأيتام والمسنين والمساكن للغرباء من طلبة العلم
وأبناء السبيل.

الصدقة على فقراء الحجاج والمعتمرين والزوار وتوفير الطعام
والشراب والمراكب لهم.

الإنفاق على الأرامل والأيتام وكبار السن.

الإنفاق على الجهاد والمجاهدين ودعم المستضعفين من المسلمين في
كل مكان.

مساعدة الشباب المسلم على الزواج.

الإنفاق على الدعاة وإرسالهم إلى مشارق الأرض ومغاربها.

رعاية الأقليات المسلمة في العالم، وربطهم بدينهم حتى لا تنوب
هويتهم الإسلامية.

تخصيص الأموال للجوائح والعوارض الطارئة كالحرائق والأمراض
والكوارث والزلازل والسيول وغيرها.

الإنفاق على مغاسل الأموات التي تقوم بتجهيز الموتى مجاناً.

وغیرها كثير كثير.....

أصحاب الهمم العالية

أخي المسلم: صاحب الهممة العالية، والنفس الشريفة لا يرضى
بالأشياء الدنية الفنية، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الذاكية
التي لا تفنى، ولا يرجع عن مطلوبه ولو تلفت نفسه في طلبه، ومن كان
في الله تلفه، كان على الله خلفه.

قيل لبعض المجتهدين في الطاعات: لم تعذب هذا الجسد قال: كرامته

أريد!

وإذا كانت النفوس كبارا :: تعبت في مرادها الأجسام
من يهن يسهل الهوان عليه :: ما لجرح بميت إيلام
قال عمر بن عبد العزيز: إن لي نفسا تواقّة، ما نالت شيئا إلا تافت
إلى ما هو أفضل منه، وأنها لما نالت هذه المنزلة - يعني الخلافة -
اشتافت إلى الجنة -

* * *

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(أحبتي في الله)

قيمة كل إنسان ما يطلب، فمن كان يطلب الدنيا فلا أدنى منه، فإن
الدنيا دنية، وأدنى منها من يطلبها، وهي خسيصة، وأخس منها من
يخطبها. قال بعضهم: القلوب جوالّة، فقلب يجلو حول العرش، وقلب
يجول حول الحش.

العاقل يغبط من أنفق ماله في سبيل الخيرات ونيل علو الدرجات،
والجاهل يغبط من أنفق ماله في الشهوات، وتوصل إلى اللذات
والمحرمات.

العالى الهمة يجتهد في نيل مطلوبه، ويبذل ماله في الوصول إلى
رضا محبوبه، فأما خسيس الهمة فاجتهاده في متابعة هواه، ويتكل على
مجرد العفو، فيفوته - إن حصل له العفو - منازل السابقين.

قال بعض السلف: هب أن المسيء عفي عنه أليس قد فاتته ثواب
المحسنين؟!

فيا مذنبا يرجو من الله عفوّه أترضى بسبق المتقين إلى الله؟!

* * *

قصة فيها عبرة:

فهذه قصة عظيمة تتعلق بالصدقة والنفقة، يرويها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: (بيننا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة يقول: اسق حديقة فلان، فتتحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال: يا عبد الله! لم تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذا قلت هذا، فإنني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعتالي ثلثاً، وأردّ فيها ثلثه) هذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى وأحمد في مسنده في كرامة وليٍّ من أولياء الله كان مشهوراً بالصدقة، والإنفاق في سبيل الله.

وقد حصل أن رجلاً كان يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة، ولعل هذا الصوت صوت ملك من ملائكة الله عز وجل، يقول: (اسق حديقة فلان) - يأمر السحاب، فالسحاب تنحى إلى حرّة؛ وهي الأرض الملبسة بالحجارة السوداء، تنحى السحاب إليها، وأفرغ ماءه فيها كله - (فإذا شرجة من تلك الشراج...) شرجة من تلك الشراج، وهي: مسایل الماء في الحرار أو الحرّة، فيها طرق وأخاديد تمشي فيها المياه وتسيل، إحدى الشراج استوعبت الماء الذي أمطر على الحرّة كله، فتتبع الماء إلى أين يذهب؛ فإذا الماء يذهب إلى حديقة وبستان معين، وإذا رجل في البستان يحوّل الماء بمسحاته، صاحب الحديقة يحوّل الماء بالمسحاة وهي: المجرفة من الحديد.

فالذي سمع الصوت في السحابة يقول: (اسق حديقة فلان) جاء إلى صاحب الحديقة وقال له: يا عبد الله - وهذا الذي ينادى به الشخص غير المعروف الاسم، قال له بدل ما يقول: يا فلان قال: يا عبد الله - ما اسمك؟ قال: فلان...) سمى نفسه، فإذا بالاسم يطابق الاسم الذي سمعه في

السحابة، الصوت الذي قال: (اسق حديقة فلان).

ثم إن صاحب البستان استغرب من سؤال هذا الرجل عن اسمه، فسأله: (لماذا تسأل عن اسمي؟) - فأخبره أنه سمع صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه لأنه تتبع المطر الذي نزل من هذه السحابة حتى وصل إلى هذا البستان - (فقال له: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان باسمك - نفس الاسم، تطابق الاسم - فما تصنع فيها؟...) لماذا الماء الذي نزل من السحابة على الحرّة نزل كلّهُ في إحدى الشراج التي تؤدي إلى بستانك أنت بالذات؟ ماذا تصنع في هذه الحديقة؟ قال: أمّا إذا قلتَ هذا - أمّا وقد قلتَ ما قلتَ وغُيِّبَتْ ولا طريقة لإخفاء عملي - فإنني أنظر إلى ما يخرج منها - ثمار هذا البستان - فأتصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه) فقسّم الغلة ثلاثة أقسام.

فوائد حديث صاحب الحديقة

يؤخذ من هذا الحديث:

إثبات كرامات أولياء الله

أولاً: إثبات كرامات أولياء الله تعالى: وأن الله عز وجل قد يسخر سحاباً لسُقيا حديقة معينة وبستان معين من بين جميع البساتين في المنطقة؛ وذلك لصالح صاحبه، ونفقته في سبيل الله.

فضل الإنفاق في سبيل الله وعلى الأهل والولد وأن الله يخلفه

ثانياً: فضل الإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على الأهل والأولاد.

الفائدة الثالثة: أن الله سبحانه وتعالى يخلف النفقة ولا يضيع أجر المحسنين لا في الدنيا ولا في الآخرة: ولذلك فإنه سبحانه يعوّض هذا الرجل كلما أنفق بماء يسقي بستانه من غير حفر من صاحبه ولا تعب، ماء يسيل بالذات لأجل إكرام هذا العبد.

إمكان سماع صوت الملائكة

ورابعاً: أنه يمكن شرعاً أن يسمع بعض الناس صوت الملائكة: وقد حدث أن الله سبحانه وتعالى أرسل بعض الملائكة لبعض الناس مثل:

المَلَك الذي أرسله الله على مدرجة رجل ذهب ليزور أخاً له في الله، فسأله واستوثق منه عن سبب ذهابه إليه، ثم أخبره أن الله يحبه على هذا الفعل.

وكان عمران بن حصين من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يسمع تسليم الملائكة عليه.

فإذاً: يمكن لبعض الناس البشر أن يسمع صوت الملائكة.

للسحاب ملائكة موكلون

وخامساً: أن الله تعالى قد وكل بالسحاب ملائكة يسوقونها إلى المكان الذي قدر الله عز وجل وشاء أن تمطر فيه فتمطر.

الحكمة في التصرفات المالية

والفائدة السادسة: أهمية الحكمة في التصرفات المالية: - فإن بعض الناس سفهاء، لا يجوز أن يوضع المال في أيديهم أصلاً، قال الله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} [النساء: ٥]؛ لأنهم لا يحسنون التصرف فيها، ولذلك جعل على مال السفهية ولي في الشريعة، يشرف على إنفاق ماله وتنميته له: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا} [النساء: ٥]، فالمال قوام الحياة والعيش.

هذا الرجل يحسن ما لا يحسنه كثير من الناس.

هذا الرجل قد قسم غلة بستانه إلى ثلاثة أقسام: - قسم يتصدق به: وهذا الذي بدأ به في الحديث، قال: (فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه...) هذا أولاً.

- (وَأَكَلْنَا أَوْ عِيَالِي ثَلَاثًا).

- (وَأَرَدَ فِيهَا ثَلَاثًا).

فانظر إلى حكمة هذا الرجل وحسن تصرفه، كيف قسّمها أثلاثاً.

إذاً توزيع الدخل إلى نسب معينة هذا من الحكمة وحسن التخطيط؛ أن يعرف الإنسان الراتب الشهري الذي يأخذه مثلاً، العائد الذي يعود عليه، الرزق الذي يُرزقه يقسم أقساماً، فتقسيم الراتب، أو تقسيم العائد ليست

عملية مبتدعة جديدة جاء بها الاقتصاديون الجدد أبداً، وإنما هو شيء قديم ومعروف فعله هذا الرجل الصالح من قبلنا، فعله هذا الرجل الصالح الذي قسّم دخل بستانه إلى هذه الثلاثة أقسام.

فاذاً تقسيم المدخول إلى أقسام معينة يُصرف كل قسم في مصرف معين لا شك أنه من الحكمة، وبُعد النظر، وحسن التصرف، وهذا شيء مطلوب شرعاً.

لا بد من رعاية المال.

الفائدة السابعة: أن الإنسان عليه أن يرعى ماله: ولذلك قال الرجل: (وأرد فيها ثلثاً) فالمزرعة والبستان تحتاج إلى نفقة؛ قيمة بذور، أجره عمال، ونحو ذلك من الأشياء، وهذه النفقة قد أخذها هذا الرجل من الغلة التي تعود عليه لإصلاح ماله وتنميته والقيام عليه، وهذا من الحكمة أيضاً.

(الشخص الذي لم يعرف اسمه ينادى بـ (عبد الله)).

وثامناً في هذه القصة: أن الإنسان إذا لم يعرف اسم شخص فإنه يناديه: بعبد الله: إذا أردت أن تتادي شخصاً في الشارع لسبب من الأسباب، أو في محل وأنت لا تعرف اسمه فلا تقل يا بعض الناس يقول: يا.

بدون شيء؛ وهذا من قلة الأدب، أو يقول: أنت يا هاء؛ وهذا أيضاً ليس من الأدب، فما هو الأدب الشرعي في هذه الحالة؟ الأدب الشرعي كما ورد في عدد من الأحاديث: أن ينادى بعبد الله، فيقال: يا عبد الله، وهو فعلاً عبدٌ لله، فأنت صادق في إطلاق هذا الاسم عليه لأنه عبدٌ لله، وبعد ذلك يمكن سؤاله عن اسمه: (يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان).

رفع الحرج في سؤال الشخص عن اسمه

وفيه أنه لا حرج شرعاً مطلقاً في سؤال الشخص عن اسمه بهذه الطريقة: (يا عبد الله! ما اسمك؟) فأجابه.

وأنه لا حرج على الإنسان أن يسأل السائل عن اسمه لماذا يسأله عن اسمه، فيقول له: (لِمَ تسألني عن اسمي؟) كما فعل هذا الرجل.

الإخبار بالكرامة مع عدم أمن الفتنة

الفائدة العاشرة: أنه لا بأس بإخبار الشخص عن كرامة الله له إذا كان يؤمن عليه من الفتنة: فمن باب البشارة يقال له: حصل كذا وكذا من الأشياء الصالحة، أو النعم، أو الكرامات التي أكرمها الله بها.

الأصل والأفضل إخفاء الأعمال الصالحة

الفائدة الحادية عشرة: أن على الإنسان أن يخفي عمله الصالح: وألا يجاهر به، وألا يعرضه للبطلان والحبوط بالرياء والسمعة. والفرق بين الرياء والسمعة: أن الإنسان يفعل العمل أمام الناس ليراه الناس، هذا الرياء.

السمعة: أن يتحدث الإنسان عن أعماله الصالحة، العبادات مثلاً ليسمعه الناس؛ كلا هذين الأمرين خطير جداً ويُبطل العمل، والله يقول يوم القيامة للعبد هذا: (أذهب خذ أجرك من الذين راءيتهم، أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك معي فيه أحد غيري تركته وشركه).

فإذا إخفاء الأعمال مطلوب.

ولكن الإنسان إذا اضطر إلى الإجابة عن شيء معين تطيباً لخطر شخص، أو أن يُقتدى به فلا بأس أن يُخبر عن عمله الصالح، ما دام لا يقصد الرياء والسمعة واحتيج إلى ذلك، دعت الحاجة إليه، لا بأس أن يُخبر بما عمل إذا كان هناك مصلحة شرعية في هذا العمل.

جواز التحديث عن أخبار من قبلنا

وفي هذا الحديث أيضاً من الفوائد: التحديث عن أخبار من قبلنا حتى يكون في ذلك عبرة لنا وقدوة: - وهكذا دائماً دأب الصالحين

بمن قبلهم: {لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً} [يوسف: ١١١]، {لِيُهْدِيَهُمْ لِقَتَدَةٍ} [الأنعام: ٩٠].

أسأل الله وحده أن يجعلنا من عباده المنفقين في سبيله وأن يفتح

لنا أبواب السماء وأن يجعل نفقاتنا في سبيلة وابتغاء مرضاته.
إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

«من مفاتيح الرزق تفرغ القلب لعبادة الله سبحانه»

(أحبتي في الله)

إن من مفاتيح الرزق في الدنيا التعبد الحق لله عز وجل وذلك أن تعبد الله بقلب فارغ عما سواه، لا تعبد ربك وأنت تفكر في غيره، روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم: تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك» حديث صحيح. والتفرغ المطلوب أيها الأحبة لا يعني ترك كسب الرزق فيصير العبد عالة على غيره، بل ذلك بأن يفرغ العبد قلبه أثناء العبادة عما سواه، فمثلاً الصلاة، (كما سنذكر إن شاء الله) لا تكن من الذين يصلون بأجسادهم وقلوبهم تحلق يميناً وشمالاً.

(أحبتي في الله)

العبودية الصادقة تسمو بها الروح، وتتهذب فيها غرائز العبد وشهواته، ويترجح جانب الخير على جانب الشر، ويتجلى وقوف العبد بين يدي ربه واستحضار علمه وعظمته وإحاطته.

(أحبتي في الله)

إن العبودية هي أعظم ما يحصله الإنسان في هذه الحياة؛ لتكون وسيلته إلى السعادة ورضا الله وبلوغ جنته ودار رضوانه، وفي الحديث القدسي: (يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك) أخرجه ابن ماجه بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ.

القلب إذا ذاق طعم العبادة والإخلاص لم يكن عنده

شيء قط أحلى من ذلك ولا أذ ولا أمتع، يقول ﷺ: «ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً».

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } لَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
[البقرة: ١٨٦].

* * *

أمور تعين على تحقيق العبودية

أيها الموحدون: إن مما يعين على تحقيق العبودية وإحسان العبادة حضور القلب، وإخلاص النية، وتحديث القلب وتذكيره بالتعبد لله في حال العبادة وخارجها، وهذا التذكير نهرٌ يمد القلب باللين والرقّة والخشوع حتى لا يشح ماؤه، ولا يصيبه القسوة عياداً بالله.

أيها المسلمون: ولكل عبادة تهيوّ يناسبها، فمن التهيوّ للصلاة حسن الاستعداد من إسباغ الوضوء، والتبكير إلى المسجد، والمشي بسكينة ووقار، يقارنه تهيوّ نفسي ومعالجة قلبية.

ومن التهيوّ للحج والعمرة رد الأمانات والمظالم إلى أهلها، وتحري النفقة الحلال، واختيار الرفقة الصالحة، ورعاية آداب السفر، وغير ذلك مما يعين على تحقيق المقصود من العبادة.

كما ينبغي في كل عبادة الابتعاد عما يشوش القلب، فينخلع القلب عن علائق الدنيا وينجذب بكلّيته إلى ربه ومولاه.

ومما ينبغي أن يعلم أن ربنا جل شأنه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وفي الحديث القدسي: (يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً) ومع غناه سبحانه فإنه يحب المتقين، والمحسنين، والصابرين، والتوابين والمتطهرين.

* * *

من ثمرات العبادة التي يؤديها المسلم لربه

منها اطمئنان قلبه واستقامة جوارحه، وهو ما يُكسب المرء سعادة الدنيا، وهي عاجل نصيبه من الخير، الذي ليس آخره ما نشهده من استقرار نفسي واجتماعي في حياة المسلمين الملتزمين بهدي الإسلام،

فهو ثمرة من ثمرات الطاعة والإيمان: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً} لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ [النحل: ٩٧].

وفي المقابل فإن ما تشهده بعض المجتمعات من جرائم اجتماعية وأمراض نفسية وحالات اكتئاب أدت إلى نسب مرتفعة ومقلقة في الانتحار^(١)، إنما هو ثمن عادل تدفعه البشرية جزاءً وفاقاً لتتكبها هدي الله وإعراضها عنه {فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

لكن الجزاء الأكبر الذي يحوزه المؤمن - بعبادته لربه - هو جنة الله ورضوانه: {نَقُومُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ [غافر: ٣٩ - ٤٠].

* * *

العبادة والأخلاق

(أحبتي في الله)

إن من أهم ما بعث الله الأنبياء من أجله؛ تزكية عباده وتحليتهم بالخلق الحسن والسلوك الأقوم، وقد امتن الله على البشرية بمحمد ﷺ الذي دعا إلى تزكية نفوسهم وخلوصها من عيوبها وأفاتها: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ۚ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ الْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

(١) تشير إحصائية منظمة الصحة العالمية - التي صدرت في اليوم العالمي لمنع الانتحار والاهتمام بالصحة العقلية في العاشر من شهر سبتمبر من العام ٢٠٠٦م - إلى أن عشرين مليون شخص يحاولون الانتحار سنوياً، وأن الذين ينجحون ويموتون فعلياً منتحرين يربو على مليون شخص سنوياً.

فتزكية النفوس بالأخلاق الفاضلة هدف رئيسي في بعثة الأنبياء، ومنهم محمد ﷺ القائل: «إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق»^(١).

وقد قدم ﷺ القدوة الحسنة لأصحابه حين تمثل جميل الأخلاق وصفات الكمال، ممتثلاً ما يوحي الله إليه في القرآن، فكان في خلقه كما وصفه ربه: {وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، وصادقت على هذا الوصف زوجه عائشة فقالت: (كان خلقه القرآن)^(٢)، وأكدته صاحبه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بقوله: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»^(٣).

إن الأهمية البالغة للأخلاق جعلت النبي ﷺ يربط خيرية المسلم عند الله بحسن الخلق الذي يتقل في الميزان حسنات المؤمن ويحبيه إلى الله، فقد قال ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليغضض الفاحش البذيء»^(٤)، فحسن الخلق يحسب للعبد في ميزانه بمثابة عبادتي الصوم والقيام لله في الليل، وهما من أفضل العبادات وأرفعها في ميزان المسلم، يقول ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(٥).

- يقول الإمام ابن الجوزي في التبصرة -

يا هذا لو صحت منك العزيمة أوقعت في جيش الهوى هزيمة، إن في البدن مضغة إذا صلحت صلح البدن وإذا فسدت فسد البدن ألا وهي القلب، يا هذا متى حصل الفساد في رأي الملك تشتت الأعوان، ومتى رمي القدر في فوهة النهر أثر في المشارع.

يا هذا إن أردت لقاءنا في حضرة القدس، واشتاق سمعك إلى نغمات

(١) أخرجه أحمد ح (٨٧٢٩) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد ح (٢٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

(٢) أخرجه أحمد ح (٢٤٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٥٥٩)، ومسلم ح (٢٣٢١).

(٤) أخرجه الترمذي ح (٢٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح (٢٦٤١).

(٥) أخرجه أبو داود ح (٤٧٩٨)، وأحمد ح (٢٤٤٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (٢٦٤٣).

الأنس، فصم عن لذات النفس وشهوات الحس، واصبر على قطع مفاوز الحسن واستأنس ببئك في بيت الوجد، واقض نهار المنى بمحادثة الفكر. واقطع أمل الهوى بقهر العزم، واقرع فضول الكلام بسوط الصمت. وأقم على طرف طرفك حاجب الغض، وانبذ إلى كلب الشهوات كسر الصبر.

وفرغ دار عزلتك من شواغل القلب، فإذا سمعت ضجيج محبوس النفس يستغيث من سجن الزهد لشدة الحصر فصح. يا صاح اصبر على ضيق الحبس، لعلك تخرج إلى رياض اجعلني على خزائن الأرض.

(وقد صمت عن لذات دهري كلها.

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي)

(انتهى من التبصرة)

* * *

[من أسباب تزكية النفس]

تلاوة كتاب الله

السبب الأول: تلاوة كتاب الله الكريم: أعظم علاج لهذه النفوس، وأعظم دواء لهذه القلوب، يقول الله عز وجل: {يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾} [يونس: ٥٧ - ٥٨].

هذا هو العلاج الرباني والدواء الإلهي لأمراض النفوس، كتاب الله، ويوم أعرضت الأمة عن كتاب الله مرضت وتدهورت، بل ماتت إلا من رحم الله، تصور أنك إذا قرأت القرآن شافى الله قلبك ونفسك، أجل علينا أيها الإخوة بالعودة الصادقة إلى كتاب الله.

أولاً: قراءة القرآن بالتجويد والترتيل؛ لأن الله أنزل القرآن هكذا، لا يقرأ كما تقرأ الصحيفة لا.

لا بد أن تقرأ القرآن بالترتيل، يقول الله: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ٤]، لا بد من الترتيل، ويقول ابن الجزري في منظومته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم :: من لم يجد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا :: وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضاً حلية التلاوة :: وزينة الأداء والقراءة
الآن إذا قرأ رجل بتجويد، وقرأ آخر بدون تجويد، ما رأيكم
بالقراءتين؟ ومعنى تجويد أي: تحسين وضبط.

عندما تقول للعامل وهو يبني لك جداراً، تقول: جود البناء، جود المكان، أي: أتقن، كذلك القرآن هو أولى بالإتقان، وأولى بالتجويد، فأولاً: يجب أن تعود إلى القرآن عن طريق شيخ، والحمد لله لقد قامت الحجة على العباد، ما من مسجد إلا وفيه عالم يدرس القرآن للأطفال والكبار، قالوا: الكبار مشغولون، نقول: القرآن ما أنزل لمخاطبة الصغار - يا إخواني - القرآن هذا للأمة كلها كبيرها وصغيرها، يجب أن يجلس الكبير والصغير والشيخ والطفل كلهم عند ركب العلماء لتعلم القرآن، وهل لك عمل غير كلام الله؟ أي: ما نتجرد أن تكون مشغولاً بالقرآن، مشغول بالجلوس في الدكاكين وفي مكاتب العقار، وفي الشوارع، وعلى رءوس الطرقات، مشغول بمتابعة الأخبار والمباريات، هل هذا شغل؟ أشغل نفسك بكلام الله، إنها والله مصيبة على الأمة، أن تعزف عن القرآن.

فمرضت النفوس بأسباب عدم التداوي بالقرآن الكريم، ولذا نقول لكل مسلم من الآن: برمج أيامك ووقتك، بين المغرب والعشاء، لا تشتغل بعمل، ولا تذهب إلى وليمة ولا تذهب إلى سوق ولا إلى مكان إلا في المسجد، ابدأ بالحفظ؛ لأن الله عز وجل أثنى على الذين يحفظون القرآن، قال الله عز وجل: {بَلْ هُوَ آيَتٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩]، اللهم اجعلنا وإياكم منهم.

وأشرف الأمة هم حفظة القرآن الكريم، ومن حفظ القرآن فقد استدرج النبوة غير أنه لا يوحى إليه، والله أثنى على القراء في قوله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَكُونَ ﴿٢٩﴾ { [فاطر: ٢٩]، كل تجارة معرضة للربح والخسارة إلا التجارة مع الله لن تبور، ما هي التجارة؟ قال عز وجل: { لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ يَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ } إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ { [فاطر: ٣٠]، قراءة وحفظاً وعملاً وتطبيقاً ودعوة.

يقول لي أحد المسؤولين في أحد السجون: كان عندهم سجين محكوم عليه بعشرات السنين في قضية مخدرات، يقول: وفشلت كل وسائل التوجيه والضرب والتعزير له عن السلوك السيئ في السجن فهو شرير، ويضاف - أيضاً - فله سنوات على ما هو فيه ولا يبالي، يقول: ويأتي أحد الدعاة، ويتكلم مع السجناء، ويدل الناس على القرآن الكريم، ثم يأتي هذا المسجون بنفسه ويسأل قال: أنا أسمع أن هناك مكرمة للذي يحفظ القرآن أنه يسقط عليه من سنوات السجن، هل هذا ينطبق عليّ؟ قال: لا أدري نسأل لك، وسأل أمن السجن، قال: نعم. ينطبق عليه.

قال: إذا أنا بدأت أحفظ، يقول: ويحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب، وهو صاحب مخدرات، يقول: وتستقيم أخلاقه وتتغير حياته، ولم يعد ذلك الشرير، ولا ذلك السيئ، وإنما ذلك الرجل الهادئ، لا نراه إلا والمصحف في يده، لا نراه إلا قواماً في الليل، ويتغير كل الذين كانوا معه في غرفته إلى طيبين، فقد أثر فيهم، ويقول: أيام وليال وتأتي المكرمة ويخرج من السجن، وكان قد دخل في السجن في قضية أخرى، وكلما أخرجوه عاد، يقول: في آخر مرة عندما خرج وهو حافظ القرآن، خرج داعية إلى الله، واستقامت أموره، وصلحت أحواله، وهو الآن من أحسن الناس ديناً بسبب القرآن.

أول شيء وأول سبب وأعظم سبب لتزكية النفس القرآن، وستبقى النفس هينة وستبقى النفس مريضة كلما ابتعدت عن القرآن الكريم، ولذا نقول قولاً - أيها الإخوة -: امروا حياتكم بكتاب الله، ولا يمر عليكم يوم إلا بتلاوة من القرآن، واقرأوا في مجالسكم ومع أولادكم شيئاً من القرآن، واسمعوا إذاعة القرآن الكريم، واسمعوا أشرطة القرآن، واجعلوا أنفسكم

دائماً مع القرآن، هذا السبب الأول.

دراسة سنة النبي ﷺ

السبب الثاني: من أسباب تزكية النفس، دراسة سنة النبي ﷺ : فإنها المكمل للقرآن والموضحة له، وهي أحد الوحيين، وهي التي فصلت لنا كتاب الله، وما جاء ﷺ بشيء منها من عنده، وإنما هو من عند الله: {إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: ٤].

وما ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، فاجعل لك موعد مع السنة، اختر كتاباً من كتب السنة، وليكن بلوغ المرام، أو رياض الصالحين، واقرأ يوماً حديثاً واحداً، ثم أتبعه على زوجتك، وعلى أولادك، ثم بالتليفون كلم به زميلك، ثم احفظ في كل يوم حديثاً، كم يكون لديك بعد سنة؟ تكون عالماً من العلماء، إذا عندك ثلاثمائة وستون حديثاً، خلال سنة واحدة، هذا علاج للنفس، لكن القرآن مرفوض والسنة مرفوضة، والنفوس مريضة ومتى تتعالج، أردنا أن نعالجها فوضعنا (الستلايات) فماتت، كان فيها بصيص، فجاء هذا وقضى على البقية الباقية، إن علاج النفوس في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ.

كثرة ذكر الله عز وجل

الدواء الثالث من الأدوية، التي تعالج النفس وتزكيها: كثرة ذكر الله: وهذا كالإجماع عليه بين الأمة، يقول ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى في الجزء العاشر في السلوك، وقد سئل عن أفضل عمل قال: أما أفضل عمل فهو كالإجماع بين الأمة أنه ذكر الله، ويستشهدون بحديث النبي ﷺ في السنن: (ألا أدلكم على أفضل الأعمال عند ربكم، وأزكاها عند مليكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم، قلنا: بلى يا رسول الله! قال: ذكر الله عز وجل).

ويروي الترمذي عن عبد الله بن بشر وذكره صاحب جامع العلوم والحكم وأضافه إلى الأربعين النووية، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ. وقال: (يا رسول الله! كثرت علي شرائع الدين، فأخبرني بعمل أتشبث

به وأوجز - يقول: لا تكثر عليّ، ولكني سأمسك العمل هذا، فقال له ﷺ في جواب يدل على نبوته، بل من دلائل نبوته أنه أوتي جوامع الكلم - قال له: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) لأن اللسان الرطب من ذكر الله لا يمكن أن يعمل المعاصي، هل الزاني يزني ويذكر الله؟! هل شارب الخمر إذا شرب الخمر يذكر الله؟! الذي يشرب الدخان ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم! الذين ينظر إلى الأفلام هل يمكن أن يذكر الله؟ لا.

من الذي يعمل هذه الجرائم والمعاصي؟ الغافل عن الله، لكن من يذكر الله، ورطب لسانه بذكر الله، وعينه تدمع من خشية الله، وقلبه منور بخوف الله، هذا ينجح بإذن الله، ويفوز في الدنيا والآخرة.

فكيف أذكر الله؟ يقول الله تبارك وتعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢]، والله يمتدح الذاكرين فيقول: {كَرِهُوا لِلَّهِ كَثِيرًا} [البقرة: ١٧٧]، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]، ما هو الذكر؟ قال العلماء: الذكر خمسة أنواع: النوع الأول: ذكر الله عز وجل عند ورود أمره، إذا ورد عليك أمر الله وقمت بتنفيذ أمره فأنت ذاكر حقيقي، لأن الله يقول: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤]، لكن عندما تنام وهو يؤذن وتقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر وأنت نائم، فأنت ذاكر صوري، لا.

إذا سمعت أمر الله فانهض، هذا الذكر الحقيقي، ذكر الله عند ورود أمره.

النوع الثاني: ذكر الله عند ورود نهيه، إذا كنت في الشارع ورأيت امرأة متبرجة فاتنة، وذكر الله وخوفك من الله، وذكرت أن الله مطلع عليك، وغضضت بصرك، هذا الذكر الحقيقي، أنت ذاكر لله: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَفْعَلْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [١٣٥] {أُولَٰئِكَ جَرَّأُوهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦].

هذا أهم شيء، أن تذكر الله عند الأمر فتقوم به، وأن تذكر الله عند النهي فتتركه.

النوع الثالث: ذكر الله في الأحوال والمناسبات: فإنه ما من حالة إلا ولها ذكر من حين أن تستيقظ حتى تنام، إذا استيقظت تفتح عينك وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور.

وعندما تدخل الحمام، قبل أن تدخل، تقدم اليسار وتقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، ومن الرجز النجس الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا أكملت الوضوء وقضاء الحاجة وخرجت، تقدم اليمنى وتقول: غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني.

وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه، وأذكار النوم وأذكار اليقظة، وأذكار الأكل، وأذكار النكاح، وأذكار لبس الثوب، وأذكار نزول المطر، وكل شيء له ذكر.

وحالة الذكر يجب عليك أن تعرفها، وتحفظها وتقولها وهذا معنى حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ: (كان يذكر الله في سائر أحواله) أي: في كل أحواله، وفي ملابساته، التي كانت تلابسه خلال حياته.

النوع الرابع: الذكر العددي الذي شرعه الشارع وحدد فيه عدداً معيناً، مثل قوله ﷺ والحديث في البخاري: (من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له مائة حسنة وحط عنه مائة خطيئة، وكانت حرزاً له من الشيطان، وكان كمن أعتق عشر رقاب، ولم يأت أحد بأحسن أو أفضل مما جاء به إلا رجل قال مثلما قال أو زاد).

لابد أن تأتي بالمائة بالضبط؛ لأن العدد هنا مقصود، ما دام حدد العدد في الشرع، فإن العدد مراد، وإذا زدت فلا بأس، لماذا؟ لأنه في الحديث قال: (أو زاد) لكن إذا لم تأت زيادة فحدد مثل حديث مسلم: (ومن قال عقب الصلاة: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له

الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفر الله له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر).

انظروا الجزاء - يا إخواني - والعمل بسيط، العمل لا يتجاوز دقيقتين، لكن الجزاء أن يغفر الله ذنبك ولو كان كزبد البحر، لكن الشيطان يحرص على ألا تقولها، فيذكرك بشيء حيث تخرج قبل أن تقولها، أو تقولها بغير عدد، ما إن ينصرف الإنسان من الصلاة حتى يبدأ يقول: كذا، وهذا ليس تسبيحاً، هذه بسبسة، التسبيح: سبحان الله والحمد لله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، وإذا قاطعك أحد وشغلك لا تتشغل به، تعد هذا كالذهب، والله أعظم من الذهب، والله لسبحان الله هذه أعظم من الدنيا وما عليها، إذا كانت تملأ ما بين السماء والأرض كيف تضيعها؟ لكن بعضهم يسبح ولا يعد، ولا يعلم أنهم مستنطقات، فعليك أن تعد وتحصر حتى تأتي بتسعة وتسعين، ثم تقول لا إله إلا الله، وترجو الله أن يقبل منك، الآن إذا استلمت الراتب، تعده أولاً تعده؟ تعده وقلبك مفتوح وعيونك مركزة، وتفركها، لئلا يكون هناك نقص وإذا أتى شخص وحياك، أو سلم عليك وأنت تعد تقول: السلام عليكم، واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة عشر ستة عشر ثمانية عشر، لماذا؟ لأن هذه فلوس، لا يمكن أن تعدها وأنت لاه عنها، لأنها حلت في قلبك.

تذكر كتب العلم: أن سليمان بن داود كان على البساط، والله قد سخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر ورواحها شهر، أي: مسافة شهر تأخذها في غدوة، ومسافة شهر تأخذها في روحة، فكان في رحلة ومعه أهله وحاشيته، فمر على قرية وحجب البساط الشمس عن الأرض، فنظر فلاح في مزرعته، يرى الشمس فلا يراها، وإذا بالريح تحمل البساط وعليه أسرة سليمان، فقال: سبحان الله! لقد أوتي آل داود ملكاً كبيراً، فسمعه سليمان من فوق فأمر الريح أن تنزل وأتى إليه، وقال: ماذا قلت يا أخي؟ قال: ما قلت شيئاً، خاف، قال: بل قلت كلمة، قال: لقد قلت: سبحان الله! لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، قال: والذي نفسي بيده، إن الكلمة التي قلتها أعظم مما أوتي آل داود.

سبحان الله: تنزيهه لله، تعظيمه لله، وما تأتي سبحان الله إلا بعد شيء

يوصف به الله، وهو لا يليق به، فيقول: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء: ٩٣]، أجل ذكر الله العددي مطلوب بعده.

الخامس: ذكر الله في كل وقت وهو الذكر المطلق: أن تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما شاء الله، لا إله إلا الله، سبحان الله، فإذا قلت ذلك لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله، يقول الله في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني أو تحركت بي شفتاه» كلما ذكرت الله، الله معك.

(أنا مع عبدي ما ذكرني، أو تحركت بي شفتاه، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة، وكنت إليه بكل خير أسرع).

هذا معنى ذكر الله الذي هو شفاء للقلوب والنفوس، وانظروا واستقرءوا دائماً الذي نفسه مريضة لا يحب ذكر الله، بعضهم يمر عليه شهر أو شهران، ما قال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والذي نفسه حية، وقلبه حي وصحيح، لا يفتر عن ذكر الله.

وقد جاء في الحديث: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله، كمثل الحي والميت»، الحي يذكر الله، والميت لا يذكر الله، فهذا هو سبب رئيسي مثل السببين الأولين.

الأول: تلاوة القرآن وتعلمه وحفظه، وتطبيقه، والاستشفاء به.

الثاني: تعلم السنة، والانصياع لها والتمسك بها.

الثالث: ذكر الله عز وجل.

المحافظة على الطاعات والابتعاد عن المعاصي وقرناء السوء

الرابع: من وسائل وأسباب تزكية النفس، المحافظة على الطاعات كلها، وفي مقدمتها الصلوات الخمس.

الخامس: البعد عن المعاصي والذنوب، صغیرها ودقیقها، وجلیلها؛ لأن هذه حماية للنفس من المرض.

السادس: الابتعاد عن قرناء السوء؛ لأن قرناء السوء، يندسون النفس.

السابع: الحرص على الرفقة الصالحة والزملاء الصالحين، الذين يعينونك على طاعة الله، ويذكرونك إذا غفلت، هؤلاء من أسباب علاج نفسك وتزكيتها.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يزكي نفوسنا، وأن يؤتيها تقواها.

اللهم آتي نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، وقبل الإجابة على الأسئلة وردني تصحيح من بعض الإخوة، يقول فيه: أنت قلت: إنه لم يرد في القرآن ثناء على الجسد، والله يقول: {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} [البقرة: ٢٤٧]، وهذا الأخ الكريم معه حق ولكن ما فاتتني هذه، وقد اطلعت في التفسير على أن الثناء على الجسم في هذه الآية لطالوت كان تبعاً لنعمة العلم والنبوة والرسالة، فالجسم هنا مثني عليه بالتبعية لا بالأصالة، وهذا ليس فيه شيء حتى في السنة، الرسول ﷺ يقول: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير». لكن الذي لم يرد عليه ثناء في القرآن ولا في السنة هو: الجسد المجرد من الدين ومن العلم، أما هنا الجسد جاء الثناء عليه بعد الثناء عليه بالعلم، فإذا آتاه الله العلم والنبوة وأعطاه جسداً قوياً يستعمله في طاعة الله، ويستعمله بالجهاد في سبيل الله، فهذا نعم الجسد، الذي يصرف في طاعة الله عز وجل^(١).

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا وأن يرزقنا وإياكم الحلال الطيب إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

(١) أ.هـ/ من كتابي دروس في مسجد مالك الملك طبعة المنار ص ١٩٨.

[من مفاتيح الرزق، المتابعة بين الحج والعمرة]

- أحبتي في الله -

إن من أعظم الأسباب في زيادة الرزق في الدنيا: المتابعة بين الحج والعمرة، وذلك بزيارة البيت الحرام كلما سنحت الفرصة سواء كان ذلك لحج أو عمرة، وهذا أمر قد لا يتفطن له كثيرون: أنهم إذا ذهبوا إلى الحج والعمرة كان ذلك سبباً بإذن الله لزيادة الرزق والمال، والله على كل شيء قدير وفضله واسع.

روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تابعوا بين الحج والعمرة» وفي رواية: «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة».

أخرجه أحمد ٣٨٧/١، والترمذي (٨١٠)، من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه. وانظر صحيح جامع الترمذي (٦٥٠)
(أحبتي في الله)

اعلموا - عباد الله - أنَّ العبادَةَ حقٌّ لربِّ العالمين على المكفِّين،
وفرضٌ محتوم على الإنس والجن، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِعِبَادَةٍ} [الذاريات: ٥٦].

والعبادة أعظم كرامة يُكرم الله بها العابدِين، ويرفع بها المتقين، بالعبادة تستنير القلوب، وتهذب النفوس، وتتقوَم الأخلاق، وتصلح العقول، وتزكو الأعمال، ويرضى الربُّ جل وعلا، وتُعمَر الحياة بالصالح والإصلاح، وترُفَع الدرجاتُ في الجنات، وتُكَفَّر السيئات، وتُضاعف الحسنات.

ومن رحمة الله بنا وفضله علينا أن أرسل إلينا أفضل خلقه محمدًا،
يبين لنا ما يرضى به ربنا عنا من الأقوال والأعمال والاعتقاد، ويحذرننا
مما يغضب ربنا علينا من الأقوال والأفعال والاعتقاد.

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيكُمْ
آيَاتِنَا بِرُكُوعٍ مِّمَّا كَتَبَ الْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ أَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ { [البقرة: ١٥١ - ١٥٢].

ولولا أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لكان بنو آدم أضلّ من الأنعام، ولكن الله رحم العالمين، فشرع الدين، وفصل كل شيء، وأقام معالم الصراط المستقيم، فاهتدى السعداء، وضلّ على بيّنة الأشقياء.

فمن رحمة الله وحكمته وكمال علمه أن الله تعالى شرع العبادة لإصلاح النفس البشرية، فشرع العبادات المتنوعة؛ الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك؛ لتتكمّل تربية الإنسان وتطهيره من جميع الوجوه، قال تبارك وتعالى: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَكْرُمُونَ} [المائدة: ٦]، والحج ركن من أركان الإسلام، جمع الله فيه العبادة القلبية بالإخلاص وغيره، وجمع الله فيه العبادة المالية والقولية والفعلية. والحج وزمته تجتمع فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أعظم ركن في الإسلام، وتجتمع فيه الصلاة وإنفاق المال والصيام لمن لم يجد الهدي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والحلم والشفقة والرحمة والتعليم للخير وجهاد النفس ونحو ذلك مما فرضه الله عز وجل، ويجتمع فيه كذلك اجتناب المحرمات.

والحج آية من آيات الله العظمى على أن ما جاء به محمد هو الدين الحق، فلا تقدر أي قوة في الأرض أن تجمع الحجاج كل عام من أطراف الأرض ومن جميع أجناس البشر وطبقات المجتمعات وأصناف الناس بقلوب مملوءة بالشوق والمحبة، يتلذذون بالمشقات في الأسفار، ويفرحون بمفارقة الأهل والأصحاب والأوطان، ويحسنون أن ساعات الحج أسعد ساعات العمر، ويعظمون مشاعر الحج، وينفقون الأموال للحج بسخاوة نفس وطيبة قلب، فلا يقدر على ذلك إلا الله عز اسمه وتباركت صفاته، وهو القائل لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {وَإِذْ قَالَ النَّاسُ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} ﴿٢٨﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

ذكر المفسرون ابن جرير وابن كثير وغيرهما عن ابن عباس أن الله

لما أمر خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يؤذن في الناس بالحج قال: يا رب، كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟! فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجّوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدبر وشجر، ومن كتب الله أنه يحجّ إلى يوم القيامة^(١). لبيك اللهم لبيك.

أيها المسلم، أخلص النية لله تعالى في حجك، واقتد بسيد المرسلين في أعمال الحج، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(٢)، ليكون حجك مبروراً وسعياً مشكوراً، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه البخاري ومسلم^(٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» رواه البخاري ومسلم^(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟! فقال: «ولكن أفضل الجهاد حجٌّ مبرور» رواه البخاري^(٥).

والحج المبرور هو الذي أخلص صاحبه النية فيه لله تعالى، وأدى مناسكّه على هدي رسول الله، واجتنب المعاصي وأذية المسلمين، ولم يجمع أهله في وقت لا يحلّ له، وحفظ لسانه من اللغو والباطل، وكانت نفقته حلالاً، وأنفق في الخير بقدر ما يوفقه الله، فإذا جمع الحجّ هذه الصفات كان مبروراً مبروراً.

(١) هو عند ابن جرير في تفسيره (١٧ / ١٤٤)، وأخرجه أيضاً الحاكم (٣٨٨ / ٢)، وأخرجه أيضاً الحاكم (٣٨٩ / ٢)، وصححه، والبيهقي في سننه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢ / ٦) لابن أبي شيبة وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه مسلم في الحج (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنهما بلفظ: َلْتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه—.

(٣) أخرجه البخاري في الحج (١٥٢١)، ومسلم في الحج (١٣٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في الحج (١٧٧٣)، ومسلم في الحج (١٣٤٩).

(٥) أخرجه البخاري في الحج (١٥٢٠).

وعلى الحاج أن يتعلم ما يصح به حُجّه، ويسأل عن أحكام الحجّ العلماء، ولتحرص - أيها الحاج - أشدَّ الحرص على الإتيان بأركان الحج؛ لأنه لا يصحّ الحجّ إلا بها، وهي الإحرام والمرأء به الدخول في النسك، والوقوف بعرفة وهو أعظم أركان الحج لقوله: «الحج عرفة»^(١)، وطواف الإفاضة، والسعي على الأرجح. وعليه أن يقوم بواجبات الحج، لا يترك منها شيئاً، وواجبات الحج: الإحرام من الميقات المعتبر له، والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس، والمبيت بمزدلفة، والرمي، والحلق أو التقصير، والمبيت بمنى، والهدي لمن يلزمه الهدي، وطواف الوداع. ويومُ النحر يجتمع فيه الرمي لجمرة العقبة والنحر والحلق وطواف الإفاضة والسعي لمن لم يقدم السعي في الأفراد والقران، فإذا رمى الحاجّ جمرة العقبة و[قَصَرَ] أو حلق حلَّ له كلّ ما حرم عليه بالإحرام إلا امرأته، فإذا طاف بالبيت وسعى بعد الرمي والحلق حلَّ له كلّ شيء حتى امرأته.

ويستحبُّ للحاجّ الإكثار من أفعال الخير وكثرة التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة. ويكثر من تلاوة القرآن، ويتضرّع بالدعاء ولا سيما يوم عرفة، فيدعو لنفسه وللمسلمين مما أصابهم من الكربات، يدعو للمسلمين خاصّتهم وعامّتهم وولاتهم وعلمائهم لقول النبي: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون قبلي يومَ عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير»^(٢). ويحفظُ لسانه من الغيبة والباطل،

(١) أخرجه أحمد (٣٠٩/٤)، وأبو داود في المناسك، باب: من لم يدرك عرفة (١٩٤٩)، والترمذي في الحج، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٨٨٩)، والنسائي في الحج، باب: فرض الوقوف بعرفة (٣٠١٦)، وابن ماجه في المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (٣٠١٥)، قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح "، وصححه ابن الجارود (٤٦٨)، وابن خزيمة (٢٨٢٢)، وابن حبان (٣٨٩٢)، والحاكم

(١٦٣/١)، وهو في صحيح الترمذي (٧٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة (٣٥٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال: " حديث غريب "، وله شواهد من حديث

فقد كان بعضُ السلف إذا أحرم كأنه حيّة صماء، لا يتكلم إلا بخير، ولا يخوض فيما لا يعنيه. ويتعدّد عن المشاجرات والخصومات والمجادلات. ويواظب المسلم على التكبير المقيّد، ويبدأ وقته بعد فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وللحاجّ يبدأ بعد ظهر يوم العيد إلى عصر آخر أيام التشريق، وصفته: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد.

ويستحبُّ للحاجّ وغيره المسارعةُ إلى كلِّ خير وعمل صالح وبرٍّ في عشر ذي الحجة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري (١).

بسم الله الرحمن الرحيم: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ كَظَمِينَ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ {١٣٤} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

باب فضل الحج والعمرة للإمام البخاري

١٤٤٧ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

١٤٤٨ - حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا خالد أخبرنا حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

علي وأبي هريرة. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠٣): "وجملة القول أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد، والله أعلم".
(١) أخرجه البخاري في الجمعة (٩٦٩) بنحوه.

أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور» [١٧٦٢، ٢٦٣٢، ٢٧٢٠، ٢٧٢١].

[ش (لكن) بضم الكاف خطاب للنسوة وفي رواية بكسر الكاف وألف قبلها والتقدير لكن في حقن.. (مبرور) مقبول وهو الذي لا خلل فيه].

١٤٤٩ - حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا سيار أبو الحكم قال سمعت أبا حازم قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [١٧٢٣، ١٧٢٤].

[ش (يرفث) من الرفث وهو الجماع والتعريض به وذكر ما يفحش من القول. (يفسق) يرتكب محرماً من المحرمات ويخرج عن طاعة الله عز وجل. (كيوم ولدته أمه) من حيث براءته من الذنوب].
(أحبتي في الله)

إن الدين الإسلامي الذي هدانا الله إلى اعتناقه أعم الأديان سعادة وهناء، وأكثرها ملاءمة للطبائع البشرية، وأعظمها صلاحية للإنسان في كل زمان ومكان، فهو دين العقيدة والإيمان، دين الفضائل والأخلاق، يُحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره الكافرون. {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: ٩].

وإن هذا الدين قد أسس على أركان قوية يشد بعضها بعضاً، وإن من أركانه العظيمة الحج، الذي هو الركن الخامس من أركان الإسلام: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ يُذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ تَعْلَمُونَ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [الحج: ٢٧ - ٣٠].

والحج رحلة قدسية مباركة يقضي فيها المؤمن أوقاته في عبادة وذكر ودعاء، وتسمو فيها روحه في عالم من الطهر والصفاء والنقاء، فيعود الحاج من هذا الركن، وقد تطهرت روحه، وهذبت أخلاقه، وحسنت

معاملته، وغُفرت ذنوبه يقول: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق غُفر له ما تقدم من ذنبه» [الترمذي: ٨١١].

وعندما تتحرك قوافل الحجاج ميممة وجهها شطر البيت الحرام لأداء مناسك الحج، فإنها تستجيب للنداء الخالد، الذي أعلنه أبو الأنبياء - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: {وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا} [الحج: ٢٧].

وتحقق ما أمرها به نبيها بقوله: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنها ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» [الترمذي: ٨١٠].

وتلهج في حجها بالدعاء الذي علمها نبيها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

والحج فريضة في العمر مرة، أخرج الترمذي: (٨١٤) بسنده عن علي ابن أبي طالب قال: لما نزلت: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: ٩٧]. قالوا: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله، في كل عام؟ قال: «لا، ولو قلت نعم لوجبت».

والحج من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، أخرج البخاري: (٢٦) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله سئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

والحاج يعود بعد حجه وقد تطهر من الآثام، واغتسل من الذنوب والمعاصي إذا أدى حجه بشروطه وأركانه وآدابه، فيبدأ حياة جديدة، ويفتح صفحة ناصعة، ويشرع في أعمال البر والتقوى، ويزاول الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، أخرج مسلم: (١٢١) بسنده عن عمرو بن العاص رضي الله عنه وفيه: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي، فقلت: أبسط يمينك فلأبأيعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشتري، قال: «تشتري بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج

يهدم ما كان قبله».

إخوة الإسلام: وإذا كان ثواب الحج كبيراً وأجره عظيماً، فلا ينبغي لمسلم أن يتقاعس عن أداء هذه الفريضة، ويسوف بها بذريعة أدائها فيما بعد من الأيام والأعوام، فهو لا يدري ما يحدث له، والمستقبل مجهول، والغد غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، بل الواجب عليه أن يتعجل الحج، وأن يبادر لأدائه، فهذا رسول الله يقول: «تعجلوا الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» [أحمد]. وفي رواية لأحمد والبيهقي: «من أراد الحج فليحج، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتكون الحاجة».

فإذا هُيئت لك الأسباب فلا تتقاعس، فلربما أتتك ظروف ومشاكل حالت بينك وبين أداء هذه الفريضة، إذا كنت اليوم صحيح الجسم، خالياً من الارتباطات والمشاكل، تملك المال الذي تنفق، فاغتم هذه الفرصة، فقد لا تعوض، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة - سعة - فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

وعلى الحاج أن يلتزم في حجه بالأخلاق الإسلامية الفاضلة من الحلم والأناة وكظم الغيظ، وضبط الأعصاب، وتحمل هفوات الآخرين، وعدم التسبب في إيذاء الآخرين، وقضاء الأوقات في الذكر والعبادة، والابتعاد عن أحاديث اللغو الباطل، والكلام الفارغ، وذلك حتى يسلم له ثواب العبادة، ويكون حجه مبروراً.

سئل الحسن البصري رحمه الله: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

وعلى الإنسان أن يختار في حجه من ماله الطيب الذي لا شبهة فيه من الحرام، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والمال الحرام يحول دون قبول العمل، ويجر الوبال على صاحبه، فالنفقة الحرام في الحج تضع صاحبها إلى أخط الدركات، وتحول بينه وبين إجابة الدعاء، أما النفقة

الحلال فإنها ترفع صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتكون سبباً في قبول عمله.

والنفقة في الحج تعدل النفقة في سبيل الله، أخرج أحمد بإسناد حسن عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعائة ضعف» [٣٥٥/٥].

فاحرصوا - رحمكم الله - على المال الحلال الذي تحجون فيه، واعلموا أن الحجاج وفد الله، إذا دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم، فكونوا منهم، واسعدوا بلقائهم، واحرصوا على أن يدعوا لكم بالخير تفلحوا.

نكر المنذري: ١٦٦٠ بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»، وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله: «يُغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج».

فبادروا - رحمكم الله - إلى أداء هذا الركن العظيم، واحرصوا على ذلك، وتعملوا بهذه الفريضة العظيمة والشعيرة المقدسة يكتب لكم الخير في الدنيا والآخرة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧].

من فوائد الحج

أيها الإخوة المسلمون حجاج بيت الله الحرام: لقد دعاكم المولى جل وعلا لحج بيته الحرام لمقاصد كبرى، ومنافع عظيمة، ومصالح شتى في الآخرة والأولى، يجمعها عموم قوله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج: ٢٨]، ففي الحج منافع جمة دنيوية وأخروية، أساسها: إعلان التوحيد الخالص لله وحده، فلا أنداد ولا شركاء، في الحج تتجلى وحدة العقيدة ووحدة القصد والهدف والغاية، ووحدة الشعائر والمشاعر، ووحدة القلوب والقلوب، وإنه باستشعار هذه الوحدة الإيمانية يتبين للمسلم الغيور على أوضاع أمته أن الخلاف والفرقة والشتات والتنازع الذي أصاب أمة

الإسلام اليوم؛ إنما هو من عند أنفسها، فجدير بأمة الإسلام التي تمثل في هذا الاجتماع الكبير أعلى صور الوحدة والتضامن والإخاء أن تستمر على ذلك، آخذة من هذه الحكم السامية شعاراً لها في مستقبل حياتها.

أيها الإخوة: ومن الغايات النبيلة في هذا التجمع الإسلامي الكبير، إشعار المسلم بدوره في الأمة ومكانته في المجتمع، وإدراكه لمسئوليته في الصلاح والإصلاح، فهو لبنة من لبنات المجتمع المسلم يشاطره آلامه وآماله، ويعايشه أفراحه وأتراحه.

ضيوف الرحمن! وفود الملك العلام: الحج موسم عظيم، وفرصة كبرى، ومناسبة عظيمة، تتجلى فيها صور المتاجرة مع الله، أرواح صافية، ونفوس نقية، وقلوب مصقولة، وصدور سليمة، واقتفاء لأثار الأنبياء والمرسلين، وما أمس حاجة الأمة الإسلامية اليوم وهي تواجه أعتى التحديات وأفظع المؤامرات، ما أحوجها وهي تتوجه هذه الأيام نحو محورها الذي يجمعها، وتلتف حول راية العقيدة الواحدة التي تتلاشى في ظلها فوارق اللغة والألوان والأجناس والبلدان، ما أحوجها أن تأخذ الدروس والعبر من هذه الفريضة العظيمة وتستيقن يقيناً لا يعتريه شك ولا مرأى، أنه لا يلم الشمل، ويجمع القلوب، ويوحد الكلمة إلا الاجتماع على راية واحدة لا ثاني لها، هي راية الإسلام، راية التوحيد والعقيدة على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنهج السلف الصالح، فلا بد من تنسيق الخطط، والإعداد وتوحيد القوى والعمل الجاد لحل مشكلات المسلمين على ضوء الكتاب والسنة، ولا بد أن يعي كل مسلم دوره، ويعمل جاداً بالإسلام وللإسلام، لا سيما قادة المسلمين والزعماء، والدعاة والعلماء، والمعنيون بقضايا التربية والتعليم، والمهتمون بالفكر والرأي والإصلاح من حملة الأقلام، ورجال الإعلام.

- أسأل الله وحده أن يرزقنا من فضلة الواسع الذي لا ينضب أبداً وأن يرزقنا حجة يرضى بها عنا.

- اللهم لاتحرمننا الشرب من زمزم ولا من رؤية الكعبة أبداً يارب العالمين إنك يامولانا أرحم الراحمين جواد كريم (أمين).

من مفاتيح الرزق - الهجرة في سبيل الله -

- أحبتي في الله -

إن من أجل مفاتيح الرزق والتوسعة على العبد الهجرة في سبيل الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء: ١٠٠].

ومعنى مراغماً: أي سبباً لإرغام أنف أعداء الله، وكم من رجال هاجروا فأغاظوا أعداء الله تبارك وتعالى، فيحصل هذا مع السعة، وهو السعة في الرزق كما فسر لها حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

هجرة لا بد منها: وهي التي لا بد منها لكل أحد، هي الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه هي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها، ولو لم تحصل هذه الهجرة الثانية، فلن تحصل الهجرة الأولى.

* * *

مبدأ الهجرة ومنتهاها

- أحبتي في الله -

إن الهجرة بالجسد من دار الكفر إلى دار الإسلام وهذه معروفة، والهجرة الأخرى هي هجرة القلب، التي لا بد لكل أحد منها، وهذا هو المعنى المهم جداً، الذي انطوى عليه هذا العنصر، والذي هو أن يُهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبة الله، ومن عبودية غير الله إلى عبودية الله، ومن خوف غير الله إلى خوف الله، ومن رجاء غير الله إلى رجاء الله، ومن التوكل على غير الله إلى التوكل على الله، وهكذا. وهذا معنى قوله تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات: ٥٠].

الفرار من الله إليه: قال ابن القيم رحمه الله: (وتحت (من) و(إلى) في هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، فإن الفرار إلى الله سبحانه وتعالى يتضمن إفراده بالطلب والعبودية، كيف تهاجر وتفر من غيره إليه؟ إذا جردت الإخلاص وجردت العبودية، بحيث تكون العبودية لواحد وهو الله

عز وجل، ومن تصور هذا المفهوم سهل عليه أن يفهم معنى حديث: «وأعوذ بك منك» وسهل عليه أن يفهم معنى حديث: «لا ملجأ منك إلا إليك».

وهذه الكلمات عندما يقرؤها الإمام في دعاء التراويح لا يفهمها إلا قليل من الناس، وبالنسبة لكثير منهم تكون طلاسماً ما معنى: «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك»؟ قد يعتبرون هذه ألغازاً، لكن الحقيقة أن كل شيء في الكون تفر منه من أذى أو ظلم أو إلخ، فهو بتقدير الله ومشيئته، والله هو الذي خلقه، وكذلك أنت تفر من عقاب الله، وتفر من أسباب سخط الله، تفر إليه عائداً به مستجيراً سائلاً أن يحميك من الوقوع في معاصيه، وأن يرزقك الطاعة والأجر والفوز بالجنة، وكل أحد إذا خفت منه هربت منه - سواء أكان حيواناً أو إنساناً - إلا الله عز وجل؛ فإنك إذا خفت منه هربت إليه أين ستذهب؟ أي إنسان مخلوق موجود هنا - مثلاً - وهو ظالم وتخشى منه، فسوف تهرب منه إلى بلدة أخرى، لترتاح منه، ولكن الله عز وجل إلى أين تهرب منه؟ أينما هربت فثم وجه الله، وأنت في ملكه، لا يمكن أن تفر ولا تخرج، فلا مفر لك منه إلا إليه، ولا مفر من عقابه إلا إلى نعيمه، ولا مفر من معصيته إلا إلى طاعته، ولا مفر من قدرته إلا إليه سبحانه وتعالى، وكل شيء مخلوق في الوجود من الظلم الذي أنت تفر منه أو الشر؛ فهو خالقه، فأنت تفر من هذا الشيء إلى ما ينجيك، وتأخذ بالأسباب التي قدرها وشرعها سبحانه وتعالى.

فالمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن هجر ما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، وكل واحد يهاجر من شيء إلى شيء، ويترك بلداً إلى بلد، ووظيفة إلى وظيفة، وشخصاً إلى شخص، في العلاقات وإقامة العلاقات، وما يحمله على هذه الهجرة والترك إلى ذلك الطرف الآخر، إلا أن المهاجر إليه أحب إليه من المهاجر منه، وإلا لما هاجر.

فإذا قال أحد: كيف أهر ما نهى الله عنه؟ كيف أهر المعاصي؟ كيف أهر الفسوق؟ كيف أهر قرناء السوء؟ كيف أهر مكان الحرام؟ نقول: لا بد أن يكون الطرف الذي ستذهب إليه أحب إليك من الطرف الذي ستخرج منه.

ولذلك فالهجرة مرتبطة بالمحبة، ولما كانت الهجرة شاقة على النفس، فلا بد أن هناك شيئاً يعوض المشقة حتى تستطيع الفكاك والهرب والهجرة، فإذا لم ترجع محبة الطرف الثاني الذي ستهاجر إليه على محبتك للطرف الأول؛ فلن تحصل الهجرة، ومن هنا كانت تقوية محبة الله تعالى أمراً أساسياً في حدوث الهجرة، سواء هجرة الجسد أو هجرة القلب.

لقد كان خروج المهاجرين من مكة إلى المدينة أمراً شاقاً، حتى إنهم مرضوا في المدينة، وأصابتهم الحمى، وصار أبو بكر وبلال يأتیان بالأشعار التي فيها التلهف والحنين إلى الإذخر والجليل، وجبال مكة، والبلاد التي خرجوا منها، والجو والبيوت، ولكن ما هو الذي عوضهم عن ذلك كله؟ إنه محبتهم لله ورسوله، وللدار التي تحكم بما أنزل الله ويحكمها رسوله.

* * *

سبب قوة الهجرة وضعفها

والهجرة - كما يذكر ابن القيم رحمه الله - تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة في قلب العبد، فكلما كانت المحبة أقوى كانت الهجرة أقوى وبعض الناس يهجرون المعاصي هجراً جزئياً، وبعض الناس يهجرونها نسبة أكثر، وبعض الناس يهجرونها هجرة كلية، فما هو السبب الذي فاوت بين هؤلاء؟ إنه المحبة.

وعندما يكون الواحد لا يزال قلبه يحب المنكر، ولو وعظ موعظة أو قصة انتهى عن ذلك، وربما يترك تركاً مؤقتاً، أو يترك تركاً جزئياً، لأنه لا زال فيه تعلق ومحبة للشيء الأول، لكن إذا صارت محبة الله طاغية، انقطعت العلاقة.

* * *

- حقيقة الهجرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية -

أنواع الهجرة: للهجرة أنواع عدة وهي: هجر المعاصي: ففي البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ». وفي الفتوح:

قوله: (والمهاجر) هو بمعنى الهاجر، وإن كان لفظ المفاعل يقتضي وقوع فعل من اثنين، لكنه هنا للواحد كالمسافر. ويحتمل أن يكون على بابه لأن من لازم كونه هاجرا وطنه مثلا أنه مهجور من وطنه، وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة. فالباطنة: ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان. والظاهرة: الفرار بالدين من الفتن.

وكان المهاجرين خطبوا بذلك لنلا يتكلموا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيها، ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطييبا لقلوب من لم يدرك ذلك، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه، فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع من معاني الحكم والأحكام. (انتهى من كتاب أحكام الهجرة)

أنواع الهجرة

هجرة الكفر، وهجرة المعاصي، وهجرة الواردات والشواغل. فأما هجرة الكفر: فهي إذا ضيق عليك في مكان لا تستطيع ممارسة إسلامك فيه فاخرج من هذا البلد، وهذه واجبة. وأما هجرة المعاصي: فهي هجرة واجبة على كل مخلوق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن لم يهاجر بهذه الهجرة، فسوف يبقى في الخطايا والذنوب من أخصص قدميه إلى مشاش رأسه، وهذه الذي نحن بحاجة إليها، ونشكو حالنا إلى الله فيها.

وأما هجرة الواردات والشواغل والقواطع: فهذه للأولياء الصديقين السابقين بالخيرات، وهم الذين يقطعون كل قاطع يقطعهم عن الله عز وجل، وهؤلاء قاربوا درجة أبي بكر الصديق، وما بلغوا درجة أبي بكر؛ لكن أصبحوا من الولاية بمنزلة عظيمة.

والواردات والشواغل هي كل ما يشغلك عن الله عز وجل، فهم تركوها لوجه الله، وهؤلاء من مثل حنظلة الغسيل، سمع داعي الله عز وجل والهجرة إلى الله من الواردات والشواغل إلى جنة عرضها السماوات والأرض وهو في ليلة عرسه، مع زوجته في اليوم الأول، فثار من على فراشه، واختترط سيفه وعليه الجنازة، وهب ليلقى الله عز وجل وقاتل حتى قتل، فأتى ﷺ بعد قتله بلحظات، يشيح بوجهه ﷺ، قالوا: مالك يا رسول الله؟ قال: «والذي نفسي بيده! لقد رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بصحاف من ذهب بهاء المزن».

فهل أرفع من هذه هجرة يوم ترك الدواعي والشواغل؟!

إن بعض الناس باستطاعته أن يضحي بصلاة العشاء والفجر أو أي فريضة من فرائض الله، ليدهده ابنته الصغيرة لنلا تبكي على أمها، لأن القلب إذا مات حبسه كل شيء حتى خيط العنكبوت يربطه بسارية من السواري في البيت، أما أولئك فكان لا يحبسهم شيء؛ حتى الحديد يكسرونه، وينفذون إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

* * *

أمثلة على الهجرة

من الهجرة: هجرة عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، سمع داعي الله فاخترط سيفه في أحد، وكسر غمده على ركبته، وقال: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى، فقتل وكلمه الله كفاحاً، وقال: تمّن يا عبدي، قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون، فتمّن، قال: ترضى عني، قال: فإنني قد أحللت عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً - لأنه هاجر - قال: ثم جعل الله روحه وأرواح إخوانه في حواصل طير ترد الجنة فتشرب من مائها،

وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش.

كذلك هجرة عبد الله بن حذافة، دخل على ملك الروم، فقال له ملك الروم: ارجع عن دينك وأعطيك نصف ملكي؟

فضحك ضحكة المعتر الشجاع، المتمكن من دينه، المتيقن بحفظ الله، قال: والله لو أعطيتني ملكك وملك آبائك وأجدادك على أن أعود عن الإسلام طرفة عين ما فعلت.

قال: اذهبوا به إلى النار، فأخذه فوجد إخوانه من الشهداء الأسرى قد ألقوا في قدور تغلي بالماء وقد تفصلت لحومهم عن عظامهم، فبكى عبد الله ابن حذافة، فعادوا به إلى الملك.

فقال: أثبت من جريمتك؟ جريمة أن يقول: ربي الله، وديني الإسلام. قال: لا والله ولكن أبكي أنه ليس لي إلا نفس واحدة، وأريد أن لي بعدد شعر رأسي أنفساً تعذب في سبيل الله.

فقال: والله لا أطلقك حتى تقبل رأسي، فقبل رأسه، فأطلق له الأسارى فقال عمر: [حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة]

هذه هجرة الشواغل والدواعي التي تقطع العبد عن الله عز وجل. وأعظم ما يهاجر فيه العبد اليوم إذا سمع داعي الله في الصلوات الخمس، الآن عبادتنا الكبرى الصلوات الخمس؛ لأن هناك جبهات موجودة لكن من لا ينفع هنا لا ينفع هناك، بعض الناس لا يداوم على الصلوات الخمس، ويتحسر في مجلس وقد ملأ بطنه بما لذ وطاب من الطعام، ويقول: يا ليتني في أفغانستان أجاهد في سبيل الله.

وأنت لا تصلي في المسجد؟! والله لو كنت في آخر الدنيا، لكنت أول من يفر وآخر من يأتي من المجاهدين، لأن من لم ينتصر في عالم قلبه لا ينتصر في عالم الأرض، والذي لا يعلي لا إله إلا الله في المجلس، لا يعليها في الميدان ولا في المعركة.

أصحاب الرسول ﷺ كانوا رواداً لذا كانوا في الصف الأول، أما

أصحاب الصفوف المتأخرة، فلا يأتون إلا متأخرين دائماً: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر: ٣٧].

(كلام نفيس لمعنى الهجرة وأنواعها للإمام النووي)

قوله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

أصل المهاجرة المجافاة والترك، فاسم الهجرة يقع على رموز:

الأولى: هجرة الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى الحبشة حين أذى المشركون رسول الله ﷺ، ففروا منه إلى النجاشي، وكانت هذه بعد البعثة بخمس سنين، قاله البيهقي.

الهجرة الثانية: من مكة إلى المدينة وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأطلق جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة، وهذا ليس على إطلاقه فإنه لا خصوصية للمدينة، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن العربي: قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض هرباً وطلباً، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام:

(الأول): الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهي باقية إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح في قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح». هي القصد إلى رسول الله ﷺ حيث كان.

(الثاني): الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسبُ فيها السلف.

(الثالث): الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم.

(الرابع): الفرار من الأنية في البدن، وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه في مكان فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه، والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه

السلام حيث خاف من قومه فقال: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} [العنكبوت: ٢٦]. وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} [القصص: ٢١].

(الخامس): الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة، إلى الأرض النزهة، وقد أذن ﷺ للعربيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج.

(السادس) الخروج خوفاً من الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

وأما قسم الطلب، فإنه ينقسم إلى عشرة: طلب دين وطلب دنيا، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع:

(الأول) سفر العبرة قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} [الروم: ٩]. وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها.

(الثاني): سفر الحج.

(الثالث): سفر الجهاد.

(الرابع): سفر العبرة المعاش.

(الخامس): سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وهو جائز لقوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ} [البقرة: ١٩٨].

(السادس): طلب العلم.

(السابع): قصد البقاع الشريفة، قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

(الثامن): قصد الثغور للرباط بها.

(التاسع): زيارة الإخوان في الله تعالى، قال ﷺ: «زار رجل أخاه في قرية، فأرسل الله ملكاً على مدرجته. فقال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تؤديها قال: لا، إلا أنني أحبه في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحبته». رواه مسلم. وغيره.

الثالثة: هجرة القبائل إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم.

الرابعة: هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي النبي ﷺ ثم يرجع إلى قومه.

الخامسة: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر، قال الماوردي: فإن صار له بها أهل وعشيرة، وأمكنة إظهار دينه، لم يجز له أن يهاجر، لأن المكان الذي هو فيه قدر دار إسلام.

السادسة: هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة، بغير سبب شرعي، وهي مكروهة في الثلاثة، وفيما زاد حرام إلا لضرورة.

السابعة: هجرة الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها قال تعالى: { اُجْرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ } [النساء: ٣٤]. ومن ذلك هجرة أهل المعاصي في المكان، والكلام، وجواب السلام وابتدأه.

الثامنة: هجرة ما نهى الله عنه، وهي أعم الهجر.

قوله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله»: أي نية وقصداً فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً.

«ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيها..» إلخ نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس، فسمي مهاجر أم قيس. فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلم كان من مطلوبات الدنيا؟ قيل في الجواب: إنه لم يخرج في الظاهر لها، وإنما خرج في الظاهر للهجرة، فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم، وقيس بذلك من خرج في الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية.

قوله ﷺ: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» يقتضي أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة، وينبغي حمل الحديث على ما إذا كان المحرك الباعث له على الحج إنما هو التجارة، فإن كان الباعث له الحج فله

الثواب، والتجارة تبع له إلا أنه ناقص الأجر عن أخرج نفسه للحج، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب لأن هجرته لم تتمخص للدنيا، ويحتمل خلافه لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(انتهى من شرح الأربعين النووية من حديث إنما الأعمال بالنيات).

يقول الشيخ عبد الرحمن السديس في خطبته عن أنواع الهجرة ما يأتي:

من معاني الهجرة هجر المعاصي

أمة الهجرة والجهاد: إن من أبرز ما يصور معاني الهجرة - يا رعاكم الله - الأخذ بتعاليم الإسلام التي جاء بها صاحب الهجرة ﷺ، والتجافي عن الهبوط إلى مستنقعات المعاصي والآثام، وهذه هجرة لا يعذر مسلم في تركها لقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومن أكبر ما يترجم عناية الأمة بالهجرة النبوية، هو التمسك بمنهج صاحب الهجرة عليه الصلاة والسلام، والتزام سنته وأطر النفوس على الهجرة في كل صورها ومعانيها، إما بمعناها الشرعي الخاص، بالانتقال إلى حيث العزة والمنعة وإقامة الدين، أو بمعناها العام بهجر المعاصي بكل أنواعها، وإن وقائع الهجرة النبوية - يا عباد الله - ليست قصصاً تورد ولا روايات تسرد، ولانعوتاً ومدائح تردد، ولا احتفالات تقام، لكنها عقيدة وانتماء، وعمل واهداء، واتباع واقتداء، وجهاد واقتداء، والله عز وجل يقول: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

يا أمة محمد ﷺ: إن في هذا الحدث العظيم من الدروس والعبر ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه لتحقيق لها عزها المنشود، ومجدها المفقود، ومكانتها المرموقة بين العالمين، ولعلمت علم اليقين وهي تعيش على أبواب قرن جديد، بل على مفترق طرق وتشعب سبل،

أنه لا حل لمشكلاتها، ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها، والتزامها بإيمانها وعقيدها، فوالله ثم والله ما قامت الدنيا عبر التاريخ إلا بقيام الدين، ولا نال العز والنصر والتمكين إلا لما خضعوا لرب العالمين، وهيئات هيئات أن يحل أمن وأمان، ورخاء وسلام واطمئنان، إلا باتباع نهج الأنبياء عليهم السلام: {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (١٣٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى} (١٣٤) [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

إنه متى تذكر المسلمون هذه الحقائق الناصعة، وعملوا على تطبيقها في واقع حياتهم، كانت هي السلاح الفاعل التي تقاتل به، والحصن الحصين، والدرع الواقي المتين الذي تنقي به في وجه الهجمات الكاسحة، والتكتلات العالمية والمؤامرات الدولية، والصراع التي تعيشه قوى الأرض جميعاً، فالقوة لله وحده: {وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [البقرة: ١٦٥].

وقفة مع كتابة التاريخ بالهجري.

معاشر المسلمين: الوقفة الثانية، وقفة مع قضية تعبر عن اعتزاز هذه الأمة بشخصيتها الإسلامية، وتبرهن للعالم بأسره عن استقلال هذه الأمة بمنهجها المتميز المستقى من عقيدتها وتاريخها وحضارتها وثوابتها، إنها قضية أجمع عليها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إنها التوقيت والتاريخ بالهجرة النبوية المباركة، وكم لهذه القضية من مغزى عظيم، يجدر بأمة الإسلام اليوم تذكره، لاسيما وقد فتن بعض أبنائها بتقليد غير المسلمين والتشبه بهم في تاريخهم وسلوكهم.

أين عزة الإسلام؟ وأين هي شخصية أهل الإسلام؟ هل ذابت في خضم مغريات الحياة؟ إننا أمة ذات أمجاد وحضارة، وتاريخ وأصالة، وثوابت راسخة، ومنهج متميز، منبثق من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وسيرة سلفنا الصالح.

لسنا بحاجة إلى تقليد غيرنا، بل غيرنا - في الحقيقة - بحاجة إلى أن يستفيد من أصالتنا وحضارتنا، لكنه التقليد والتبعية،

والإعجاب والمجارات والانهازامية، والتشبه الأعمى من بعض المسلمين هداهم الله، والله عز وجل يقول: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨].
نصر الله لأوليائه.

أيها الإخوة المسلمون: وثالث هذه الوقفات مع حدث عظيم في شهر الله المحرم، فيه درس عظيم على نصرة أولياء الله، وانتقام الله من أعدائه مهما تطاولوا، إنه حدث قديم، لكنه بمغزاه متجدد عبر الأمصار والأعصار، إنه يوم انتصار نبي الله وكليمه موسى عليه السلام، وهلاك فرعون الطاغية، وكم في هذه القصة من الدروس والعبر، والعظات والفكر للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان.

فهما بلغ كيد الأعداء وأذاهم وظلمهم وتسلطهم، فإن نصر الله قريب، وهو درس لكل عدو لله ولرسوله، ممن مشى على طريق فرعون، أن الله منتقم من كل طاغية وظالم، طال الزمان أو قصر، إن يوم الهجرة ويوم عاشوراء - يا عباد الله - يومان من أيام النصر الخالدة، ألا فلتقر أعين أهل الحق ودعائه بذلك، فالعاقبة للمتقين، ولينتبه لذلك - قبل فوات الأوان - أهل الباطل ودعائه: {إِنَّ رَبَّكَ لِبِأَمْرٍ صَادِقٍ} [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} [النازعات: ٢٦].

وإن في الحوادث لعبراً، وإن في التاريخ لخبراً، وإن في الآيات لنذراً، وإن في القصص لمذكراً ومزدجراً: {لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١].

تلكم - أيها المسلمون - إشارات عابرة، ولمحات عاطرة، ووقفات مهمة عاجلة، يحتاج المسلمون إلى التذكير بها وهم يستقبلون عامهم الهجري الجديد، الذي نسال الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، أن يجعله عام خير وبركة ونصر للإسلام والمسلمين في كل مكان، وعام نل وهوان لأعداء الإسلام والمسلمين في كل مكان، كما نساله سبحانه أن يجعله عام يقظة رشيدة، ونقطة تحول سديدة، وفتح صفحة جديدة، صلاحاً لأحوال المسلمين في كل مكان، وهزيمة ساحقة لأعداء الله

ورسوله والمؤمنين.

كما نسأله سبحانه أن يجعل مستقبل أيامنا خيراً من حاضرها،
وحاضرها خيراً من ماضيها، وأن يعيد هذا العام على أمة الإسلام بالخير
واليمن والبركات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.
(انتهى)

* * *

- يا حسرة على العباد -

- يقول الإمام ابن القيم -

قم في الدجى واتل الكتاب :: ولا تنم إلا كنومة حائر وهان
فلربما تأتي المنية بغتة :: فتساق من فرش إلى أكفان
يا حبذا عينان في غسق الدجى :: من خشية الرحمن باكيتان
فالله ينزل كل آخر ليلة :: لسماؤه الدنيا بلا نكران
فيقول هل من سائل فأجيبه :: فأنا القريب أجيب من ناداني
(قلت)

ولكن يا حسرة على المحرومين، ويا حسرة على المفتونين الذين
يجعلون وقت السحر ووقت الاستغفار وقت نزول الإلهي فرصة للعب
واللهو ومشاهدة القنوات وتقليب الأبصار في الغانيات والمومسات يا
حسرة على العباد!!

- يقول الشيخ عائض القرني في شريطة أسباب الحرمان

من عقوبات الذنب: حرمان الرزق.

فإن العبد يحرم الرزق بالذنوب يصيبه، كما ثبت ذلك في مسند الإمام
أحمد فما تعطل الرزق، وما قلت بركة الناس وبركة بيوتهم ودخلهم، وما
كثرت عليهم المتطلبات إلا بسبب الذنوب والمعاصي.

ولذلك كان الرزق الهنيء لأهل الطاعة، ولا يهولنك أن تجد فاجراً
عنده قصور ودور ونعمة، وعنده شيكات وبنوك ودخل وسيارات، فإن

هذه نعمة لا نعمة قال تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَاعِنَا عِنَدًا ۖ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ۝١٦} [المدثر: ١١ - ١٧].

فلا إله إلا الله كم قلت بركة ورزق من أعرض عن الله! تأتيه الأموال مثل الجبال لكن لا بركة فيها: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝١٢٤} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝١٢٦} [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

فأوحش شيء إلى العاصي أن يجلس وحده مع الله، فتجد العاصي يفر من الوحدة ولا يحب العزلة، بينما كان الصالحون والتابعون والسلف الصالح يجلس أحدهم في غرفة، فيذكر الله تعالى ويسبحه ويكبره، ويستغفره ويدعوه، ويجد اللذة والسكينة وحده أما الفاجر إذا جلس في غرفة وحده فكأن وحشة الدنيا وهمها وغمها اجتمع عليه، فلا يحب الوحدة بل تجده يحب الخلطة مع الفجرة، ويجلس في المنتديات والمقاهي مع المعرضين، ويحب الفكاهات والضحك الطويل العريض لينفس عن نفسه فتجده يضحك من شذقه إلى شذقه ومن أذنه إلى أذنه ويقهقه قهقهة قد تهدد أمن الحارة، فهو أكثر الناس ضحكاً وقهقهة، وأكثر الناس مزحاً فاحشاً وبذيئاً؛ لأن في قلبه غم وذلة وهم وحسرة لا ينفسها إلا الضحك فلذلك كان بين العاصي وبين الله وحشة وبين الطائع وبين الله زلفى وقربى.

كان الإمام أحمد يجلس وحده فيقال له: ألا تستوحش؟

فيقول: كيف أستوحش والله يقول: أنا جليس من ذكرني.

وكان إبراهيم بن أدهم يجلس وحده في جبل في لبنان فقالوا له:

أتجلس وحدك؟

قال: معي الله عز وجل.

قالوا: ألا تستوحش في هذا الخراب؟ قال: أنا في العمار وأنتم في

الخراب.

فهو في الصحراء لكن الله معه.

ذكروا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه كان يخرج من المسجد بعد صلاة العصر وحده إلى الصحراء، فيرفع إصبعه ويذكر الله ويهلل ويكبر، ثم يكي ويقول:

وأخرج من بين البيوت لعلي أحدث عنك النفس بالسر خاليا

وهذا البيت لمجنون ليلي، قاله في محبوبته، لكن ابن تيمية حوله إلى الحبيب القريب سبحانه وتعالى، فقال:

وأخرج من بين البيوت لعلي :: أحدث عنك النفس بالسر خاليا
وإني لأستغشي وما بي غشوة :: لعل خيالا منك يلقي خيالها
ولذلك العاصي دائما يشعر بالضجر ويريد أن يقضي الوقت في
التوافه، حتى إن بعض الناس إذا دخل عليهم رمضان جلسوا في لعب،
كلعب البلوت أو الورقة أو ما شابهها، ويأخذون الساعات الطويلة في
لعب الكرة، يقولون: نضيع أو نقطع الوقت، ويشعر أحدهم بضجر
ويقول: انتابني هم وغم؛ وذلك بسبب معاصيه وإعراضه عن الله تبارك
وتعالى.

(قلت) فلا بد من الهجرة الحقيقية إلى الله سبحانه وتعالى وهي -
هجرة الذنوب والمعاصي حتى ييسر الله سبحانه أمر أرزاقنا فما قلت
البركة وحجب الرزق إلا بسبب الذنوب والمعاصي.

- أسأل الله أن يجنبنا المعاصي ماظهر منها وما بطن إنه أرحم
الراحمين جواد كريم -.

* * *

من مفاتيح الرزق - غض البصر عما حرم الله -

(أحبتي في الله)

- إن من أفضل وسائل البركة في الرزق واستجلابه.

البعد عن المعاصي والذنوب والآثام ومن مفاتيح الرزق.

غض البصر عما حرم الله لأن إطلاق البصر فيه من الآثام والموبقات ما الله به عليم.

* * *

[من أسباب حرمان الرزق]

رقم الفتوى ٤٦٥٥١ المعاصي من أسباب حرمان الرزق.

تاريخ الفتوى: ١٠ صفر ١٤٢٥

السؤال:

لقد تعرفت على فتاة وتعلقت بها واتفقنا على الزواج ولكن الفتاة كان بها بعض الملاحظات على شخصيتها كانت تدخن حاولت تغييرها لكن للأسف وخلال ذلك نتج حمل وتم إجراء عملية تنظيف لها وكان الحمل في الشهر الأول بداية الثاني وهنا طلبت منها أن نتزوج ويكون الزواج سريا ولكن بمعرفة بعض الأصدقاء وشخص من أقربائها ثم نعلن الزواج بعد فترة ولكنها رفضت الفكرة مع العلم بأنني متزوج، ولقد أخبرت زوجتي بنيتي بالزواج من الفتاة رفضت وطلبت الطلاق وتأزمت الأمور بيننا وبسبب ذلك فقدت وظيفتي وتعرضت لمشاكل كثيرة ومازلت أعاني منها حتى الآن مع العلم بمرور سنة على الموضوع.

وفي النهاية تركت الفتاة لخوفي على أسرتي وتبت إلى الله، وأيضا الفتاة ذهبت للحج ومع ذلك ما زالت تبعث لي مع شخص قريب لنا رسائل تريد أن أصحح الخطأ وهي ضد فكرة الزواج السري في الوقت الحاضر.

ماذا أعمل وهي تريد أن تلتقي بزوجتي لكي تخبرها بالموضوع وأخبرتها أن الله سترنا فهل تريدين الفضيحة الآن أتمنى من الله أن يقبل

توبتي وسؤالي هو هل دعاؤها علي سبب ما أنا فيه من مشاكل.
مع العلم بأنها تعيش لوحدها خارج بلدها وأهلها في دولة أخرى.
أرجوكم إفادتي ولكم الخير

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد دل القرآن والسنة الصحيحة على أن الذنوب سبب في مصائب العبد وحرمانه من الرزق، قال سبحانه: {وَمَا لَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]. وفي مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم». وقد قال النبي ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه». رواه ابن ماجه وصححه السيوطي.

وبهذا تعلم أن سبب ما أنت فيه من شدة قد يكون مرده إلى هذه الذنوب التي أقترفتها، والآن وبعد أن من الله عليك بالتوبة، فنرجو أن يصلح الله تعالى حالك ويكشف عنك هذا الضيق فالتزم التوبة وكثرة الطاعة فإن ربنا الكريم يقول: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ} [طه: ٨٢].

ومن لوازم التوبة قطع الصلة بتلك المرأة، إلا إذا تأكدت من صدق توبتها، فلا مانع من الزواج بها.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبدالله الفقيه
(وإتماماً للفائدة في هذا العنصر أذكر لك

بعضاً من فوائد غض البصر للإمام ابن القيم في
كتابة القيم قال ابن القيم في روضة المحبين
(١١٣/).

* * *

من فوائد غُض البصر

- ١- تخلص القلب من ألم الحسرة.
- ٢- أنه يورث نوراً وإشراقاً في القلب يظهر في العين والوجه والجوارح وإطلاق البصر يورث ظلمة في الوجه والجوارح.
- ٣- أنه يورث صحة الفراسة
- ٤- أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه وذلك بسبب نور القلب.
- ٥- أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة فيجعل له سلطان الحجة.
- ٦- أنه يورث القلب سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر.
- ٧- أنه يخلص القلب من أسر الشهوة.
- ٨- أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم.
- ٩- أنه يقوي عقله ويزيده ويثبتته.
- ١٠- يخلص القلب من سُكر الشهوة ورقدة الغفلة.
- ١١- أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.
- ١٢- أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.
- ١٣- أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعه عليه.
- ١٤- أنه يقوي القلب ويفرحه.
- ١٥- أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب.
- ١٦- أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها.
- ١٧- أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يوجب انتقال أحدهما إلى الآخر وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده.
- ١٨- من غُض بصره أعطاه الله ثلاث فوائد جليلة:

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب ما تركه الله فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه والنفس تحب النظر إلى هذه الصور لا سيما نفوس أهل الرياضة والصفاء فإنه يبقى فيها رقة تجذب بسببها إلى الصور حتى تبقى تجذب أحدهم وتصصره كما يصصره السبع ولهذا قال بعض التابعين: ما أنا على الشاب التائب من سبع يجلس إليه بأخوف عليه من حدث جميل يجلس إليه وقال بعضهم اتقوا النظر إلى أولاد الملوك فإن لهم فتنة كفنته العذارى.

وأما الفائدة الثانية: في غض البصر فهو أنه يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢]، فالتعلق في الصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة :: فمقي إفاقة من به سكران.
وقيل قالوا جنت بمن قهوى فقلت لهم :: العشق أعظم مما بالجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه :: وإنما يصرع الجنون في الحين
ونذكر سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال: {اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور: ٣٥] وكان شاه بن شجاع الكرمانى لا تخطئ له فراسة وكان يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وذكر خصلة خامسة وهي أكل الحلال لم تخطئ له فراسة والله تعالى يجزئ العبد على عمله بما هو من جنس عمله فغض بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشف ونحو ذلك مما ينال بصيرة القلب.

والفائدة الثالثة:

قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان النصره مع سلطان الحجة وفي الأثر الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ولهذا يوجد في المتبع لهواه من الذل ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه فإن الله جعل العزة لمن أطاعه والذلة لمن عصاه قال

تعالى: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَخُورُجُكَ الْأَعْزَمُ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، ولهذا كان في كلام الشيوخ الناس يطلبون العز من أبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله وكان الحسن البصري يقول وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال فإن ذل المعصية في رقابهم يأبى الله إلا أن يذل من عصاه ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ومن عصاه ففيه قسط من فعل من عاداه بمعاصيه وفي دعاء القنوت إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

- انتهى من كتاب ابن القيم في روضة المحبين / ١١٣

(يقول الشيخ القاسمي في كتابة محاسن التأويل)

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: ٣٠].

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ}، أي: مقتضى إيمانكم الغض عما حرم الله تعالى النظر إليه: {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}، أي: عن الإفضاء بها إلى محرم، أو عن الإبداء والكشف: {ذَلِكَ}، أي: الغض والحفظ: {أَزْكَى لَهُمْ}، أي: أطهر للنفس وأتقى للدين: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} أي: بأفعالهم وأحوالهم. وكيف يجيلون أبصارهم، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم. فعليتهم، إذ عرفوا ذلك، أن يكونوا منه على تقوى وحذر، في كل حركة وسكون. أفاده الزمخشري.

تنبيهات:

الأول: قال السيوطي في "الإكليل": في الآية تحريم النظر إلى النساء وعورات الرجال وتحريم كشفها. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنى، إلا هذه الآية والتي بعدها، فهو أن لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة. انتهى.

وليس بمتعين. وعليه فيكون النهي عن الزنى يعلم منه بطريق الأولى. أو الحفظ عن الإبداء يستلزم الحفظ عن الإفشاء.

الثاني: إن قيل: لم أتى بمن التبعية في غض الأبصار وقيدها به دون حفظ الفروج؟ مع أنه غير مطلق ومقيد في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [٥] إِنْ عَلَيَّ آزْوَاجُهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ { [المؤمنون: ٥ - ٦]، لأن المستثنى في الحفظ هو الأزواج والسراري، وهو قليل بالنسبة لما عداه. فجعل كالعدم ولم يقيد به. مع أنه معلوم من الآية الأخرى. بخلاف ما يطلق فيه البصر، فإنه يباح في أكثر الأشياء، إلا نظر ما حرم عن قصد. فقيد الغض به ومدخول من التبعية ينبغي أن يكون أقل من الباقي. وقيل: إن الغض والحفظ عن الأجانب. وبعض الغض ممنوع بالنسبة إليهم، وبعضه جائز: بخلاف الحفظ فلا وجه لدخول من فيه. كذا في "العناية".

الثالث: سر تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج، هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور، كما قال الحماسي:

وكنْتَ إِذَا أُرْسِلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً :: لِقَلْبِكَ يَوْمًا، أَتَعْبَيْكَ الْمَنَاطِرُ
ولأن البلوى فيه أشد وأكثر. ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. فبودر إلى منعه. ولأنه يتقدم الفجور في الواقع، فجعل النظم على وفقه.

الرابع: غض البصر من أجل الأدوية لعلاج أمراض القلوب. وفيه حسم لمادتها قبل حصولها. فإن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس. ومن أطلق لحظاته، دامت حسراته.

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الجواب الشافي": في غض البصر عدة منافع:

أحدها: امتثال أمر الله هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده. وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى. وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة. إلا بامتثال أوامر ربه. وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثاني: أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه، إلى قلبه.

الثالث: أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعيّة على الله، فإن إطلاق البصر يفرّق القلب ويشنّته ويبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إلى إطلاق البصر. فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

الرابع: أنه يقوي القلب ويفرحه. كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

الخامس: أنه يكسب القلب نوراً. كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة، ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر. فقال: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور: ٣٠]، ثم قال إثر ذلك: {اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور: ٣٥]. أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن، الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه. وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان. فما شئت من بدعة وضلالة، واتباع هوى واجتتاب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة. فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب. فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حناديس الظلام.

السادس: أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب. وكان شاه بن شجاع الكرمانى يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال - لم تخطئ له فراسة.

وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة، والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله. ومن ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه، فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه بأن يطلق بصيرته عوضاً عن حبسه بصره لله. ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة، والفراسة الصادقة المصيبة التي، إنما تنال ببصيرة القلب. وضد هذا مما وصف الله

به اللوطة من العمه الذي هو ضد البصيرة. فقال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢]، فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعمه هو فساد البصيرة، فالتعلق بالصور يوجب إفساد العقل، وعمه البصيرة يسكر القلب، كما قال القائل:

سُكْرَانِ: سَكْرٌ هُوَ وَسُكْرٌ مُدَامَةٌ وَمَتَى إِفَاقُهُ مَنْ بِهِ سُكْرَانٍ؟
وقال الآخر:

قالوا: جُنُنْتُ بَمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ: العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبه وإنما يُصرَعُ المجنونُ في الحين
السابع: أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة وقوة. ويجمع الله له بين
سلطان البصيرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر: الذي
يخالف هواه يَفْرُقُ الشيطان من ظله. وضد هذا تجده في المتبع هواه، من
ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها. وما جعل الله سبحانه
فيمن عصاه. كما قال الحسن: إنهم وإن طُقطِقت بهم البغال، وهملجت بهم
البراذين، فإن المعصية لا تفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.
وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته. والذل قرين معصيته، فقال
تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: {وَلَا
تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]،
والإيمان قول وعمل ظاهر وباطن. وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]، أي: من
كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره، من الكلم الطيب، والعلم
الصالح. وفي دعاء القنوت: إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.
ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه. وله من العز بحسب طاعته،
ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه. وله من الذل بحسب معصيته.

الثامن: أنه يسدّ على الشيطان مدخله من القلب. فإنه يدخل مع النظرة
وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي، فيمثل له
صورة المنظور إليه، يزينها ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعده
ويعينه. ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقي عليه حطب المعاصي، التي

لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة. فيصير القلب في اللهب، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التي يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات. فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب. فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور، ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصور المحرمة، أن جعل لهم في البرزخ تنور من نار، وأودعت أرواحهم فيه، إلى حشر أجسادهم، كما أراها الله نبيه ﷺ في المنام في الحديث المتفق على صحته.

التاسع: أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها. وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها. فتفترط عليه أموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن أمر ربه، قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]، وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

العاشر: أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يوجب انفعال أحدهما عن الآخر. وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده. فإذا فسد القلب فسد النظر. وإذا فسد النظر فسد القلب. وكذلك في جانب الصلاح. فإذا خربت العين وفسدت، خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ. فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه. وإنما يسكن فيه أضداد ذلك. فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر، تطلعك على ما وراءها. انتهى.

ثم أمر الله تعالى النساء بما أمر به الرجال. وزاد في أمرهن، ما فرضه

من رفض حالة الجاهلية المألوفة قبلُ لهن، بقوله سبحانه: القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَوَاطِئَهُنَّ أَوْ أَبْيَاطَهُنَّ أَوْ أَبْجَافَهُنَّ أَوْ كَأْسِيَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بُنَيَّ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ لِلتَّبَعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الذِّبِكِ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ

وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } أي: بالتستر والتصون عن الزنى كما تقدم. قال الزمخشري: النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار. ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى الأجنبي إلى ما تحت سترته إلى ركبته. وإن اشتتهت غضت بصرها رأساً. ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك. وغض بصرها من الأجانب أصلاً، أولى بها وأحسن. ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة. فأقبل ابن أم مكتوم. وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب. فدخل علينا. فقال: «احتجبا». قلنا: يا رسول الله! أليس أعمى لا يبصرنا! قال: «أفعميان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟» وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه.

{ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا } قال الزمخشري: الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب. فما كان ظاهراً منها، كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب، فلا بأس بإبدائه للأجانب. وما خفي منها كالسوار والخلخال، والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وذكر الزينة دون مواقعها، للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر. لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد، لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء. وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن. فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل لها لملابستها تلك المواقع، بدليل أن النظر لها غير ملابسة لها، لا مقال في حله - كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها.

فإن قلت: لم سُمح مطلقاً في الزينة الظاهرة؟ قلت: لأن سترها فيه حرج. فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح. وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها. وخاصة الفقيرات منهن. وهذا معنى قوله تعالى: {إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} يعني: إلا ما جرت العادة والجملة

على ظهوره، والأصل فيه الظهور. انتهى.

وقال السيوطي في "الإكليل": فسر ابن عباس قوله تعالى: {لَا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} بالوجه والكفين، كما أخرجه ابن أبي حاتم. فاستدل به من أباح النظر إلى وجه المرأة وكفيها، حيث لا فتنة. ومن قال: إن عورتها ما عداهما. وفسره ابن مسعود بالثياب، وفسر الزينة بالخاتم والسوار والقرط والقلادة والخلخال. أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً. فهو دليل لمن لم يجز النظر إلى شيء من بدنهما، وجعلها كلها عورة: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} أي: وليسترن بمقانعهن، شعورهن وأعناقهن وقرطهن وصدورهن، بالقائنها على جيوبهن أي: مواضعها، وهي النحر والصدر.

قال الزمخشري: كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليتها. وكأن يسدلن الخمر من ورائهن، فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنهن من قدامهن حتى يغطيها. ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور، تسمية بما يليها ويلبسها، ومنه قولهم: ناصح الجيب.

لطيفة:

قال أبو حيان: عذي يضربن بعلی لتضمنه معنى الوضع. وجعله الراغب مما يتعدى بها دون تضمين. والخمر: جمع خمار يقال لغة لما يستر به. وخصصه العرف بما تغطي به المرأة رأسها. ومنه اختمرت المرأة وتخمرت. والجيب ما جيب، أي: قطع من أعلى القميص. وهو ما يسميه العامة طوقاً. وأما إطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها، فليس من كلام العرب. كما ذكره ابن تيمية. كذا في "العناية" ثم كرر النهي عن إبداء الزينة لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه، باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور، بقوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِمُؤَلَّتِهِنَّ} أي: فإنهم المقصودون بالزينة. ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج. لكن بکراهة على المشهور.

وقال الإمام أبو الحسن بن القطان في كتاب "إحكام النظر": عن أصبغ، لا بأس به، وليس بمكروه. وروي عن مالك لا بأس أن ينظر إلى

الفرج في الجماع. ثم ذكرنا أن ما روي من أن ذلك يورث العمى، فحديث لا يصح. لأن فيه بقية وقد قالوا بقية أحاديثه نقية ولم يؤثر عن العرب كراهة ذلك. وللنابغة والأعشى وأبي عبيدة وابن ميادة وعبد بني الحساس والفرزدق، في ذلك ما هو معروف.

وقوله تعالى: {أَوَّابًا يُهَيِّجُ أَوَّابًا بِعُورَتِهِمْ أَوْ إِبْنَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَمَلَهُمْ} أي: لأن هؤلاء محارمهم الذين تؤمن الفتنة من قبلهم. فإن آباءهم أولياؤهم الذي يحفظونهم عما يسوءهم. وآباء بعولتهم يحفظون على أبناءهم ما يسوءهم. وأبناءؤهم شأنهم خدمة الأمهات، وهم منهم. وأبناء بعولتهم شأنهم خدمة الآباء وخدمة أحبائهم. وإخوانهم هم الأولياء بعد الآباء. وبنوهم أولياء بعدهم. وكذا بنو أخواتهم، هم كبنى إخوانهم في القرابة فيتعيرون بنسبة السوء إلى الخالة. تعيرهم بنسبته إلى العمة. هذا ما أشار له المهامي.

وأجمل ذلك الزمخشري بقوله: وإنما سُمح في الزينة الخفية أولئك المذكورون، لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالفتهم. ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن ممارسة القرائب. وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك. وقوله تعالى: {أَوْسَاءَهُمْ} قيل: هن المؤمنات. أخذاً من الإضافة. فليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية. وقيل: النساء كلهن. فإنهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض.

قال في "الإكليل": فيه إباحة نظر المرأة إلى المرأة كمحرم. وروى ابن أبي حاتم عن عطاء؛ أن أصحاب النبي ﷺ لما قدموا بيت المقدس، كان قوابل نسائهن اليهوديات والنصرانيات.

وقال الرازي: القول الثاني هو المذهب وقول السلف الأول محمول على الاستحباب والأولى.

وقوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} أي: لاحتياجهن إليهم. فلو منع دخولهم عليهن اضطررن. قاله المهامي. وظاهر الآية يشمل العبيد

والإمام. وإليه ذهب قوم. قالوا: لا بأس عليهن في أن يظهرن لعبيدهن من زينتهن ما يظهرن لذوي محارمهن. واحتجوا أيضاً بما رواه أبو داود عن أنس أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعدد قد وهبه لها. قال: وعلى فاطمة ثوب، إذا قنعت به رأسها، لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها، لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال: «إنه ليس عليك بأس. إنما هو أبوك وغلامك».

وجاء في "تاريخ ابن عساكر" أن عبد الله بن مسعدة كان أسود شديد الأدمة. وقد كان وهبه النبي ﷺ صلوات الله عليه لابنته فاطمة. فربته ثم أعتقه، ثم كان، بعد مع معلوية على علي. نقله ابن كثير، فاحتمل أن يكون هو هو. والله أعلم.

وذهب قوم إلى أنه بذلك الإماء المشركات، وأنه يجوز لها أن تظهر زينتها إليهن وإن كن مشركات. قالوا: وسرّ أفراد الإماء مع شموله قوله: {أَوْ نِسَائِهِنَّ} لهن الإعلام بأن المراد من في صحبتتهن من الحرائر والإمام لظهور الإضافة في نساتهن بالحرائر. كقوله: {شَهِيدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ} [البقرة: ٢٨٢]، فعطفن عليهن ليشاركنهن في إباحة النظر عليهن، والقول الأول أقوى. لأن الأصل هو العمل بالعام حتى يقوم دليل على تخصيصه. لا سيما والحكمة ظاهرة فيه وهي رفع الحرج. وهذا الذي قطع به الشافعي وجمهور أصحابه.

قال في "الإكليل": وعلى الأول استدل بإضافة اليمين على أنه ليس لعبد الزوج النظر. واستدل من أباحه بقراءة: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}.

وقوله: {أَوْ التَّبَعِينَ} أي: الخدام لأنهن في معنى العبيد: {غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ} أي: الحاجة إلى نساء: {مِنْ الرِّجَالِ} كالشيخ الهرم والبله واستدل بهذا من أباح نظر الخصي. وقوله تعالى: {أَوِ الْطِفْلَ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ} أي: لم يفهموا أحوالهن، لصغرهم. فيستدل به على تحريم نظر المراهق الذي فهم ذلك كالبالغ. كما في "الإكليل".

قال الزمخشري: يظهرها إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة، ولا يميزون بينها وبين غيرها. وإما من ظهر

على فلان إذا قوي عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي: لم يبلغوا أوان القدرة على الوطاء. والطفل مفرد وضع موضع الجمع بقرينة وصفه بالجمع. ومثله الحاج بمعنى: الحاجاج. وقال الراغب: إنه يقع على الجمع.

تنبيه:

قال السيوطي في "الإكليل": استدل بعضهم بقولهم تعالى: {وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا} الخ على أنه لا يباح النظر للعم والخال، لعدم ذكرهما في الآية. أخرج ابن المنذر عن الشعبي وعكرمة، قالا: لم يذكر العم والخال لأنهما ينعتان لأبناهما، ولا تضع خمارها عند العم والخال.

وقال الرازي: القول الظاهر أنهما كسائر المحارم في جواز النظر. وهو قول الحسن البصري. قال: لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب. وقال في سورة الأحزاب: {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءَ أَبَائِهِنَّ} [الأحزاب: ٥٥]، الآية، ولم يذكر فيها البعولة ولا أبناءهم. وقد ذكروا هاهنا. وقد يذكر البعض لينبه على الجملة.

ثم قال: في قول الشعبي من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر.

ثم أشار تعالى إلى أن الزينة، كما يجب إخفائها عن البصر، يجب عن السمع، إن كانت مما تؤثر فيه ميلاً، بقوله سبحانه: {وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ} أي: الأرض: {لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ} أي: عن الأبصار: {مِنْ زِينَتِهِنَّ} كالخلخال. وهذا نهى عن ما كان يفعله بعضهن. وذلك من ضرب أرجلهن الأرض ليتحرك خلخالهن فيعلم أنهن متحليات به. فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إليهم.

قال الزمخشري: وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ. قيل: وإذا نهى عن استماع صوت حليهن. فعن استماع صوتهن بالطريق الأولى. وهذا سد لباب المحرمات، وتعليم للأحواض الأحسن، لا سيما في مظان الريب وما يكون ذريعة إليها.

تنبيه:

قال ابن كثير: يدخل في هذا النهي كل شيء من زينتها كان مستوراً، فتحركت بحركة، لتظهر ما خفي منها. ومن ذلك ما ورد من نهيتها عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها. فروى الترمذي عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا». يعني زانية.

قال: ومن الباب عن أبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود والنسائي. وروى الترمذي أيضاً عن ميمونة بنت سعد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة، لا نور لها». ومن ذلك أيضاً، نهيهن من المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. فروى أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع النبي ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق. فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحقّقن الطريق. عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى أن ثوبها ليلتعلق بالجدار من لصوقها به. وقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ} أي: ارجعوا إليه بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه، فإن مقتضى إيمانكم ذلك: {الْعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ} أي: لكي تفوزوا بسعادة الدارين. ولما زجر تعالى عن السفاح ومبادهي القرية والبعيدة انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٢٦/١٥).

* مسألة: ما حكم نظرة الفجأة؟ أن يصرف بصره كما جاء في حديث جرير بن عبد الله.

قال القرطبي: "إنما أمره أن يصرف بصره عن استدامة النظر إلى ما وقع عينه عليه أول مرة وإنما لم يتعرض إلى الأولى، لأنها لا تدخل تحت خطاب التكليف، إذ وقوعها يتأتى أن يكون مقصوداً، فلا تكون مكتسبة فلا يكون مكلفاً بها، فأعرض عما ليس مكلفاً به، ونهاه عما يكلف به، لأن استدامة النظر مكتسبة للإنسان، إذ قد يستحسن ما وافقه بصره فيتابع النظر، فيحصل المحذور وهو النظر إلى ما لا يحل ولذلك قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك

الأولى، وليس لك الثانية». المفهم (٤٨٢/٥).
(انتهى)

(يقول الشيخ سعيد بن مسفر في بعض محاضراته)
عن فوائد غض البصر
(سئل الشيخ حفظه الله)

ما السبيل إلى حفظ العين، والفتن تعرض على الأعين صباح مساء،
فكم من شاب انحرف وكان ضحية للنظر الحرام، فهل من رسالة إلى
أولئك؟

الجواب

غض البصر من أعظم الأعمال والقربات، ينال به الإنسان ثواباً
عظيماً عند الله سبحانه وتعالى، وله فوائد كثيرة: وأول فائدة من غض
البصر: أنه يصعد إلى درجة الإحسان، لماذا؟ لأنه ما غض بصره إلا
لشعوره بأن الله يراه، وهذه مرتبة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه،
فعندما رأيت امرأة وعرفت أن الله يراك غضضت بصرك، فهذه مرتبة
الإحسان.

ثانياً: يفتح الله بصيرتك، فإن الجزاء دائماً من جنس العمل، فمن
غض بصره أطلق الله بصيرته في دين الله، ومن فتح بصره أعمى الله
بصيرته في دين الله، والجزاء من جنس العمل.

ثالثاً: (من غض بصره احتساباً لوجه الله أبدله الله إيماناً يجد حلاوته
إلى يوم يلقاه).

رابعاً: حسنة؛ لأن العبد إذا هم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة،
هممت أن تنظر إلى امرأة ثم غضضت بصرك، ما الذي جعلك تغض؟
خوفاً من الله، فغضبك للبصر ثواب.

خامساً: أن تعلم أن نظر الله أسرع إليك من نظرك إلى المنظور إليه،
قالوا للحسن البصري: [بم نستعين على غض البصر؟ قال: بعلمك بأن
نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى المنظور إليه] فأنت تنظر والله ينظر

فما هو موقفك؟! لو أن رجلاً معه امرأة ويمشي بها في الشارع، وجئت أنت أمامه وهو واقف بجانبها وأنت تنظر إليها وهو واقف، هل أحد يفعل هذا؟ لا يستطيع، يخجل ممن؟ من الزوج، أفلا تخجل من الله؟! هذه من محارم الله، وكل هذه الأمور يجب أن تستشعرها وتستعين بالله ثم تغض بصرك.

أيضاً: أن تعلم أن إطلاق البصر لا يفيد، يعني: مهما نظرت هل تشبع؟ مثل رجل يكاد أن يموت من الجوع، وهناك قدر مملوء من أحسن الطعام، ولكنه بعيد، وهو يشم، هل يشبع بالشم؟ لا يشبع إلا (بضرب الخمس) إذا أكل، كذلك هناك امرأة هل تشبع بالنظر؟ لا يشبع إلا (بضرب الخمس)، وجوع الجنس مثل جوع البطن، إذاً لماذا تعذب نفسك وتنظر في النساء؟ يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، أفضل لك، هذا ربك يقول: إن غض البصر أزكى لك.

ثم في غض البصر راحة القلب، فإن القلب مصب العين، فإذا صبت العين على القلب جمرأً احترق؛ ولهذا يقول:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً :: لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه :: ولا عن بعضه أنت صابرٌ
والآخر يقول:

وأنا الذي جلب المنيّة طرفه :: فمن المطالب والقتيل القاتل
وبعض الناس تجده يخرج من بيت أهله ليس عنده مشكلة، فإذا ذهب إلى السوق أو الشارع ورأى امرأة، نظر إليها ونظرت إليه، وعاد إلى البيت وهو مغموم مهموم، يقولون له: تعش، قال: لا أريد، ماذا بك؟ ما الذي حصل؟ نظرة.

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وترٍ
وماذا تعمل؟ غض بصرك، صحيح أن غض بصرك متعب؛ لكنه أسهل مليون مرة من تعب فتح البصر، طاعة الله تبارك وتعالى، والله لا يقول لك غض بصرك دائماً، لا.

غض بصرك إلى أن تتزوج، فإذا تزوجت فافتح عينك على امرأتك إلى أقصى حد؛ لأنها معك، لكن أن تنتظر في بنات الناس، ماذا تستفيد؟ ذهبت بيت أهلها، وأنت ذهبت بيت أهلك، وهب فرضاً أنك استطعت أن تصل إليها عن طريق الحرام، وأشبعت جوعة الجنس التي هي مثل جوعة البطن، نحن تغدينا قبل الساعة الثانية، والآن ما رأيكم هل أنتم جائعون؟ كذلك الذي يصل إلى الحرام بعد يومين يريد الحرام، وإلى متى وأنت في الحرام؟ أوقف الحرام إلى أن تتزوج ثم انظر إليها؛ لأنك تنتظر في شيء في يدك، إذا أردتها فهي حاضرة وهي حلال ولك أجر على جماعك.

نصيحة لمن يكل ويمل من حياة الالتزام

السؤال: يستطيل بعض الشباب الطريق ويمل ويكل ويقسو قلبه أحياناً، ويصبح التزامه مجرد عادة لا عبادة، فما الحل إلى ذلك جزاكم الله خيراً؟

الجواب: الحل أن يعرف أن الطريق طويل وشاق، ومحاط بالشهوات والشبهات والمكاه، وإن الأمر يتطلب منه أن يستقيم إلى أن يموت، يقول الله: {وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَقَّ يَأْتِيكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩]، وما هو اليقين؟ الموت، وإذا لم يدرك الإنسان هذه المعاني فإنه سيسقط في الطريق ولن يواصل.

(انتهى كلام الشيخ حفظه الله تعالى)

(قلت) أسأل الله تبارك وتعالى أن يجنبنا ماظهر منها وماباطن وأن يوسع أرزاقنا في الدنيا والآخرة إنه أرحم الراحمين جواد كريم أمين.

«من مفاتيح الرزق - الإنفاق على طلبه العلم الشرعي» (أحبتي في الله)

بيننا في باب سابق - من هذا الكتاب - أن من مفاتيح الرزق الإنفاق في سبيل الله وذكرنا بأنه سبب رئيسي لزيادة الرزق.

والبركة في الدنيا والآخرة - ولكني أردت في هذا العنصر أن أتكلم على باب الإنفاق على طلبه العلم الشرعي في باب خاص به لأنه من الأهمية بمكان وهذا باب غفل عنه الكثيرون لأنني رأيت بأمر عيني بعض - طلبه العلم الشرعي - لا يجدون ما يفرغونهم لنشر العلم بين الناس ولا يفتن إليهم فتركوا العلم الشرعي واشتغلوا بأعمال صرفتهم عن هذا الخير الكبير

(رسالة إلى الأغنياء)

- أخي الحبيب -

أنك إن أنفقت من مالك على طلبه العلم الشرعي فإن الله سوف يبارك لك في مالك بل وسوف ينمي لك ويخلف عليك من فضله، وهذا باب مع كل أسف غفل عنه الكثيرون، فتراهم ينفق على فقير محتاج وهذا خير أيضاً، لكن إذا دعي لمشروع دعوي من أجل طلب علم شرعي، أو حلقات تحفيظ القرآن الذي هو أعظم العلم تراه يحجم ولا يشارك ويقول بأن سد حاجة الفقير أولى، وهذا خطأ أحياناً.

خذ هذا المثال: الإنفاق على الجهاد في سبيل الله يكون في كثير من الأحيان أعظم من إطعام فقير، لأن الفقير لا يموت جوعاً، أما الجهاد إذا عطل في الأمة كما هو الآن فإن الأمة كلها قد تنكب ويصيبها الذل والهوان، وليس باب العلم الشرعي بأقل من باب الجهاد لأن ذاك جهاد بالسيف والسنان، وهذا جهاد بالقلم والبيان، والأمة محتاجة للأمرين معاً، روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: كان إخواني على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ قال الشارح: أنه يأتيه لطلب العلم - والآخر تحترف - يعني عنده صنعة - فشكى المحترف أخاه النبي ﷺ فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «لعلك ترزق به».

وقد ذكر بعض أهل العلم أن المتفرغين لطلب العلم الشرعي داخلون في قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: ٢٧٣].
- وقد يكون طالب العلم هذا فقيراً -.

سئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «سَرَّ إلى فقير وجهه إلى مقل، وقد أثنى الله تعالى على شدة المتصدق بالسر». فقال النبي ﷺ: «لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجب الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال نعم، الحديد، قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال نعم، النار، قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم، الريح، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شاله»^(١).

أخي القارئ: من أنفق في سبيل الله وبذل في وجوه الخير، فإن الحسنة تضاعف له من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف يعني أن من أنفق لوجه الله فإنه يشبه من زرع حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبل مائة حبة، أي أن غلة الحبة تضاعف سبعمائة مرة، وقد يضاعف الله الثواب إلى أكثر من ذلك. وأن الله يزيد الثواب على قدر حال المنفق ورغبته فيما عند الله. وإخلاص النية^(٢) قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

فالمسلم الصادق هو الذي يكون قوياً في إيمانه، ويكون بماله معيناً على نوائب الحق، ويشمل ببره وإحسانه كل محتاج إلى رفده. فما يتحلى الغني بخصال الخير والأخلاق الفاضلة إلا وتظهر عليه علامات شكر

(١) مسند الإمام أحمد والترمذي.

(٢) الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع/ إبراهيم بن محمد الضبيعي، ص ٣، ط ١،

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

النعمة، ومن أبرزها صفتي الجود والكرم، وهي صفات الله جل وعلا. فهو الجواد الكريم. فمن واجب المسلم أن يشكر الله على نعمه، والشكر ثلاثة أنواع.. شكر في القلب: وهو تصور النعمة، وشكر باللسان: وهو الثناء على الله سبحانه وتعالى والتحدث بنعمه، وشكر بالجوارح: وهو مقابلة النعمة بما يستحق من العمل والصدقات تكاد تشتمل على أنواع الشكر الثلاثة.

أخي القارئ إن المؤمن حقاً هو الذي يبادر إلى الخيرات، ويسارع إلى الأعمال الصالحة وينفق مما آتاه الله. قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: عليك بالصدقة بما قل أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة: خمس في الدنيا وخمس في الآخرة^(١): فأما الخمس التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال كما قال النبي ﷺ: «يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره الحق والكذب، فشوبوه بالصدقة»^(٢).

والثانية: إن من نفعها تطهير البدن من الذنوب. كما قال الله عز وجل: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: ١٠٣].

والثالثة: إن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال النبي ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة وأعدوا للبلاء الدعاء»^(٣).

الرابعة: إن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامسة: إن فيها بركة في المال وسعة في الرزق. كما قال الله تعالى {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبا: ٣٩].

وأما الخمس التي في الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلاً لصاحبها من شدة الحر.

والثانية: إن فيها خفة الحساب.

(١) أين نحن من هؤلاء/ عبد الملك القاسم، ص ١٩٨، ج ٤، دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) صحيح النسائي.

(٣) أخرجه البيهقي وحسنه الألباني.

والثالثة: إنها تتقل الميزان.

والرابعة: جواز على الصراط.

والخامسة: زيادة الدرجات في الجنة ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى ورغم الشيطان وفيها الاقتداء بالصالحين؛ لأن الصالحين كانت همته الصدقة.

قال ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمُه الله ليس بينه وبينه تُرْجمان فينظرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدم فينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم فينظرُ بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة»^(١). أي: أن العبد برحمة الله قد ينجو من النار ولو تصدق بالقليل ولو كان مقدار «نصف التمرة».

ومما يدل على فضل الصدقة، وفضل الإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل، وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العيال^(٢) وأن من فعل ذلك يبارك الله له في ماله ويحصل له الأجر العظيم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٣).

أخي القارئ.. أختي القارئة: من أفضل الصدقات التصدق بسقي الماء، لحديث سعد بن عبادة - - رضي الله عنه - - قال: قلت يا رسول الله، إن أُمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قلت: فأَي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء» فتلك سقاية سعدٍ بالمدينة وفي لفظ لأبي داود: «فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعدٍ»^(٤) ولكن يتحرى المتصدق حاجة الناس فيتصدق بما

(١) متفق عليه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٢٥/١٨.

(٣) متفق عليه.

(٤) صدقة التطوع في الإسلام، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ٢٨.

تدعو إليه الحاجة، سواء كانت في الماء أو في غيره ^(١).

قال العلامة السعدي - رحمه الله: {مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} [إبراهيم: ٣١].

أي لا ينفع فيه شيء ولا سبيل إلى استدراك ما فات، لا بمعارضة ببيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله، ويحاسب نفسه قبل الحساب الأكبر.

وقال تعالى: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤].

وهذا من فضل الله ولطفه بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم، ليكون لهم ذخراً وأجرًا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه، ولو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبًا ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا صديق: لا بوجهة، ولا بشفاعه ^(٢).

* * *

رسالة إلى إخواني طلبة العلم

- أحبتي في الله -

إن من أعظم سعادة الروح، والقلب، والبدن، طلب العلم النافع؛ الذي يدل على الله ويقرب العبد منه، فإن في مشقة هذا العلم لذة لا تعدلها لذة، ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة، وعظم قدرها لتجالدوا عليه بالسيوف، ولكن حُجبوا عنها بحجاب من جهل، ليخص الله من شاء به من عباده، والله ذو فضلٍ عظيم، وقد يتعرض الطالب في أول الطلب إلى مرارة وغصص بسبب ما تراكم على القلب من أمراض الجهل ولكن سرعان ما تزول بالصبر والاستمرار.

(١) مصدر سابق، ص ٢٨.

(٢) صدقة التطوع، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ٣١.

لقد دل الله عليهم، وأرشد إليهم فقال تعالى: {فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: {وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢].

فالعلماء هم صمام أمن الأمة، وبها يعلي الله قدرها ويرفع شأنها، وهم ورثة النبي ﷺ، وتفرغهم للعلم وطلبه مطلب أساسي يجب على الأمة أن تدركه.

وأفضل الإنفاق، وأقرب الصدقات، وأعظم القربات؛ ما تقرب به العبد في نشر العلم والإعانة عليه، وأن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة؛ الذين يستعينون بهذه الصدقة على طاعة الله، فتكون شريكاً لهم في طاعته سبحانه وتعالى بإعانتك إياهم، فإن همم هؤلاء لله؛ فإن طرقها فاقة تشتت همهم، فلئن ترد هم أحدهم إلى الله تعالى؛ خير لك من أن تُعطي ألفاً ممن همته الدنيا، فالعلم أشرف العبادات، وأصحابه مشغولون به، فإن انقطعوا لغيره ضيعوه، فهم أولى أن تنفق لهم الأموال، ويبدل لهم الفضل، وتتجه إليهم القلوب؛ لأن الكل عنهم غافل، فهم مستترون مخفيون، لا يكثرون البث والشكوى، قال تعالى: {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: ٢٧٣].

ولقد بين النبي ﷺ أنه لا حسد في مال إلا لمنفق أنفق ماله وأهلكه في الحق.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعْلِمُهَا» (١).

فانظر كيف قرن النبي ﷺ بين العلم والنفقة في من يستحق أن يغبطه الناس ويستوجب الحسد؛ من رزق بركة العلم فهو أعلى الدرجات وفي

(١) رواه البخاري (٧٣) مسلم (٨١٥).

من ينفق ماله في الحق، وليس هناك حق أفضل من الإنفاق على طلبة العلم، وفي نشر العلم.

وكان لابن المبارك السبق في ذلك، فكان ينفق على جُلِّ علماء زمانه ويفتخر بهذا ويفرح، ليحضر على معونة ومساعدة هؤلاء، ولقد كان العلماء يفرحون بصلته ويعظمونها لما يعلمون أنها من خالص الحلال رغم أن غالبهم كان يرد صلة الخلفاء والأمراء.

فالوقف على طلبة العلم والعلماء وكفايتهم مؤنة الدنيا وتفرغهم للعلم الشرعي من أعظم القربات وأجل ما يبذله العبد في باب الصدقات.

قال حبان بن موسى: "عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا! فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعانهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم" (١).

فأفضل نعمة طلب العلم ومن أعانته على الطلب فهما في الأجر سواء.

فالإنفاق على العلم من الإنفاق في سبيل الله وطرق الخير والبر، إذ هو من أعظم جهات البر، وقد جعل بعض العلماء الإنفاق على العلم يعدل الإنفاق على الجهاد في سبيل الله، لما روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ» (٢).

ولأن الجهاد جهادان:

جهاد بالعلم والبيان: وكان هذا جهاد النبي ﷺ في المرحلة المكية. وجهاد بالسيف والسنان: وهذا جهاد النبي ﷺ في المرحلة المدنية مع الجهاد السابق.

قال ابن نجيم - رحمه الله -: "... فعلى هذا إذا وقف على طلبة علم

(١) تاريخ دمشق ٤٥٥/٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي في العلم، باب: فضل العلم (٢٦٤٩) وحسنه.

بلدة كذا يجوز...". (١).

قال ابن عابدين - رحمه الله -: "مطلب في حكم الوقف على طلبة العلم.. قوله: وإن على طلبة العلم: ظاهره: صحة الوقف عليهم..". (٢).

وقال الخرشي - رحمه الله -: "ويتأبد الوقف إذا قال تصدقت على الفقراء والمساكين، أو على المساجد، أو طلبة العلم وما أشبه ذلك..." (٣).

وقال النووي - رحمه الله -: "وإن وقف على جهة معصية كعمارة الكنائس فباطل، أو جهة قرابة كالفقراء، والعلماء، والمساجد، والمدارس صح" (٤).

وفي مغني المحتاج: "والمراد بالعلماء: أصحاب علوم الشرع" (٥). وفي كشف القناع: "الشرط الثاني: أن الوقف على بر... كالفقراء والمساكين والغزاة والعلماء والمتعلمين وكتابة القرآن... والمساجد والمدارس..." (٦).

الوقف على دور العلم

ولذلك نرى في العصور الماضية لما علم الأمراء والأثرياء من الناس خطورة إهمال باب النفقة على العلماء وطلبة العلم ودور التعلم كانوا يوقفون أموالاً من أجل ذلك من أرض ودور وعقارات وغيرها، تكون وفقاً لطلب العلم الشرعي

فإن من أعظم الأسباب المعينة لطالب العلم سهولة الرزق وطلب العيش، وأن يكون حلالاً، فإن طالب العلم يحتاج من الدنيا إلى ما يبلغه إلى الآخرة، فكلما كانت الدنيا له معوق كان على حساب الآخرة، فالدنيا

(١) البحر الرائق (١٩٩/٥).

(٢) حاشية ابن عابدين (٣٨٧/٣).

(٣) شرح الخرشي على مختصر خليل (٨٩/٧).

(٤) المنهاج مع مغني المحتاج (٣٨١/٢).

(٥) المنهاج مع مغني المحتاج (٣٨١/٢).

(٦) كشف القناع ٢٤٥/٤.

مزرعة الآخرة ومدرجة إليها، والناس في أمر الدنيا متفاوتون فمنهم من شغلته الدنيا عن الآخرة، ومنهم من شغلته آخرته عن دنياه، ومنهم من شغله معاشه لمعاداة وهم أهل الاعتدال، فهو من المقتصدين، ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلزم في طلب المعيشة منهج السداد، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة، ما لم يتأدب في طلبها بأداب الشريعة فقد جعل سبحانه التكسب من الدنيا وسيلة، وضبطت بضابط من الشرع، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: ١٠]. وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ} [الإسراء: ١٢].

وقد أمر النبي ﷺ بالتكسب وطلب معاش الدنيا وحذر من أن يكون العبد عالة على الناس أعطوه أو منعوه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» (١).

فلا يعني النفقة على طالب العلم أن يتكفف الناس ويتطلع إليهم ولكن عليه ببذل الأسباب والتصبر ولا بد لتوجيه الأغنياء لهذا الباب أي باب الإنفاق على طلبة العلم وإعانتهم في الطلب.

فمن أعظم النعم وأجل المنن أن يوفق العبد إلى العلم النافع؛ فبه سعادة الدنيا والآخرة، فلو جمع نعيم الدنيا ما عدل نعيم طالب العلم، فقد يكون في أول طريقه مضيق عليه متعسر عليه النفقة - في جهد وبلاء - ولكن إن صبر عوضه الله خيرا في الدنيا والآخرة، فهذا القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يذكر قصته في أول الطلب.

عن علي بن الجعد قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف قال: توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أُمِّي، فأسلمتني إلى قصَّار (٢) أخدمه، فكنْتُ أدع القصَّار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس فأستمع، وكانت أُمِّي

(١) البخاري (١٤٧٠) مسلم (١٠٤٢)

(٢) الذي يقصر الثياب «لسان العرب».

تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا كسب له، وأنا أطعمه من مغزلي، وأمل أنه يكسب دانقاً يعود به على نفسه. فقال لها أبو حنيفة: مُري يا رعاء، ها هو ذا يتعلم أكل الفالودج بدهن الفستق. فانصرفت وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قَدَّم إليَّ هارون فالودجة بدهن فقال لي هارون: يا يعقوب، كُلْ منه، فليس كل يوم يعمل لنا مثله. فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالودجة بدهن الفستق، فضحكت. فقال لي: مم تضحك؟ قلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فتعجب من ذلك، وقال: لعمرى إن العلم يرفع وينفع دنيا وآخرة. وترحم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه. "المنتظم" (١٤٢/٣).

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع الذي يرفعنا الله به في الدنيا والآخرة إلى مقامات الصديقين وأعمال المخلصين إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

من مفاتيح الرزق التسمية في كل الأحوال

(أحبتي في الله)

إن من بركات الرزق ومفاتيحه التسمية عند كل شيء.

فأما التسمية: فقد ثبت أنه ﷺ كان يذكر اسم الله تعالى ويسمي في كثير من الأحيان، ويأمر أصحابه بذلك وذلك لما يحصل من ذكر اسم الله تعالى من البركة، وطرد الشيطان ومنع مشاركته الإنسان إلا فيما لم يذكر اسم الله تعالى عليه.

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ

وَرَجَلِكْ وَشَركَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤].

فسر بعض العلماء المشاركة هنا بأشياء كثيرة: منها مشاركة الشيطان للمجامع زوجته إذا لم يذكر اسم الله تعالى فقد جاء عند البخاري (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا، فرزقا ولدًا، لم يضره الشيطان».

وأصرح حديث بالأمر بالتسمية وبخاصة عند الطعام، هو ما جاء عند أبي داود (٢)، والترمذي (٣)، والحاكم (٤)، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره». هذا لفظ أبي داود، وعند الترمذي والحاكم بنحوه. وقال الحاكم عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا ابن قيم الجوزية (٥).

وقد جاء عند البخاري (٦)، ومسلم (٧) وغيرهما أيضًا حديث عمر بن أبي سلمة وفيه أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك...».

وتظهر فائدة التسمية بشكل جلي من خلال الأحاديث التالية:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أتر» وفي لفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع» وفي رواية: «فهو أجزم» أخرجه كل من ابن ماجه

(١) الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٣٥/٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٠/٣، ٧١).

(٢) السنن، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام (٣٤٧/٣).

(٣) الجامع، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام (٥٩٤/٥ - ٥٩٥).

(٤) المستدرک (١٠٨/٤).

(٥) زاد المعاد (٣٩٧/٢).

(٦) الصحيح، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين (٥٢١/٩).

(٧) الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، وأحكامهما (١٥٩٩/٣).

(١)، وأبي داود (٢)، وابن حبان (٣)، والدارقطني (٤)، والنسائي (٥)، واللفظ الثاني هو الأكثر، والأشهر، وقد ذكر طرقه السبكي وصححه (٦)، وقال النووي (٧): هذا الحديث حسن... روي موصولاً ومرسلاً، ورواية الموصول إسنادها جيد، ومعنى أقطع: قليل البركة.

وقال المحشي على سنن ابن ماجه: قال السندي: " الحديث حسنه ابن الصلاح والنووي " (٨).

قال الحافظ ابن حجر عند الكلام على كتاب النبي ﷺ له رقل: " فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم " قال النووي: " فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم ويحمل قوله في حديث أبي هريرة: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع» أي بذكر الله كما جاء في رواية أخرى فإنه روي على أوجه بذكر الله، ببسم الله، بحمد الله، قال: وهذا الكتاب كان ذا بال من المهمات العظام ولم يبدأ فيه بلفظ الحمد بل بالبسملة " (٩).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند كل من مسلم (١٠)، وأبي داود (١١)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (١٣)، أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»، هذا لفظ مسلم، والباقون بنحوه

(١) السنن، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٦١٠/١).

(٢) السنن، كتاب الأدب، باب الهدى في الكلام (٢٦١/٤).

(٣) الصحيح (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) (١٧٣/١ - ١٧٥) حديثاً (١، ٢).

(٤) السنن (٢٢٩/١).

(٥) عمل اليوم والليلة (ص ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٦) طبقات الشافعية الكبرى (٥/١ - ٢١).

(٧) شرح مسلم (٤٣/١).

(٨) وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٥/١٣).

(٩) فتح الباري (٢٢٠/٨).

(١٠) الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب (١٥٩٨/٣).

(١١) السنن، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام (٣٤٦/٣ - ٣٤٧).

(١٢) السنن، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته (١٢٧٩/٢).

(١٣) المسند (٣٨٣، ٣٤٦/٣).

وعندهم في أوله زيادة.

وعن عائشة رضي الله عنها عند كل من الترمذي ^(١)، وابن ماجه ^(٢) قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه لو سمّي لكفاكم». هذا لفظ الترمذي، ولفظ ابن ماجه بنحوه، وفيه عنده زيادة، وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وصححه - أيضاً - الألباني ^(٣).

... وقد ثبت عند البخاري ^(٤) ومن حديث غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم مرفوعاً: «أن المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

مما سبق، ومن خلال النظر في كتب شروح الحديث يتبين ما يلي:

١ - أهمية التسمية على كل أمر ذي بال، وأنها جالبة للخير والبركة، طاردة للشيطان الملعون المطرود الذي يحق البركة ويسر للمعصية. ومما يدل على أهمية التسمية أيضاً أن كثيراً ممن خرج الأحاديث السابقة عقدوا تراجم أبوابهم بذكر التسمية كما هو ملاحظ.

٢ - يستحب التسمية في أول كل أمر ذي بال كالدخل، والخروج، والأكل، والشراب، والوزن، والكيل، وعدّ النقود، واللباس، والجماع، ويلحق بها ما في معناها، وحمد الله تعالى في آخره. وقد نقل النووي الإجماع على استحباب التسمية وقال: فإن الشيطان يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله تعالى، وأكل الشيطان محمول على ظاهره وأنه يأكل حقيقة إذ العقل لا يحيله، والشرع لم ينكره، بل أثبتّه، فوجب قبوله واعتقاده.

شرح صحيح مسلم (٨٨/١٣ - ٩٠) بتصرف، وانظر الأذكار للنووي (ص ٣٠٥ - ٣٠٧).

(١) الجامع، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام (٥٩٥/٥).

(٢) السنن، كتاب الأطعمة، باب التسمية عند الطعام (١٠٨٦/٢ - ١٠٨٧).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٤/٢).

(٤) الصحيح، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد (٥٣٦/٩).

٣ - وقد قيل: إن معنى ذلك هو استحسان الشيطان رفع البركة من ذلك الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه.

انظر: فتح الباري (٥٢٢/٩).

٤ - أن الشيطان لم يسلط بإذن الله تعالى على من يسمي من أجل بركة التسمية، لأن في ذكر الله تعالى ودعائه اعتصاماً من الشيطان وأعوانه، فلا يشركهم الشيطان ولا يقربهم، وبذلك تحصل البركة.

فتح الباري (٢٢٩/٩) ببعض التصرف.

ومن كتاب رياض الصالحين

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواه مسلم.

فيه: مشروعية الذكر على كل حال طاهراً أو مُحدثاً.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنَّبِ الشَّيْطَانُ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ». متفق عليه.

قوله: «لم يضره». في رواية: «لم يضره الشيطان أبداً»، أي: لم يسلط عليه لأجل بركة التسمية، بل يكون من جملة العباد الذين قال الله فيهم: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء: ٦٥].

وقد قال الله تعالى: {وَأَسْتَفْزِزْ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ جَحِيلِكَ وَرَجَلَكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء: ٦٤].

قال مجاهد: إن الذي يجمع ولا يسمي، يلتف الشيطان على إحليله فيجمع معه.

قيل للبخاري: من لا يحسنها بالعربية يقولها بالفارسية؟ قال: نعم.

وفي الحديث: استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك في كل حال، حتى في حالة الملاذ.

وفيه: الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان، والتبرك باسمه،

والاستعاذة به من جميع الأسواء.

وفيه: إشارة إلى أنَّ الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله.

- باب مَا يَقُولُهُ عِنْدَ نَوْمِهِ وَاسْتَيْقَاضِهِ.

- عَنْ حُدَيْفَةَ وَأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ». رواه البخاري.

النوم أخو الموت، قال الله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَكُونُونَ} [الزمر: ٤٢].

وفي الحديث: استحباب هذا الذكر عند الاضطجاع، وعند الانتباه انتهى (من كتاب رياض الصالحين).

(من فتاوى الإسلام للشيخ محمد صالح المنجد)

سؤال رقم ٢١٧٣٤ - هل التسمية عند الجماع تعصم من الكبائر؟

هل التسمية عند الجماع تعصم المولود بإذن الله من الكبائر؟

الحمد لله

لقد ثبتت التسمية عند الجماع بحديث النبي ﷺ: «أَمَّا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي: أَهْلُهُ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَٰلِكَ أَوْ قُضِيَ- وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» رواه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤).

وأما فائدتها للمولود فقد اختلف العلماء في معنى قول النبي ﷺ: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» على أقوال كثيرة:

١ - الْمَعْنَى لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ بَرَكَاتِ التَّسْمِيَةِ، بَلْ يَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْعِبَادِ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء: ٦٥].

٢ - وَقِيلَ لَمْ يَضُرَّهُ فِي بَدَنِهِ.

٣ - أنها تكون سبباً في عصمته من الشرك والكفر.

٤ - أنها تبعده عن الكبائر.

٥ - وقيل: لم يضره بمشاركته أبيه في جماع.

أمه كما جاء عن مجاهد " أن الذي يُجامع ولا يُسمي يلتفت الشيطان على إخليله فيجامع معه ".

قال ابن حجر: " ولعلَّ هذا أقرب الأجوبة، ويتأيد الحمل على الأول بأن الكثير ممن يعرف هذا الفضل العظيم يذلل عنه عند إرادة المواقعة والقليل الذي قد يستحضره ويفعله لا يقع معه الحمل، فإذا كان ذلك نادرًا لم ينبذ " اهـ.

(من الفتاوى للشيخ المنجد ج ٥ ص ٦٦٩)

(قلت) وعلى هذا أيها الأحبة يتبين لنا من هذا العنصر أن التسمية وذكر الله سببا رئيسيا في بركة الرزق ومن أفضل مفاتيح الرزق للعبد الصالح وكما تبين لنا أن النبي ﷺ حثنا على التسمية في جميع أمور المسلم.

أسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

من مفاتيح الرزق ذكر الله سبحانه،

- أحبتي في الله -

يعد الذكر من أفضل الطاعات، إذ هو سرُّها وروحها، وهو أكبر من كل شيء، وأفضل من كل شيء: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: ٤٥]. ولذا فقد كان ﷺ: «يذكر الله على كل أحيانه» كما جاء عند البخاري^(١)، ومسلم^(٢)، وغيرهما.

(١) الصحيح، كتاب الحيض باب تقضي الحائض المناسك كلها... (٤٠٧/١). وكتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ها هنا (١١٤/٢) وهو في الموضعين معلق.

(٢) الصحيح، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها (٢٨٢/١).

(فوائد ذكر الله للإمام ابن القيم من كتابة مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار).

- يقول الشيخ -

” فصل في فوائد ذكر الله تعالى ” :

قال ابن القيم رحمه الله: وفي ذكر الله أكثر من مائة فائدة يرضي الرحمن ويطرد الشيطان ويزيل الهم ويجلب الرزق ويكسب المهابة والحلاوة ويورث محبة الله التي هي روح الإسلام.

ويورث المعرفة والإنابة والقرب وحياة القلب وذكر الله للعبد هو قوت القلب وروحه ويجلي صداه ويحط الخطايا ويرفع الدرجات ويحدث الأنس ويزيل الوحشة.

ويذكر بصاحبه وينجي من عذاب الله ويوجب تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر ويشغل عن الكلام الضار ويسعد الذاكر ويسعد به جليسه ويؤمن من الحسرة يوم القيامة وهو مع البكاء سبب لإظلال الله العبد يوم الحشر الأكبر في ظل عرشه.

وأنه سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، وأنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها، وأنه غراس الجنة، وأن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره، وأن دوام الذكر للرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشة ومعاده.

شعرا:

لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ :: أَمْضَى الْحَيَاةِ بِتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ
آخر:

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى :: يُلْهِمُ تَسْبِيحًا لِخَلْقِ الْوَرَى

وأن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه، وأن الذكر نور الذاكر في الدنيا ونور له من قبره ونور له في معاده وأن في القلب خلة وفاقاة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل.

وأن الذكر يجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزمه والذكر يفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على موت حظوظه ومطالبه، ويفرق ما اجتمع على حربه من جند الشيطان.

وأن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه، والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر، وأن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر.

وأن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة، وأن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، وإن الذكر رأس الشكر، وأن أكرم الخلق على الله من المتقين من لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله.

وأن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى وإن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه، وأن الذكر أصل موالاة الله عز وجل وأنه ما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله.

شعرا:

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ :: فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ
آخر:

فَجَالِسُ رَجَالِ الْعِلْمِ وَاحْفَظْ حَدِيثَهُم :: وَلَا تَكُ لِلْجُهَالِ يَوْمًا مُوَخِيَا
وَلَا زَمَ فِتًى فِي كُلِّ وَقْتٍ مُلَازِمٌ :: لِذِكْرِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَالِيَا
لَعَلَّكَ أَنْ تَعْتَادَ لِلذِّكْرِ مِثْلَهُ :: فَتُخَرِّزَ غُفْرَانًا وَأَعْلَى الْأَمَانِيَا

وأن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر وأن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة، وأن مجالس الذكر مجالس الملائكة.

وأن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته، وأن مدامن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك وأن جميع الأعمال، إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، وأن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكر لله عز وجل.

وأن ذكر الله يسهل الصعب ويبسر العسير ويخفف المشاق، وأن ذكر الله يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، وأن في الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو، وأن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق والذاكرون أسبقهم في ذلك المضمار ولكن الفترة والغبار يمنعان من رؤية سبقهم.

فإذا انجلي. الغبار وانكشف، رآهم الناس، وقد حازوا قصب السبق، وأن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، فإنه أخبر عن الله بأوصاف كماله ونعوت جلاله فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه ومن صدقه الله لم يحشر مع الكاذبين ورجى له أن يحشر مع الصادقين.

شعرا:

وَدَاوِمٌ وَلَا زَمَ قَرَعَ بَابَ مُؤْمَلًا :: فَمَا خَيَّبَ الْمَوْلَى رَجَاءَ مُؤْمَلٍ
وَصَابِرٌ فَمَا نَالَ الْعُلَا غَيْرَ صَابِرٍ :: وَقُلْ وَأَعْظَا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمْلُلِ
مَعَ الصَّبْرِ إِحْدَى الْحُسَيْنِ مُنَاكِ أَوْ :: مَنَايَا كِرَامٍ فَاصْبِرِي وَتَحْمَلِ
وَدَاوِ لِسَقَمِ الْقَلْبِ وَأَعْمُرْ خَرَابَهُ :: بِذِكْرِ الَّذِي نَعْمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمَلِ

آخر:

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ :: لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ تَجْمِيعُ الدُّنَايِرِ
وَلَمْ يُيَاوِلُوا بِأَوْرَاقٍ وَلَا ذَهَبٍ :: وَلَوْ تَحَصَّلَ آلَافُ الْقَنَاطِيرِ
اللهم ألهمنا ذكرك ووقفنا للقيام بحقك وبارك لنا في الحلال من رزقك
ولا تفضحنا بين خلقك يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا
قاضي الحاجات ومجيبا للدعوات، هب لنا من ما سألناه وحقق رجاءنا
فيما تمنيناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في ضمائر الصامتين
أنقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين

ومن فوائد الذكر أيضا

ما ذكره ابن القيم رحمه الله: أن دور الجنة تبني بالذكر، فإذا أمسك
الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء، وأن الذكر سد بين العبد

وبين جهنم فإذا كانت له إلى جهنم طريق عمل من الأعمال، كان الذكر سدا في تلك الطريق، وأن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، وأن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها، وأن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلوا الذكر لله عز وجل.

قال تبارك وتعالى في المنافقين: {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢]، وأن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، وأنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة، وأن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع كثيرا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، وأن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، قال وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمرا عجيبا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر.

مَا دُمْتَ تَقْدِرُ فَأَكْثِرْ ذِكْرَ خَالِقِنَا :: وَأَدِّ واجِبَهُ نَحْوَ الْعِبَادَاتِ
فَسَوْفَ تَنْدُمُ إِنْ فَرَطْتَ فِي زَمَنِ :: مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليهما رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين، ويحمدا ثلاثا وثلاثين، ويكبرا، أربعاً وثلاثين، لما سألتها الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك، وقال: إنه خير لكما من خادم.

فقل إن من داوم على ذلك وجد قوة في عمله مغنية عن خادم، قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرا في هذا الباب، ويقول: إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش، قالوا يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك، فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما قالوا حملوه حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله عز وجل حين كان عرشه على الماء حملة العرش قالوا: ربنا

لم خلقنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم، فأعادوا عليه ذلك مرارا، فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فحملوه.

قال: وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق والدخول على الملوك ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضا تأثير في دفع الفقر، قال: ومبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر إِذَا رُمْتَ أَنْ تُحْطَى بِعِزٍّ وَرَفْعَةٍ :::: بِدُيَاكَ وَالْأُخْرَى لِنَيْلِ السَّعَادَةِ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ :::: وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ وَلَوْ قَدَرَ لَحُظَةٌ آخِر:

إِلَهُ الْوَرَى حَتْمٌ عَلَى النَّاسِ حَمْدُهُ :::: لِمَا جَادَ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِمْ بِلَا مَنْ وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللسان، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذكر نعمه وآلائه، وإحسانه إلى خلقه. وأما الشكر فهو القيام بطاعته، فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته وهما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس.

(فائدة)

قال الشيخ تقي الدين: من ابتلى ببلاء قلب أز عجه فأعظم دواء له قوة الالتجاء إلى الله ودوام التضرع والدعاء بأن يتعلم الأدعية الماثورة ويتوخي الدعاء في مظان الإجابة مثل آخر الليل، وأوقات الأذان والإقامة وفي السجود وأدبار الصلوات، ويضم إلى ذلك الاستغفار. وليتخذ وردا من الأذكار طرفي النهار وعند النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا بد أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه وليحرص على عمود الدين، وليكن هجيرا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال ولا يسأم

من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، ولم ينل أحد شيئا من عميم الخير إلا بالصبر والله الموفق.

شعرا:

لا تَقْصُدِ النَّاسَ إِذَا أَدْبَرْتَ :: دُئِيَاكَ وَأَقْصِدْ مِنْ جَوَادِ كَرِيمِ
كَيْفَ يُرْجَى الرِّزْقُ مِنْ عِنْدِ مَنْ :: يَطْلُبُ الرِّزْقَ مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
آخر:

يَا أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْلِهِ :: رِزْقًا لَهُ جُرَتْ عَنْ الْحِكْمَةِ
لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ مِنْ طَالِبٍ :: مِثْلَكَ مُحْتَاجٌ إِلَى الرَّحْمَةِ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ :: فِي يَدِهِ النِّعْمَةُ وَالنَّقْمَةُ
شعرا:

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ :: وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ :: فَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَتَعْلَمُ
إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً :: أَسَانَا وَقَصَّرْنَا وَجُودَكَ أَعْظَمُ
سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلَةً :: وَأَنْتَ تَرَانَا ثُمَّ تَغْفُو وَتَرْحَمُ
وَحَقِّكَ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ :: صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ وَيَنْدَمُ
سَكَنَّا عَنِ الشُّكْوَى حَيَاءً وَهَيْبَةً :: وَحَاجَّتْنَا بِالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا :: فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا :: فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا :: وَوَفَّقْتَهُمْ حَتَّى أَنْابُوا وَسَلَّمُوا
وَقُلْتَ اسْتَغَامُوا مِنِّي وَتَكْرُمًا :: فَأَنْتَ الَّذِي قَوْمَتَهُمْ فَتَقَوُّمُوا
لَهُمْ فِي الدُّجَى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا :: فَهُمْ فِي اللَّيَالِي سَاجِدُونَ وَقَوْمٌ
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بَتَّعُطْفٍ :: فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكْرَى وَنَوْمٌ
لَكَ الْحَمْدُ عَامِلُنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ :: وَسَامِحٌ وَسَلَّمْنَا فَأَنْتَ الْمُسْلِمُ

اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك ووفقنا لما وفقك له الصالحين من خلقك
واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

(انتهى من كتاب مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار).

بعض أنواع ذكر الله

الاستغفار في اليوم أكثر من مائة مرة.

قول سبحان الله وبحمده مائة مرة ومن قالها غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، روى مسلم في صحيحه قال: حدثني عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَّانٍ الْوَاسِطِيُّ. أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْمُذَجَّجِيِّ قَالَ مُسْلِمٌ: أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. وَقَالَ، تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ٥/٨٠.

وروى كذلك قال حدثنا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ سَمِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَنُحِبَّتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمِيتَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ بِمَا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ١٧/١٥.

أداء الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والسنة.

وهذه الأمور الثلاث تقوي صلتك مع الله عز وجل مباشرة فيحقق آمالك ويرضى عنك ويشرح صدرك ويغفر ذنبك وينصرك على عدوك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُخْرِجْ أَعْدَاءَكُمْ} [محمد: ٧].

(أحبتي في الله)

إن ملازمة الذكر والدعاء فيه استجلاب كل خير وبركة، ودفع كل بلاء وضرر، وقرب من الرحمن ونيل رضاه وبعداً عن الشيطان وطرده له

ولأعوانه، وقد كان رسول الله ﷺ - أيضاً - يرشد إلى ملازمة الذكر والدعاء، كما أنه يذكر الله على كل أحيانه فإنه يدعو ربه في كل الأحيان بكل خير من خيري الدنيا والآخرة، ويدعو كذلك لأصحابه بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وأخراهم.

فقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عند مسلم ^(١) أنه ﷺ كان يقول: " اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي.. " كما كان ﷺ يقول: " اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني " عند الترمذي ^(٢)، وأحمد ^(٣)، والنسائي ^(٤)، وابن السني ^(٥)، اللفظ للترمذي والباقون بنحوه. وقال الترمذي: غريب وصححه النووي ^(٦).

وقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ كما في حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم ^(٧) فقال: علمني كلاماً أقوله، قال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم». قال: فهو لاء لربي، فما لي؟ قال: «قل اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني».

وجاء عند أحمد ^(٨) والترمذي ^(٩) والحاكم ^(١٠) من حديث أبي وائل قال أتى علياً - رضي الله عنه - رجل فقال يا أمير المؤمنين إني عجزت عن مكاتبتني فأعني، فقال علي - رضي الله عنه - ألا أعلمك كلمات

(١) الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل (٢٠٨٧/٤).

(٢) الجامع، كتاب الدعوات، باب منه، ٨٢ (٤٧٤/٩).

(٣) المسند (٣٩٩/٤).

(٤) عمل اليوم والليلة (ص ١٧٢).

(٥) عمل اليوم والليلة (ص ٢).

(٦) الأذكار (ص ٢١).

(٧) الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤).

(٨) المسند (١٥٣/١).

(٩) الجامع، كتاب الدعوات، أحاديث شتى من أبواب الدعوات (٨/١٠).

(١٠) المستدرک (٥٣٨/١).

علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل ثبير ^(١) دنائير لأدّاه الله عنك، قلت: بلى، قال: " قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك " اللفظ لأحمد، ولفظ الترمذي بنحوه، وحسنه الترمذي، وكذا الألباني ^(٢) وقال الحاكم عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقد ثبت في الصحيح عند البخاري ^(٣) من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ دعا له فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته».

وجاء عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - المرفوع وفيه ذكر وصية نوح - عليه السلام - لابنيه عندما حضرته الوفاة ومما جاء فيه: " أمركما بلا إله إلا الله.. وأمركما بسبحان الله، وبحمده، فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ". قال العراقي: إسناده صحيح، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات.

وهكذا يظهر جلياً ما للذكر والدعاء من أهمية بالغة في استجلاب الخير والبركة وطرد للمكروه والعوز وإبعاد للشيطان وإرغام له ولجنده. ولهذا لزم الإنسان ملازمة الذكر والدعاء للفوز بالسعادة الأخروية والدينية على حد سواء.

- أخى الحبيب -

- أن حياة قلبك أولى بالاهتمام من حياة جسدك، ذلك لأن حياة القلب تؤهلك لأن تعيش حياة طيبة طاهرة في الدنيا وسعادة أبدية في الآخرة بينما حياة الجسد حياة مؤقتة، سرعان ما تزول وتنقضي، ولا سبيل لعلاج حياة القلب وزيادة الإيمان فيه إلا بالطاعات، فهي كلّها لازمة لحياة القلب كما يلزم الطعام والشراب لحياة الجسد، ومن أعظم ما يحتاجه قلب العبد

(١) في معظم المصادر بما في ذلك تحفة الأحوذى (صير)، وما أثبتته هو الصواب وهو المثبت في نسخة الترمذي تحقيق: أحمد شاكر (٥/٢٢٣).

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٥١٢).

(٣) الصحيح، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: وصلّ عليهم (١١/٣٦)، وباب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة المال (١١/١٤٤).

من الأغذية النافعة ذكر الله عز وجل، فالذكر هو المنزلة الكبرى التي يتزود منها العارفون وفيها يتاجرون وإليها دائماً يترددون، وهو قوت قلوبهم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وهو عمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يُقاتلون به قُطاع الطريق، وهو دواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب، وهو السبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين عالم الغيوب.

- فبذكر الله تُدفع الآفات وتُكشف الكُربات وتهون المصيبات. كان السلف إذا أظلمهم البلاء فإلى ذكر الله ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفرعهم، فهو رياض جنّتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، الذكر يجعل القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذّاكر إلى المذكور - أي إلى ربّه -، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي عبادة غير مؤقتة، بل يُؤمر العبد بذكر معبوده ومحبّوبه في كل حال قياماً وقعوداً وعلى جنبه.

- ذكر الله عز وجل هو جلاء القلوب وصفائها ودواؤها إذا مرضت، وكلّما ازداد الذّاكر في ذكره ازداد محبة إلى لقاء ربّه. وإذا واطئ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء. به يزول الوقر عن الأسماع، والنّكم عن الألسنة، وبه تنقش الظلمة عن الأبصار، فالذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُغلقه العبد بغفلته. قال الحسن البصري رحمه الله: "تَفَقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذّكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مُغلق".

- وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى للذكر فوائد كثيرة أقتصر على بعض منها: فمن فوائده:

- أنه يطرد الشيطان ويَقمعه ويَكسره، ويُرضي الرحمن عز وجل، ويُزيل الغم والحُزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

- ومن فوائده أنّه يُقوّي القلب والبدن ويُنوّر الوجه والقلب ويجلب الرزق.

- ومنها أنه يكسو الذاكِر الحلاوة والمهابة ويورثه محبة الله.
- ومها أنه يُكسِب العبد مراقبة ربّه فيدخل في باب الإحسان فيُصبح يعبد الله كأنه يراه.
- ومن فوائده أنه سبب ذكر الله عزّ وجل لعبده الذاكِر كما قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢]. وفي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ومسلم: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».
- ومنها أيضاً أنه يورث حياة للقلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء".
- ومنها أيضاً أنه يورث جلاء القلب من صدّئه، إذ كل شيء له صدأ، وصدأ القلب: الغفلة والهوى، وجلاؤه وصفاءه: الذكر والتوبة والاستغفار.
- ومنها أن الذكر يَحُطُّ الخطايا ويُذهِبُها، فإنّه من أعظم الحسنات والله تعالى يقول: إن الحسنات يذهب السيئات. وثبت عنه ﷺ أنه قال: «من قال في يوم وليلة سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطَّتْ عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر».
- ولا شك أن حضور حلق الذكر يؤدي إلى زيادة الإيمان، وذلك لعدة أسباب منها: ما يحصل فيها من ذكر الله، ونزول الرحمة والسكينة وحفّ الملائكة للذاكرين كما جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده». ومما يدلّكم على أن مجالس الذكر تزيد الإيمان ما أخرجه مُسلم في صحيحه عن حنظلة الأسدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله يُذكرنا بالنار والجَنّة، حتى كأننا نراها، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عُدنا إلى أزواجنا وأولادنا ومعاشنا فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فو الله

إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ. قلت: نأفق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذَكِّرُنَا بالنار والجنة حتى كأننا نراهما بأعيننا، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طُرُقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على الجلوس للذكر ويسمونه إيماناً، قال معاذ رضي الله عنه لرجل: " اجلس بنا نؤمن ساعة " .

- ومن فوائد الذكر أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش، فمن عوّد لسانه ذكر الله حفظه عن الباطل واللغو، ومن ييس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش -

من فوائد ذكر الله عزّ وجل أنه يوجب الضمان والأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في دُنياه وأخراه فإن من نسي الله سبحانه وتعالى نسي نفسه ومصالحها كما قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ السَّافِكُونَ} [الحشر: ١٩]. وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت كمن له زرع أو بستان، فلم يُصلحه ولم يقم عليه وأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره، فإنه يفسد ولا بد.

- ومن فوائد الذكر أيضاً أن جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة لذكر الله عزّ وجل ومن أعظمها الصلاة قال جلّ وعلا: وأقم الصلاة لذكرى أي لإقامة ذكرى. وقال عزّ وجل: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر. أي أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وما فيها من ذكر الله أعظم من نهئها عن الفحشاء والمنكر.

- ومن فوائد الذكر أن المداومة عليه ينوب عن كثير من الطاعات ويقوم مقامها كما جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل

الثور أي الأغنياء بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يُصلُّون كما نُصَلِّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجُّون بها ويعتَمرون ويجاهدون فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أعلمكم شيئاً تُدركون به من سَبَقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صَنَعَ مثل ما صنعتم. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تُسَبِّحون وتحمَدون وتُكَبِّرُونَ خلف كل صلاة» رواه البخاري.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لأن أسبَّح الله تعالى تسبيحات أحبَّ إليَّ من أن أنفق عددهنَّ دنائير في سبيل الله عزَّ وجلَّ".

- ومن فوائد ذكر الله أيضاً أنه يُعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه فقد أخرج البخاري: عن فاطمة رضي الله عنها أنها شكَّت ما تلقى في يدها من الرحي أي مما تطحن فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته. قال علي رضي الله عنه: فجاءنا رسول الله ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا أي أراد أن يناما، فذهبت فاطمة لتقوم فقال لها: مكانك فجلس بيننا ثم قال: «ألا أدلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما، فكبراً الله أربعاً وثلاثين. وسبَّحاه ثلاثاً وثلاثين، واحمده ثلاثاً وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم».

أمان من النفاق

- ومن فوائد الذكر أن كثرته أمان من النفاق فقد وصف الله المنافقين بأنهم قليلو الذكر لله عزَّ وجلَّ فقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَءَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً} [النساء: ١٤٢]. فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ برئ من النفاق ولهذا ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتْلُوا هَٰذَا أَمْوَالَكُم مِّمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا زِلْدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩].

اللذة الذاكر لله سبحانه

- ومن فوائده أيضاً ما يحصل للذاكر من لذة لا يُشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة من الذكر والنعيم الذي يُحسّ به الذاكر في قلبه لكفى به، ولهذا سُميت مجالس الذكر رياض الجنة. قال مالك ابن دينار: " ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل ".

- ومن فوائد الذكر أن الله عز وجل يقبل الدعاء الذي يُقدّم صاحبه بين يديه ذكر الله، إذ الذكر أفضل من الدعاء، لأن الذكر ثناء على الله عز وجل، والدعاء سؤال العبد حاجته، فالدعاء الذي تقدّمه الذكر أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد عن الذكر.

- أحبتي في الله -

أديموا ذكر ربكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم وفي كل أحوالكم، فأما ذكركم ربكم بقلوبكم فإنّ معناه: أن يكون القلب متعلقاً بالله مُعظماً له دائماً في قلبه مُستحضراً نِعَمه التي لا تُحصى، وأما ذكركم ربكم بألسنتكم فهو النطق بكلّ ما يُقرب إلى الله من تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح وقراءة القرآن وقراءة العلوم الشرعية ونُصح العباد للقيام بأوامر الله.

- وأما ذكركم ربكم بجوارحكم فهو كل فعل يُقرب إلى الله عز وجل من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وبر الوالدين وصلة الأرحام.

- فلازموا عباد الله ذكر ربكم في جميع أوقاتكم وأحوالكم، فإنّ الله مع الذاكرين كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم».

- أسأل الله أن يجعلنا جميعاً من الذين يذكرونه حق ذكره ويشكرونه حق شكره إنه أرحم الراحمين جواد كريم -.

* * *

«من مفاتيح الرزق» شكر الله تعالى وحمده

(أحبتي في الله)

إن تعريف الشكر، كما قال الجوهري في تهذيب اللغة: عن الليث: إن الشكر هو عرفان الإحسان وحمده موليه. والشكور من عباد الله هو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته، وأداء ما وجب عليه من عبادته. والشكر ثلاثة أنواع: شكر القلب واللسان والجوارح، ويعبر ابن القيم عن حقيقة الشكر بأنه: ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده ثناءً واعتزافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

أركان الشكر وتطبيقها على الواقع:

١ - الإقرار بالنعمة.

٢ - نسبتها إلى المنعم وهو الله.

٣ - صرفها فيما يحب.

والشكر يكون باللسان، والقلب، والجوارح، في المال والبدن.

تطبيقها على الواقع: وذلك كنعمة العلم والمال والبدن، فشكر نعمة العلم العمل به وتعليمه للناس، وشكر نعمة المال أن يصرف في طاعة الله لا في معصيته. وشكر نعمة البدن أن يسخره في عبادة الله وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات.

أكل الطيب الحلال سبب لإجابة الدعوة، وأكل الحرام سبب لعدم إجابة الدعوة: (انتهى)

في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ﴿٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]».

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟

الشكر: يحقق لصحابه جزاءً طيباً، قال تعالى في سورة الزمر: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧].

وقال تعالى في سورة القمر: {نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ} [القمر: ٣٥].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فِيْحَمْدِهِ عَلَيْهَا وَيَشْرِبُ الشَّرْبَةَ فِيْحَمْدِهِ عَلَيْهَا»، شكر النعمة يورث محبة الله لعبده، كما في الحديث السابق.

خاتمة الآيات بعد تعداد النعم:

الحث والتوجيه والتحريض على الشكر:

جاء شكر الله سبحانه لعباده بعد بيان آلائه ونعمه عليهم خاتمة للآيات. {وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَتَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩].

{وَجَعَلْ لَّكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨]

{وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: ٢٦].

{كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج: ٣٦].

{وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

الشكر صفة الأنبياء:

قال تعالى في سورة النحل: {إِنْ إِتْرَاهِيْمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [١٢٠] شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [١٢١] [النحل: ١٢٠ - ١٢١].

وفي سورة الإسراء: {ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣].

وفي سورة النمل عن سليمان: {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: ٤٠].

وقال عنه أيضاً: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩].

وقال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

من الآيات في الشكر:

في سورة البقرة: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ أَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} (١٥٢) [البقرة: ١٥٢].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (١٧٢) [البقرة: ١٧٢].

وفي سورة النحل: {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا أَشْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (١١٤) [النحل: ١١٤].

وفي سورة الأعراف: {قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي لَبَطَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي
وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} (١٤٤) [الأعراف: ١٤٤].

وفي سورة لقمان: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (١٢) [لقمان: ١٢].

وقال سبحانه: {إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ إِلَى الْمَصِيرِ} (١٤) [لقمان: ١٤].

ومن وصايا النبي ﷺ لمعاذ بن جبل قال ﷺ: «يا معاذ إني أحبك فلا
تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك».

الشكر يقابل الكفر قال تعالى في سورة البقرة: {أَشْكُرُوا لِي وَلَا
تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

وفي سورة إبراهيم: {وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَيْنَ لُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ
وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (٧) [إبراهيم: ٧].

وفي سورة النمل: {قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: ٤٠].

الأمر بالشكر عقيب النعم لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة، كما أن الكفر ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة. قالوا عن الشكر:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى رجلا به بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا»، إلا كان شكر تلك النعمة.

عن قتادة: في قوله تعالى: {إِنَّكُمْ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٣٤]. قال: غفر لهم الذنب العظيم، وشكر لهم اليسير.

قال شداد بن أوس: احفظوا عني ما أقول لكم سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد. وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب).

قال داود عليه السلام: الحمد لله كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله. فأوحى الله إليه: قد أتعبت الكتبة.

عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: حج رجل، فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة فقال: الحمد لله بجميع محامد الله ما علمنا منها وما لم نعلم، على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم. ثم انصرف إلى بلده، فلما كان من قابل حج فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة قال مثل قوله الأول، فقليل له أو نودي: لقد أتعبت الحفظة، فما كتبوا ثواب ما قلت إلى هذا اليوم.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم: أن عبدا من عبيد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم شأنك فأعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعد إلى السماء فقال الله لهما: اكتباهما كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها.

عن أبي حازم: إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.
قال أبو حازم: كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية.
عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر من لا يشكر الناس».

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أولي معروفًا فليكافي عليه، فمن لم يفعل فليذكره، فإن من ذكره فقد شكره».
أنشد محرز بن الفضل:

عَلَامَةُ شُكْرِ الْمَرْءِ إِعْلَانُ شُكْرِهِ :: وَمَنْ شَكَرَ الْمَعْرُوفَ مِنْهُ فَمَا كَفَّرَ
حدثنا الوليد بن مضاء الموصلي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن
عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن
مجاهد، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى إليكم معروفًا
فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافئتموه».

أنشدني علي بن الحسين، قال: أنشدني ابن أبي الدنيا:
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةَ :: أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
إِذَا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مُهَذَّبَةً :: حَذَوُا عَلَى حَذْوِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
سجود الشكر:

أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الأمر يسره خر ساجدا. شكر الله.
عن ابن لكعب بن مالك قال: لما أتى كعب بن مالك الذي بشره بتوبته
سجد وأعطى الذي بشره ثوبيه.

عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم بن عبد الله أن كعب الأحماس قال
لعمر بن الخطاب: إنا لنجد: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. قال
عمر: غلا من حاسب نفسه. قال كعب: إلا من حاسب نفسه. فكير عمر
وخر ساجدا.

وأيضا عن علي بن زيد بن جدعان قال: كنا عند الحسن البصري
وهو متوار في منزل أبي خليفة العبدى فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد توفي
الحجاج فخر ساجدا.

كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائماً ويجعل صيامه شكراً للتوفيق للقيام.

كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا يحتاج إلى شكر عليها ثم للتوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر وهكذا أبداً فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم.

و حقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر كما قيل

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلله وإن طالَّت الأيام واتصل العمر

قال أبو عمر الشيباني: قال موسى عليه السلام يوم الطور: يا رب إن

أنا صليت فمن قبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرك؟ قال: يا موسى الآن شكرتني.

* * *

[من شكر الله على نعمه]

- أحبتي في الله.

كفى بنعمة الخلق نعمة، وما أعظم نعمة الهداية على الإسلام، بل ما أعظم نعمة الالتزام بالإسلام، والشكر أحبتي في الله قرن بالزيادة قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ لَكُرْتُمْ لَّا زِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧].

* * *

أفضل الشاكرين على الإطلاق

هو النبي محمد ﷺ

(أحبتى في الله)

إن النبي محمد ﷺ كما هو معلوم لدينا جميعاً هو خير من شكر الله على نعمته حتى إنه تورمت قدماه من إطالة الوقوف بين يدي ربه في الصلاة مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليضرب لنا ﷺ أروع الأمثلة في شكر الله على نعمه والتي من أعظمها التوفيق في الطاعة.

فعن عبد الله بن محصن الحظمي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»^(١).

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى :::: وكان صحيحاً جسمه وهو في أمن
فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها :::: وحق عليه الشكر لله ذي المن
فيا سبحان الله من يملك هذه الأشياء فقط فكأنما حيزت له الدنيا!!
فما بال من ملك أضعاف ذلك مئات المرات ما كان يجب عليه من شكر
لله تعالى؟ فالمسلم إذا أراد أن تستقر عليه هذه النعم فليحمد الله سبحانه
وتعالى ويشكره بقلبه ولسانه وعمله؛ بمحبته وطاعته لله تعالى، وليمثل

(١) رواه الترمذي (٥٧٤/٤ ح ٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب.

وأمر الله وبجنتب نواهيه، وليفعل ما أوجب وليترك ما حرم، وليكثر من ذكر الله تعالى، وليكثر من شكره سبحانه، وليحافظ على أحسن العبادة وليدع الله ليل نهار أن يوفقه.

يقول تعالى: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، وقال تعالى: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥].

فعلى العبد أن ينتبه لهذا الأمر العظيم وهو الدعاء فالله سبحانه وتعالى هو الذي رزقنا بنعمه العظيمة وأسبغها علينا ظاهرة وباطنة وهو الذي علمنا سبحانه وتعالى الدعاء وآدابه ثم بعد ذلك يستجيب منا هذا الدعاء ويعتبر أن كلمة (الحمد لله) من أساليب شكره على هذه النعم العظيمة؛ فيا لكرم الله تعالى الكريم اللطيف بعباده، ويا لعظمة الإسلام ويسره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر - ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا...» (١).

(أحبتي في الله)

إن الشكر: هو استعمال نعم الله تعالى في محابه، كما قال الغزالي (٢)، وقال في موضع آخر: "وجود الزيادة في المال نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في المعصية" (٣). وقال ابن القيم: "الشكر، هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة" (٤). وقال القرطبي نحو هذا (٥).

(١) رواه البخاري (١٥/١)، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

(٢) إحياء علوم الدين (٨٥/٤).

(٣) إحياء علوم الدين (١٣١/٤).

(٤) مدارج السالكين (٢٥٤/٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/١٤)، وانظر - أيضاً - فتح الباري (١٥/٣).

وقد فرق بعض العلماء جزئياً بين الحمد والشكر، فجعلوا بينهما عمومًا وخصوصًا من وجه، لكن رجح أبو جعفر الطبري أن الحمد قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد، لأن ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يقال: " الحمد لله شكرًا " (١).

ولذا فسّر الطبري: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} [الفاتحة: ٢] في سورة الفاتحة بالشكر الخالص لله تعالى بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعدها غيره أحد (٢).

قلت: وهذه النعم الكثيرة التي لا تحصى ولا تستقصى ومن جملتها نعمة المال تستوجب الشكر من الخلق للخالق الرازق المتفضل، وهذا الشكر والحمد له سبحانه سبب من أسباب استجلاب الزيادة، وحصول البركة في المال، تفضلاً منه سبحانه وتعالى ونعمة.

قال ابن القيم: " جعل الله الشكر سبباً للمزيد من فضله وحارساً وحافظاً لنعمته، وموصلاً الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكوراً " (٣).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه يضيق معنى الشكر عند بعض الخلق فيظن أن غايته أن يقول بلسانه الحمد لله، أو الشكر لله، ونحوهما، مع عدم استعانتة بالنعمة على المعصية، وإن لم يصرف هذه النعمة إلى الطاعة، وهذا مما لا شك فيه قصور في الفهم، وعن اتباع السلف الصالح.

والشكر - في حقيقة الأمر دائرته - أوسع من ذلك، ومجاله أرحب فالصلاة مثلاً شكر، والصيام شكر، وكل خير يعمله الإنسان لله تعالى شكر، واستحياء العبد من تتابع النعم عليه شكر، واعترافه بالتقصير على شكر المنعم عليه، واعتذاره عن تقصيره أيضاً شكر، وتحديثه بنعمة الله

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٣٨/١).

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٣٥/١).

(٣) مدارج السالكين (٢٥٢/٢) بتصرف يسير.

شكر، واعترافه بأن النعمة موهبة من الله تعالى مع أنه لا يستحقها شكر، وتواضعه للنعم والتذلل فيها للمنع شكر، وقلة اعتراضه وحسن أدبه مع المنعم، وتلقي النعمة بحسن القبول، وإن كانت بسيطة أو قليلة، واستعظامها وعدم احتقارها أو استصغارها شكر، والتيقن بأن الشكر بحد ذاته هو نعمة من الله تعالى وتوفيقه شكر، وأفضل الشكر هو حمد الله تعالى^(١).

* * *

[حقيقة الشكر]

(أحبتي في الله)

(قلت)

إن حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكره وذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد، ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى، وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له. (انتهى)
{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبا: ١٣].

أي: قليل من عبادي من يشهد أن النعمة مني لأن حقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم ولا دخل في هذا المعنى لمبحث تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر عند كثيرين.

كما ذكره ابن حجر على خلاف ما أجمع عليه الأولياء.

وجمهور العلماء: العلي بتشديد الياء، فعيل من العلو وهو البالغ في علو الرتبة بحيث لا رتبة إلا وهي منحلة عن رتبته.

وقال بعضهم: هو الذي علا عن الإدراك ذاته وكبر عن التصور صفاته.

(١) أشار إلى بعض هذه المعاني ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦٩٨/٣).

وقال آخر: هو الذي تاهت القلوب في جلاله وعجزت العقول عن وصف كماله.

وحظك منه أنك إذا شاهدت علوه وسمت همتك إليه فجعلتها في كل أحوالك واقفة عليه وذلك نفسك في طاعاته وعبادته الظاهرة والباطنة وبذات روحك في العلم والعمل حتى تبلغ الغاية في الكمالات الأنسية والحالات القدسية والمراتب العلمية من العلمية والعملية.

قال القشيري:

من علوه تعالى أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيرا ولا جليلا بإجلالهم وتعظيمهم له كثيرا بل من وفقه لإجلاله فبتوقيفه أجله ومن أيدته بتكبيره وتعظيمه فقد رفع محله ومن حق من عرف عظمته أن لا يذل لخلقه بل يتواضع لهم لأجله فإن من تذلل لله في نفسه رفع الله قدره على أبناء جنسه وقيل المؤمن ليس له الكبر وله العزة وله التواضع لا المذلة الكبير وضده الصغير يستعملان بالاعتبار مقادير الأجسام وباعتبار الرتب وهو المراد هنا أما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها من حيث إنه قديم أزلي غني على الإطلاق وما سواه حادث مفتقر إليه في الإيجاد والإمداد بالاتفاق وأما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه.

قيل في معنى الله أكبر: أي أكبر من أن يقال له أكبر، أو أكبر من أن يدرك غيره كنهه كبريائه وحظك منه أن تشهد كبريائه دائما حتى تنسى كبرياء غيره وتجتهد في تكميل نفسك علما وعملا بحيث يتعدى كمالك إلى غيرك فيقتدي بآثارك ويقتبس من أنوارك وتقربك بهذا الاسم تعلقا أن تبالغ في التواضع وتخلفا أن تحترز من سوء الأدب بلزوم الخدمة وحفظ الحرمة.

ففي الصحيح: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته».

أي: أهلكته وكسرت عنقه واختصت العظمة بالإزار والكبرياء بالرداء لأن في الكبير من الفخامة فوق العظيم وإن كان كل منهما مختصا له تعالى لا شريك له فيه بوجه ما ومن ثم قصم المنازع في واحد منهما.

وفي الحديث: «أن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها».

ومن ثم قال علي كرم الله وجهه: " علو الهمة من الإيمان ".

واختلف المشائخ في أفضلية الهمة والخدمة وعندي أن الخدمة إنما تنشأ من الهمة فلا خلاف في الحقيقة.

علو الهمة من الإيمان واختلف المشائخ في أفضلية الهمة والخدمة وعندي أن الخدمة إنما تنشأ من الهمة فلا خلاف في الحقيقة) - انتهى -.

من كتاب: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

المؤلف: الملا علي القاري.

للعامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري حفظه الله.

- يقول صاحب كتاب البهجة في شرح التحفة ما يأتي:

- يقول الشيخ أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي:

فلا يبلغ العبد حقيقة الشكر شرعاً إلا بكمال التقوى والاستقامة الظاهرة والباطنة.

أما المخلط في أحواله فلم يؤد ما وجب عليه من الشكر بتمامه نعم الطاعة الصادرة منه هي بعض ما وجب عليه من الشكر، ولما لم يكن المخلط مؤدياً ما وجب عليه وكان الكثير من الناس مخطئاً.

قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبأ: ١٣] إلخ.

إذ المراد بصرف الجميع أن لا يخرج العبد عن طاعة مولاه بأن تسلم

جوارحه كلها من مخالفة أمره ونهيه في جميع الأوقات فلا يكون شاكراً
لنعم الله تعالى شكراً حقيقياً إلا بصرف الجميع.

والعبد لا يخلو عن نعم الله طرفة عين.

وعن ذلك أفصح الجنيد رضي الله عنه بقوله: الشكر أن لا يعصى الله
بنعمه، أي جوارحه لأنها نعمة من الله عليه قال هذه القولة في صباه.

وبأدنى تأمل يعلم أن النسب ست إذ بين كل واحد من الثلاثة والشكر
عرفاً للعموم والخصوص بإطلاق.

فهذه ثلاث نسب، وبين الحمد لغة والحمد عرفاً والشكر لغة العموم
والخصوص من وجه وبين الحمد عرفاً والشكر لغة الترايف) انتهى.

(انتهى من كتاب: البهجة في شرح التحفة

المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي

(أحبتي في الله)

إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالشكر، بل إنه قرن سبحانه وتعالى
الشكر بالذكر إذ قال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ أَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

كما وعد بالجزاء على الشكر، بل قطع سبحانه بالمزيد مع الشكر
فقال: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [ال عمران: ١٤٥].

وقال أيضاً: {لَئِنْ لَكَّرْتُمْ لَا زِيدَنَّاكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

وقال أيضاً: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١]. وقال أيضاً: {وَقَلِيلٌ
مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبا: ١٣].

وأقوال العلماء المفسرين حول هذه الآيات تؤيد المعاني السابقة في
شكر الله سبحانه وتعالى، وتؤكددها.

فقد قال أبو جعفر الطبري عند قوله تعالى: {أَشْكُرُوا لِي وَلَا
تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

أي: لا تجحدوا إحساني إليكم فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأنعم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته، وسلبته ما أعطيته (١).

قلت: وقول أبي جعفر هنا "ومن كفرني" ليس بالضرورة أن يكون هو (الكافر) حقيقة وهو مقابل (المسلم)، ولكن يريد ما هو أعم من هذا، فيدخل فيه من جدد النعمة فلم يظهرها ويؤدي حقها وشكرها على المعاني السابقة، والله أعلم.

وقال القرطبي معلقاً على الآية الأخرى: {لَئِنْ لَكَّرْتُمْ لَا زِيدَنَّاكُمْ} [إبراهيم: ٧].

أي: لأنن شكرتم إنعامي عليكم لأزيدنكم من فضلي، والآية نص في أن الشكر سبب المزيد (٢).

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١].
أي: أنشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء، والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر، والخطاب للنبي ﷺ، والحكم عام له ولغيره (٣).

وأما قوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبأ: ١٣].
فقد قال القرطبي في معناها: "أي قليل من يفعل ذلك لأن الخير أقل من الشر، والطاعة أقل من المعصية" (٤).

قلت: والظاهر - والله أعلم - أن نعم الله كثيرة لا حصر لها، وهي لا تزال متجددة متكاثرة على العباد بفضل الله عز وجل، والشكر بأنواعه وأشكاله يحتاج إلى عزيمة ويقين، فيضعف كثير من الناس، ويقصرون في شكر المنعم وحمده حق شكره وحمده، ولذلك كان الشاكرون قليلين،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٢/٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٣/٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠٢/٢٠ - ١٠٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/١٤ - ٢٦٥).

وهم الخاصة، وفي مقدمة هؤلاء الشاكرين إمامهم سيد البشر محمد ﷺ ، وذلك لأنه أتقى الخلق، وأعرفهم بحق خالقه وأشكرهم له، يظهر ذلك جلياً من خلال النظر في حاله وسيرته مع أصحابه رضوان الله عليهم، ويبرز ذلك بأمر منها:

١ - كان ﷺ يجتهد في العبادة بشتى أنواعها مع أنه مغفور له المتقدم والمتأخر من ذنبه.

فلقد جاء عند البخاري ^(١)، ومسلم ^(٢) من حديث المغيرة ابن شعبة وحديث عائشة - رضي الله عنهما - أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

هذا لفظ حديث عائشة عند البخاري، وعندهما نحو هذا اللفظ أيضاً.

سجود الشكر من هديه ﷺ

وقد كان من هديه ﷺ وهدي أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة تسرُّ، أو اندفاع نقمة، كما جاء عند كل من أبي داود ^(٣)، والترمذي ^(٤)، وابن ماجه ^(٥)، وأحمد ^(٦)، من حديث أبي بكر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره أو يُسرُّ به خرَّ ساجداً شكرياً لله تبارك وتعالى. واللفظ لابن ماجه، والباقون بنحوه، وعند أحمد فيه قصة، وقال

(١) الصحيح، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل (١٤/٣) وكتاب التفسير، باب ليغفر الله لك... (٥٨٤/٨)، وكتاب الرقاق، باب الصبر على محارم الله (٣٠٣/١١).

(٢) الصحيح، كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٤/٢١٧١) - (٢١٧٢).

(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب سجود الشكر (٨٩/٣).

(٤) الجامع، كتاب السير، باب ما جاء في سجدة الشكر (٢٠٠/٥).

(٥) السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجود عند الشكر (٤٤٦/١).

(٦) المسند (٤٥/٥).

الترمذي في آخره: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث بكار ابن عبد العزيز، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، رأوا سجدة الشكر. وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما تاب الله عليه خرَّ ساجدًا. عند ابن ماجه ^(١)، وقال البوصيري ^(٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وهو موقوف، قال ابن حزم: لا مغمز في خبر كعب ألبنة، ثم روي عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب نحوه. انتهى.

توجيهاته لأصحابه وأقواله في الشكر وبيان فضله. فقد قال ﷺ لمن رآه رثَّ الثياب: «ألك مال؟»، قال: نعم، قال: «من أي المال؟»، قال: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيول والرقيق، قال: «فإذا أتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته» رواه أبو داود ^(٣)، والنسائي ^(٤)، والحاكم ^(٥) هذا لفظ أبي داود والحاكم مثله إلا أنه عنده مطول، وعند النسائي بنحوه عند أبي داود، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه - أيضاً - الألباني ^(٦).

وعند الترمذي ^(٧)، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، وقال الترمذي: حديث حسن، ثم قال: وفي الباب عن أبي الأحوص عن أبيه وعمران بن حصين وابن مسعود، وحسنه - أيضاً - الألباني ^(٨).

وقال ﷺ: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمك وحدك،

(١) السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر (٤٤٦/١).

(٢) مصباح الزجاجة (٤٤٩/١).

(٣) السنن، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان (٥١/٤).

(٤) السنن، كتاب الزينة، باب الجلال (١٨١/٨).

(٥) المستدرک (١٨١/٤).

(٦) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٦٣)، وصحيح سنن أبي داود (٧٦٧/٢).

(٧) الجامع، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (١٠٦/٨).

(٨) صحيح الجامع الصغير وزيدته (١٤٦/٢) رقم (١٨٨٤).

لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال: مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته».

رواه كل من أبي داود ^(١)، وابن حبان ^(٢)، واللفظ لأبي داود، وهو عند ابن حبان بنحوه مع شيء من الاختصار، وقد حسَّنه ابن القيم ^(٣)، والنووي ^(٤)، والحافظ ابن حجر ^(٥).

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - عند ابن ماجه ^(٦) أنه ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذه». يعني الذي أداه وفعله من الحمد، أفضل مما أخذ من النعمة، وحسنه البوصيري ^(٧)، وقال النووي: إسناده جيد ^(٨). وفي الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ^(٩): ورواه أيضا أبو داود والنسائي عن عبدالله بن غنام، وابن حبان والنسائي عن ابن عباس، وقال الحافظ بعد تخريجه: حديث حسن.

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، اللهم ارزقنا رزقاً واسعاً حلالاً طيباً كثيراً مباركاً فيه، اللهم طهر أرزاقنا من الحرام، اللهم اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً وارزقنا من حيث لا نحسب، اللهم ارزقنا القناعة والحفاظ على صلاة الجماعة، اللهم وفقنا إلى طاعتك

(١) السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٣١٨/٤).

(٢) الصحيح (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) (١٤٢/٣ - ١٤٣) رقم (٨٦١).

(٣) زاد المعاد (٣٧٣/٢).

(٤) الأذكار (ص ٧٤).

(٥) انظر: التعليق على صحيح ابن حبان (١٤٣/٣).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب التوبة (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والدارمي

(٢٧٢٧) من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، وقال الترمذي:

" غريب"، وصححه الحاكم (٢٤٤/٤)، وتعقبه الذهبي بقوله: " على لين"، وحسنه

الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٨) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٤٠)، وقال: " حديث حسن غريب"، وقال

ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤٠٠/٢): " إسناده لا بأس به"، وحسنه الألباني

في السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٩) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وباعد بيننا وبين معاصيك، وارحم أمة محمد رحمة عامة يا كريم.
أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عبادة الشاكرين الذاكرين إنه
أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

«من مفاتيح الرزق» الاستغفار

(أحبتي في الله)

- إن من أعظم مفاتيح الرزق الاستغفار وهذا الأمر غفل عنه الكثيرون من المسلمين حتى قال قائل: أنا لم أفعل ذنباً حتى أستغفر وفي السطور القادمة نستعرض لكم - أيها الأحبة - هذا الأمر حتى نعلم جميعاً أن الاستغفار سبباً رئيسياً في بركة الرزق واستجلابه وأن المستغفر يرزقه الله تعالى رزقاً كبيراً.

* * *

حقيقة الاستغفار

والاستغفار - أيها الإخوة - هو التعرض لنفحات الله جلّ وعلا في أوقاتها المناسبة، كأوقات العبادة، وأدبار العبادة، وكأوقات إجابة الدعاء، وثلاث الليل الأخير؛ وغيرها؛ فإن الله تعالى ينزل ويقول لعباده: من يستغفرني فأغفر له!!، فأين المستغفرون؟! وأين المنكسرون؟! وأين المقبلون على الله عز وجل؟! وأين المختبون إلى الله؟! الله جلّ وعلا وهو الغني ينزل إلى سماء الدنيا ويقول: من يستغفرني فأغفر له! ليس الله تعالى بحاجة إلى عباده!! {هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [يونس: ٦٨]، وكما يقول جلّ وعلا: «يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني!! يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم».

ذكر النووي رحمه الله تعالى في كتابه الأذكار: أن أعرابياً وُجِدَ واقفاً عند الكعبة منكسراً لله عز وجل منطرحاً بين يديه، وهو يقول: (اللهم! إنَّ استغفاري مع إصراري على الذنب لوؤم!) لاحظ هذا الأعرابي مع جهله؛ لكن كيف ألهمه الله تعالى حسن الاستغفار! يقول: اللهم إنَّ استغفاري مع إصراري على الذنب لهو نوعٌ من اللؤم، فأنا لنائم؛ إذاً أستغفرك يا رب، وأنا مصرٌّ على ذنبي، (وإن تركي للاستغفار مع علمي بسعة رحمتك لهو عجزٌ) فإن الله تعالى واسع المغفرة، (يا رب: أنا أتبغض إليك بالمعاصي

مع عظيم حاجتي إليك، وأنت تتحبب إليّ بالنعم مع غناك عني، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعدّ تجاوز وعفى، أدخل عظيم جرمي في عظيم رحمتك يا أرحم الراحمين!) هذا التبتل، هذا الاستغفار والصدق، حتى من رجلٍ قد يكون من عامة الناس، لكن الله تعالى ألهمه بصدق إيمانه، وصحة قلبه، وسلامة نفسه: صدق الاستغفار، (اللهم إن استغفاري مع إصراري على الذنب لؤمّ، وإن تركي للاستغفار مع علمي بسعة رحمتك عجز، يا رب أنا أتبغض إليك بالذنوب مع عظيم حاجتي إليك، وأنت تتحبب إليّ بالنعم مع شدة غناك عني، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفى، أدخل عظيم جرمي في عظيم رحمتك، يا أرحم الراحمين!).

ما للعباد عليه حقّ واجبٌ :: كلاً ولا سعيّ لديه ضائعٌ
 إن غُذِّبوا فبعده له أو نُعموا :: فبفضله وهو الكريم الواسعُ
 فأنه تعالى إذا توعد العبد، فقد يعفو عنه، وقد قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ
 الْمَغْفِرَةَ} [النجم: ٣٢]، وإذا وعده فإن الله تعالى لا يخلف الميعاد! ويرهب
 ابن العم والجار صولتي ولا أنتني عن صولة المتهدد وإنني وأوعدته
 أو وعدته لمخلفٍ إيعادي ومنجز موعدي فهذا من كرم الله تعالى وعظيم
 جوده أنه واسع المغفرة، إذا توعد العبد فقد يعفو عنه، وإذا وعده بالخير
 فإنه لا يخلف الميعاد، بل ينجزه لعبده.

* * *

حالات الاستغفار

الاستغفار يكون - أيها الأحبة - في كل حال، ليس الاستغفار خاصة
 بحال المعصية كما يتصور الجاهل، كلا! بل الاستغفار يكون حتى في
 حال الطاعة، ولهذا فإنه عز وجل أمر رسوله والمؤمنين أن يستغفروه
 وهم في حال التلبس بالإحرام، والنسك، والخضوع لله جلّ وعلا،
 فقال: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٩٩].

فإذا أفاض الناس من عرفة مخبتين لله، ضاحين لمن أحرموا له،

خالعين الدنيا كلها، أمرهم الله تعالى بأن يستغفروا الله: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ أَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٩٩]، وهكذا كان النبي ﷺ، كما في حديث ثوبان في صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انصرف من صلاته قال: (أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله) فهو يستغفر الله تعالى عقب الطاعة!! وليس عقب المعصية، لماذا يستغفر العبد عقب الطاعة؟ لأسباب: أولاً: لأن هذه الطاعة التي يقوم بها العبد لا تخلو من تقصير، أو غفلة، أو سهو، أو تفريط، أو شيء لا يحيط به الإنسان، أو أن الشيطان يتسلط على الإنسان فيصرفه عن صلاته، أو يصرفه عن حجه، أو عن عبادته، أو عن صومه، فيقول: "أستغفر الله عما يكون في هذه العبادة من نقص، أو خطأ، أو سهو، أو تقصير"، هذه واحدة.

ثانياً: أن استغفارك عقب الطاعة إشعاراً بأن هذه الطاعة شيء قليل إلى جنب ما يجب لله الجليل جلّ وعلا! فماذا تبلغ طاعتك بالقياس إلى حق الله جلّ وعلا؟! إنها - والله - لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً، خاصة إذا تذكرت أن هذه الطاعة نفسها هي من فضله وامتنانه وإحسانه جلّ وعلا، فحينئذ العبد يستغفر الله، مثل الذي يقول: رب سامحني عن التقصير في أداء شكرك وحقك! ثالثاً: أن العبد قد يداخله نوعٌ من العُجب والاعتزاز بعمله، وهذا العجب قد يحبط العمل، فإذا قال عقب العبادة: "أستغفر الله" معناه أن هذا العبد صاحب قلبٍ عارف بحق الله جلّ وعلا، عارفٍ بتقصيره، معترفٍ بعظيم جرمه، وهذا بإذن الله تعالى يكون وقايةً من كيد الشيطان بإدخال العجب والغرور على الإنسان، فهذا من أسرار استغفار الإنسان عقب الطاعة، وإذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كلها - طاعة لله جلّ وعلا، كما وصفت لكم، من دعوة، إلى عبادة، إلى علم، إلى هجرة، إلى جهاد، إلى غزو، إلى حج، إلى عمرة، إلى قيام، إلى صيام، إلى نسك، إلى صدقة، إلى تعليم، إلى صبر، إلى أخلاق فكان ﷺ، كما وصف الله عز وجلّ وأمره: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [١٦٣] [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

هكذا كان ﷺ، ولما سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها كما في صحيح

مسلم عن خلق النبي ﷺ ، قالت للسائل: هل أنت تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قالت: [كان خلقه ﷺ القرآن] ومع هذا كانت حياته كلها عبادة، ومع هذا فيآخر حياته أنزل الله عليه قوله: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ رَأْسَ غَفْرَةٍ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر: ٣].

كان عمر رضي الله عنه يجمع كبار المهاجرين والأنصار في مجلسه، ويجمع معهم عبد الله بن عباس، فقال له بعض المهاجرين، يا أمير المؤمنين: إنك تأتي معنا ب عبد الله بن عباس، وهو غلام صغير، كلنا لنافي مثل سنه، فقال: إنه فقيه عالم! ثم قال لهم: يا معشر المهاجرين! أرايتم قول الله عز وجل: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } [النصر: ١ - ٣]، ما تقولون في هذه السورة؟ فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ إذا جاء نصر الله والفتح أن يسبحه ويحمده ويستغفره، لا نعلم إلا ذلك، قال: فما تقول يا ابن عباس؟ قال: يا أمير المؤمنين! هذا أجل رسول الله ﷺ ، أخبره به ربه!! قال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم يا ابن عباس!! فعلم الصحابة رضي الله عنهم، لماذا كان عمر يقرب ابن عباس رضي الله عنه!! فكانت هذه السورة إيذاناً بقرب أجل رسول الله ﷺ .

فالمشروع للعبد أن يختم حياته بكثرة الاستغفار وكثرة التوبة إلى الملك الغفار جلّ وعلا، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ في آخر عمره أن يسبح بحمد الله ويستغفره؛ إنه كان تواباً، فكان يسبح بحمد الله ويستغفره في قيامه وركوعه وسجوده وقعوده.

حال الغفلة: الحالة الثالثة: التي يستغفر العبد منها، هي: حال الغفلة، وكلنا خطاءون وكلنا غافلون، فأما الخطايا فحدث ولا حرج، فإن العبد لو نظر في خطاياه: ماذا جنت يده؟ ماذا جنت عيناه؟ ماذا جنى لسانه؟ ماذا جنت أذنه؟ ماذا جنت قدمه؟ ماذا أكل؟ ماذا شرب؟ ماذا أخذ؟ ماذا أعطى؟ ماذا قال؟ ماذا سمع؟ ماذا نظر؟ لوجد أنه في حال نساءل الله تعالى أن يستر علينا! ونقول: اللهم لا تفضحنا في الأرض، ولا يوم العرض، برحمتك يا أرحم الرحمين، فالعبد أحوج ما يكون إلى كثرة الاستغفار.

أما الحالة الثالثة فهي - أيضاً - من الظهور بمكان، وهي حال الغفلة، وما أكثر الغافلين الشاردين عن الله عز وجل، ألم تعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يقول - كما سبق - في المجلس الواحد مائة مرة: أستغفر الله الرسول عليه السلام يقول كما في حديث الأغر المزني وهو في صحيح مسلم يقول: «والله إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة في المجلس الواحد» يعني الرسول عليه الصلاة والسلام يشير إلى أنه يأتي - أحياناً - حالات يصبح في قلبه شيء من السهو، يسهو، وقد يغفل عليه الصلاة والسلام، فيرى أن هذا في حقه تقصير ﷺ ؛ لأن مثله في مقامه، وما أكرمه الله تعالى به، يكون أعظم من تلك الحال، فيستغفر الله تعالى مما يشعر به في قلبه.

وكان عليه الصلاة والسلام لشدة قربه إلى الله جلّ وعلا يحس بأدنى شيء، حتى إنه في الصحيحين: (أن الرسول ﷺ صلى يوماً صلاة الظهر، ثم سلم من ركعتين، ولما سلم قام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، وشبك بين أصابعه) وعادة التشبيك غالباً ما يستخدمها من يكون في قلبه شيء، وفي نفسه ضيق، أو في صدره حرج، ومع ذلك كأنه غضبان، وجد الصحابة في وجه رسول الله ﷺ أثر التغير، فالصحابه رضي الله عنهم هابوا أن يكلموا رسول الله ﷺ أنه سلم من ركعتين، وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، لكن هابوا أن يكلموه، فقام رجلٌ يقال له ذو اليمين، واسمه الخرباق، في يده طول، ويكنى ذو اليمين: (فقال يا رسول الله! قصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: «لا! ما قصرت ولا نسيت»، يظن أنه صلى أربعاً عليه الصلاة والسلام، قال: لا).

بل نسيت يا رسول الله! قال عليه الصلاة والسلام: أكما يقول ذو اليمين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فقام واستقبل القبلة، وصلى بهم، ثم سلم، ثم سجد للسهو عليه الصلاة والسلام).

إذاً لما نسي - مع أنه سهى عليه الصلاة والسلام - بان أثر ترك هاتين الركعتين في وجهه عليه الصلاة والسلام وفي هيئته وفي محياه، فلمح الصحابة في وجه رسول الله ﷺ أثر الغضب

والتغير، أما نحنُ فكثيرٌ منا قد يغفل عن كثير من العبادة، وكثير من الصلاة، وكثير من الذكر، ولكن لا يشعر بذلك!

* * *

[رواية فيها عبرة]

(جاء في بعض روايات بني إسرائيل أن رجلاً قال: يا رب! كم أعصيك ولا تعاقبني - يقول: يا رب أنا أسمع أنه من يعصي الله يعاقب، فيا رب! أنا كم مرة عصيتك ولا عاقبتني!! - فأوحى الله تعالى: يا عبادي! كم عاقبتكم ولا تشعروا!! الغفلة في قلبك عقوبة، ونسيان الذنب عقوبة، وضيق الرزق عقوبة، وفساد الولد عقوبة، وتسليط الآخرين عليك عقوبة، وغلبة الدين عقوبة، وقهر الرجال عقوبة)

(قلت)

وما أكثر العقوبات! لكن أصحاب القلوب الميتة لا يعون ولا يشعرون! ولهذا: (كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء، قال: غفرانك!) يستغفر الله عز وجل، إذا خرج من الخلاء، لماذا؟ قال بعضهم: يستغفر ﷺ من لحظات لم يتح له فيها أن يذكر الله تعالى، مع أنه عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله في كل أحيانه، كما في صحيح البخاري عن عائشة: (كان يذكر الله في كل أحيانه) لكن حال الخلاء لا يذكر الله تعالى فيه؛ لأنه لا يناسب ذكر الله، فإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، كأنه يستغفر من لحظات لم يتح له فيها أن يذكر الله تعالى، وقال آخرون: بل إن قوله ﷺ: غفرانك! إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام (أو أن الإنسان) معترف بالتقصير في شكر نعمة الله، الذي رزقه هذا الطعام والشراب وأسأغه، وجعل الجسم يمتص أفضل ما فيه، ويتخلص مما لا فائدة منه، فيستغفر العبد من التقصير في شكر نعمة الله تعالى، فإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك! وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وسنده صحيح، أن النبي ﷺ قال: (من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له) فهذه كفارة المجلس.

أي مجلس فيه لغط، فيه كلام بدون فائدة، فيه إفاضة في الحديث، فيه فضول، فيه قول لا خير فيه ولا فائدة من ورائه، وضرب بالكلام في كل وادٍ، ففي آخر المجلس تذكر الإنسان، فقال: "سبحانك اللهم وبحمدك،

أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك"، فإن الله تعالى يغفر له، أما إن كان المجلس مجلس ذكر وعلم وعبادة، فإن هذه الكلمة تكون كالطابع تختم عليه، ولا يفتح ولا يكسر إلى يوم القيامة

في حال العبادة

الحالة الأولى: التي يستغفر عندها العبد هي: حال العبادة، فإذا تلبس العبد بالعبادة، أو فرغ من العبادة، أقبل على الاستغفار، يدفع عن نفسه به، مَعْرَةَ التقصير، أو مَعْرَةَ الاغترار.

في حال المعصية

الحالة الثانية: التي يستغفر عقبها العبد هي: حال المعصية، وهذا هو الذي يعرفه كثير من الناس، خاصة من عامتهم، أن الاستغفار لا يكون إلا عن ذنب، فإذا قيل لأحدهم: استغفر الله، قال: وهل أذنبت؟! ونسي: قوله ﷺ: (كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)!

فإن الله عز وجل أمر بالاستغفار حال الذنب، قال تعالى في وصف المتقين: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥]، ويقول الله عز وجل في محكم تنزيله: {قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

ولهذا أمر النبي ﷺ العبد، كلما أذنب أن يقبل على الله ويستغفر، في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنت إذا حدثني أحد من أصحاب محمد ﷺ حديثاً استحلفته، فإذا حلف لي صدقته أي يقول: احلف بالله أنك سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام يقول هذا الكلام، يقول علي رضي الله عنه: وقد حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر!! أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ركعتين، ويقول: اللهم إني أذنبت فاعف لي؛ إلا غفر الله تعالى له!!» والحديث صحيح.

انظر إلى سعة رحمة الله جلَّ وعلا: {إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْعَفْوَ} [النجم: ٣٢]،

وقال: {قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: ٥٣]، وقال جلّ وعلا: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٣٥].

المهم لا ينقطع حبك مع ذي الجلال والإكرام! لا تغفل عن هذا الإله الجليل الكريم الوهاب! تقبل عليه بقلبي منكسر! وتقول: "أستغفر الله" فيمحو عنك ما فَرَطَ من ذنوبك وسيئاتك وتقصيرك! تتوضأ وتصلي ركعتين، وتقبل على الله تعالى بقلبك وبدنك، وتقول: "اللهم إني ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنبي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم اغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"، فيقول الله

عز وجل برحمته، وكرمه، وجوده: (عبدني علم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنوب، قد غفرت لك!!) وأي شيء تريد أعظم من هذا؟! أعظم من أن يتجاوز عن ذنبك، ويحفظ لك حسناتك؟! فإذا جاء يوم القيامة أتتك حسناتك كاملةً موفورة، وعرض الله عز وجل عليك سيئاتك، فقال: (يا عبدني! أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم) ثم تعطي كتاب حسناتك ببمينك، أي شيء تريد بعد هذا؟! وأي فضل أعظم من هذا؟! {إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم: ٣٢].

فوائد الاستغفار:

الصحيح أيها الإخوة: الاستغفار مما ينبغي أن يلزمه الإنسان في كل حال.

وللإستغفار فوائد عظيمة جداً، منها: مغفرة الذنوب، فإن الله تعالى وعد بذلك: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]، وما أكثر الذنوب التي نقترفها، فلنحرقها بالاستغفار ومنها: رفع الدرجات، فإن العبد إذا استغفر الله تعالى رفع درجاته ومنزلته في الجنة ومنها: إزالة الغفلة عن القلوب، وإحداث اليقظة، والإقبال على الله تعالى بسبب الاستغفار ومنها أن الله تعالى يحفظ العبد من الإعجاب بعمله أو الاغترار بما قدم بكثرة الاستغفار ومنها: أن الله تعالى يجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، كما جاء في الحديث - وإن كان فيه ضعف - أن النبي ﷺ

قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

والحديث الآخر - وهو صحيح - حديث ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك» من حفظ الله أن تستغفره من الذنوب والمعاصي.

وفي الحديث الآخر، أن النبي ﷺ قال - كما في سنن ابن ماجه، وسنده جيد كما يقول النووي: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثير» وطوبى: شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي الْقُرْآنِ] [الرعد: ٢٩].

ماذا يضرك يا أخي الحبيب وأنت نائم، أو مضطجع، أو تأكل، أو تشرب، أو راكب في سيارتك، أو تعاني أي عمل من عمل دنياك، أن تعود لسانك أن يكون رطباً بذكر الله تعالى واستغفاره، لا يضرك أبداً.

وأختم هذا المجلس الطيب بسيد الاستغفار: في الصحيح عن شداد بن أوس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: ”اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قاله حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قاله حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة».

(أحبتي في الله)

في الاستغفار - بإذن الله - الفرج من كل هم، والمخرج من كل ضيق، ورزق العبد من حيث لا يحتسب، في الحديث: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٤٧٢٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٦١٨)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، وقال الترمذي: "حسن صحيح غريب"، وصححه ابن حبان (٩٢٧)، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (٥٥٦).

إن الاستغفارَ الحقَّ صدقٌ في العزم على ترك الذنب، والإنابة بالقلوب إلى علام الغيوب. إن الخيرَ كله معلقٌ بصلاح القلوب وقبول الإيمان، وحينئذ يأتى الغفران، {إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال: ٧٠].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، اتقوا الله ربكم، وتوجهوا إليه بقلوبكم، وأحسنوا به الظن. ارجعوا على أنفسكم بالمحاسبة، ومن صدق في اللجوء صحت عنده التوبة. جانبوا أهل الفحش والتفحش، ومجالسة أصحاب الردى، وممارسة السفهاء. احفظوا للناس حقوقهم، {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [هود: ٨٥].

إنها لا تفسد الأحوال ولا تضطرب الأوضاع إلا بطغيان الشهوات واختلاط النيات واختلاف الغير والمداهنات، لا يكون الفساد إلا حين يُترك للناس الحبلى على الغارب، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثون، وللأعراض ينتهكون، ولحدود الله يتجاوزون، من غير وازع ولا رادع، ولقد تقرّر عند أهل العلم بما صحّ من الأخبار عن رسول الله أن منع الزكاة وأكل الحرام وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسباب خاصة في منع القطر من السماء وعدم إجابة الدعاء. إذا كثّر الخبث استحقّ القوم الهلاك، وبكثرة الخبث تُنقص الأرزاق، وتُنزع البركات، وتفسد الأمراض، وتضطرب الأحوال.

إنّ للمعاصي شؤمها، وللذنوب أثرها، فكم أهلكت من أمم، وكم دمّرت من شعوب، {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ} [الأنبياء: ١١].

(أحبتي في الله)

عباد الله، إن من رحمة الله بنا وبكم ومزيد فضله عليكم ما رتب على الاستغفار من عظيم الجزاء وسابغ الفضل والعطاء، فإن كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية والألطف الرّبانية والفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: {وَلَا تَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

[النمل: ٤٦]، وقال عز وجل: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

وإذا كثرت الاستغفار في الأمة وعم أفرادها وصدر عن قلوب موقنة مخلصه دفع الله به عن العباد والبلاد ضروراً من البلاء والنقم وصنوقاً من الرزايا والمحن، كما قال عز وجل: {وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣].

* * *

بعض منافع الاستغفار

- أحبتي في الله -

وإن من آثار الاستغفار أنه سبب لنزول الغيث المدرار وحصول البركة في الأرزاق والثمار وكثرة النسل والنماء، كما قال سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: ١٠ - ١٢].

والمستغفرون يتمتعون ربهم متاعاً حسناً، فيهنئون بحياة طيبة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيداً من فضله وإنعامه، {وَأَن اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَتُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود: ٣].

وفي ملازمة الاستغفار تفريج الكرب والهموم والمخرج من ضائقات الأمور وحصول الرزق من حيث لا يحتسب العبد، ففي الحديث عند الإمام أحمد وأبي داود وابن ماجه: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٤)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٨)، وابن ماجه في الأدب (٣٨١٩) من طريق الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس عند ابن ماجه: "عن أبيه"، وصححه الحاكم (٢٩١/٤)، وتعقبه الذهبي بقوله: "الحكم فيه جهالة"، وهو مخرج في السلسلة الضعيفة (٧٠٥).

فهذه - يا عباد الله - بعض فضائل الاستغفار ومنافعه، جلاها لنا ربنا في كتابه، وأفصح عنها رسوله فيما صح من خبره، تحمل أهل الإيمان وأرباب التقوى على البدار بالتوبة وكثرة الاستغفار، غير أن هذه المنح الإلهية والفضائل الربانية إنما تحصل للمستغفرين الله تعالى حقاً وصدقاً، إذ الاستغفار ليس بأقوال ترددها الألسن وعبارات تكرر بين الحين والآخر فحسب، وإنما الاستغفار الحق ما تواطأ عليه القلب واللسان، وندم صاحبه على ما بدر منه من ذنوب وآثام، وعزم أن لا يعود على اقتراف شيء من ذلك، إذ هذه أركان التوبة النصوح التي أمر الله تعالى بها العباد، ووعد عليها تكفير الخطيئات والفوز بنعيم الجنات، فقال عز شأنه: **رَبَّنَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** **وَيُخَلِّصَ لَكُم مِّنْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** {التحریم: ٨}. قال الإمام القرطبي رحمه الله قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، وليس التلفظ بمجرد اللسان، فمن استغفر بلسانه وقلبه مصرّاً على معصيته فاستغفاره يحتاج إلى استغفار^(١)، وقال بعض العلماء: "من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه".

فاتقوا الله عباد الله، وتذكروا أن في حوادث الزمان وفجائع الأيام ما يحمل أولي الألباب والنهي وذوي الإيمان والتقوى على الاعتبار والادّكار والعودة إلى الله الواحد القهار والاعتصام بهدي القرآن واقتفاء هدي سيد الأنام والإقبال على طاعة الله ومرضاته وكثرة التوبة والاستغفار، فإن ذلك من أعظم الأسباب لحلول الأمن في البلاد وإضفاء الطمأنينة في نفوس العباد، وهو وحده الكفيل بحفظ أمة الإسلام في كافة بلادها ومختلف مجتمعاتها من كل ما تخشى وتحاذر.

فأقبلوا على ربكم وأطيعوه، واستغفروه وتوبوا إليه، فقد قال عز شأنه: **{قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَاسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** ﴿٥٣﴾ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَنْ**

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢١٠).

يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٤].
(أحبتي في الله)

تذكروا أنه لن يخرج أحد من هذه الحياة الدنيا حتى يرى الحسن من عمله والسيئ منه، وإنما الأعمال بالخواتيم، وما الليل والنهار إلا مطيتان، فأحسنوا السير فيهما إلى الآخرة، ولتحذروا التسويف والتفريط، ولا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، فإن الآجال مغيبة، والموت يأتي بغتة، فلا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل؛ فإن الله يمهل ولا يهمل، وإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.

وإن من نفاذ البصيرة وصدق الإيمان كثرة التوبة والاستغفار على الدوام، فذلك هدي رسول الهدى مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول أبو هريرة: ما رأيت أكثر استغفاراً من رسول الله (١).

وإن مما صح عنه عليه الصلاة والسلام من جوامع أدعية الاستغفار ومما وجه الأمة إليه ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استعطت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقناً فمات من يومه قبل أن يمسي - فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (٢)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف» رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه (٣)، وفي الصحيحين أنه كان يكثر أن يقول في ركوعه

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٣٩)، والراوي عن أبي هريرة مبهم.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة (١٥١٧)، والترمذي في الدعوات (٣٥٧٧) من طريق بلال بن يسار بن زيد عن أبيه عن جده، وقال الترمذي: "غريب لا نعرفه إلا

وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»^(١)، وروى مسلم في صحيحه أن من آخر ما كان يقول في صلاته قبل التسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(٢).

فاتقوا الله عباد الله، وبادروا بالتوبة، ولازموا الاستغفار، وتعرضوا لنفحات ربكم في الجهر والإسرار. حتى يزيذك الله من الرزق الحلال الطيب.

وصلوا وسلموا على سيد المستغفرين وخاتم النبيين...

* * *

إحقاق عن الاستغفار

- أحبتي في الله -

والاستغفار: هو محو الذنب، وإزالة أثره ووقاية شره، وستره. والاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمنه، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر، عند الإطلاق والإفراد، وأما عند الاقتران أي اقتران أحدهما بالآخر كقوله تعالى: {وَأَن تَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِيَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود: ٣]، فيكون الاستغفار هنا طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

قلت:

ومن المهم هنا أن يُعلم أن التوبة والاستغفار عبادة تَعَبَّدْنَا الله تعالى بها باستمرار وعلى الدوام، سواء أوقعت ذنوب أو معاصي أم لم تقع،

من هذا الوجه "، وبلال وأبوه كل منهما مقبول كما في التقريب. وأخرجه الحاكم (٦٩٢/١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وصححه.

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٨١٧)، ومسلم في الصلاة (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لكن إن حصلت - وما أكثرها! - إذ الإنسان خطاء، فيجب الإسراع إلى التوبة والندم وكثرة الاستغفار. وهذه العبادة لها أهمية بالغة يصعب استقصاء فضلها وفوائدها هنا لكن مما لا شك فيه، فيها رضى الرب عز وجل وقرب منه، وبعد عن الشيطان، واستجلاب الخيرات وحصول البركات، ودفع للشرور والمكروهات، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ناطقة حافلة بهذا، ومن ذلك قول هود - عليه السلام - لقومه: {وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود: ٥٢].

نكر القرطبي: أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار، وأن عادًا كانوا أهل بساتين وزروع وعمارة فحبس عنهم المطر فقال لهم هود إن آمنتم وأكثرتم الاستغفار يحيي الله بلادكم ويرزقكم، الأموال والأولاد، ويزيدكم قوة إلى قوتكم (١).

وقال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} (١٠) {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} (١١) {وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمُ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمُ أَنْهَارًا} [نوح: ١٠ - ١٢].
(أحبتى في الله)

إن الذي يتدبر هذه الآيات يتبين له:

- أن التوبة والطاعة وكثرة الاستغفار سبب في بسط الرزق وحصول المال والبركة فيه، وهكذا أرشد نوح - عليه السلام - قومه إلى الطاعة وكثرة الاستغفار، أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها (٢).

قال ابن كثير: "يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} (١٠) [نوح: ١٠] (٣). وقال

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥٣/٩ - ٥٤) بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٢٨٩/١٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٤٧/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٤٦/٤).

الشعبي: خرج عمر - رضي الله عنه - يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا. فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاذيح السماء التي يستنزل بها المطر. ثم قرأ: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح: ١٠]، أخرجه كل من عبدالرزاق (١)، وابن أبي شيبة (٢)، وابن أبي حاتم (٣)، والبيهقي (٤). والشعبي وإن أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم إلا أنه لم يسمع من عمر - رضي الله عنه - كما ذكر غير واحد منهم ابن أبي حاتم (٥)، وقد قال العجلي: لا يكاد الشعبي يرسل إلا صحيحًا، وقال الآجري عن أبي داود: مرسل الشعبي أحب إلي من مرسل النخعي (٦).

وقد روى الأثر عن عمر غير واحد - أيضًا - منهم عطاء عند عبدالرزاق (٧)، وابن المسيب عند البيهقي (٨)، وأبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي عن أبيه عند البيهقي (٩) أيضًا، وفيه قال عبيد السعدي ألا يتكلم لما خرج له، ولا أعلم أن الاستسقاء هو الاستغفار فمطرنا.

وقد جاء الأثر أيضًا مسندًا مختصرًا عند ابن أبي شيبة قال: ثنا وكيع عن عيسى بن حفص بن عاصم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه قال خرجنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نستسقي فما زاد على الاستسقاء (١٠).

(١) المصنف لعبدالرزاق (٨٧/٣) رقم (٤٩٠٢)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/١٨).

(٢) المصنف (٤٧٤/٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٠٤٥/٦).

(٤) السنن الكبرى (٣٥١/٣ - ٣٥٢)، ومعرفة السنن والآثار (١٧٤/٥).

(٥) المراسيل (ص ١٦٠).

(٦) تهذيب التهذيب (٦٧/٥ - ٦٨)، ولم أقف عليه في (سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود)، فانه أعلم.

(٧) المصنف (٨٦/٣ - ٨٧).

(٨) معرفة السنن والآثار (١٧٣/٥ - ١٧٤).

(٩) السنن الكبرى (٣٥١/٣).

(١٠) المصنف (٤٧٤/٢).

قلت: وإسناده متصل ورجاله كلهم ثقات بلا استثناء. وبهذا يصح الأثر عن عمر - رضي الله عنه - والله أعلم.

وقد بين الرسول ﷺ سيد الاستغفار كما جاء عند البخاري (١) فقال: "سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنتن خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت..."

* * *

(١) الصحيح، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار (٩٧/١١ - ٩٨).

الحكمة من استغفار النبي ﷺ

- أحبتي في الله

وقد جاء عند البخاري ^(١) أنه ﷺ قال: " والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ". وعند مسلم ^(٢) قال: قال ﷺ: " إنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " وفي رواية " يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ". كل هذا مع أنه ﷺ قد غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّا قَتَلْنَاكَ فَتَمَامِينَا} ^(٣) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [الفتح: ١ - ٢]، وقد تقدم في الشكر أنه كان ﷺ يقوم حتى تتفطر قدماه. فلما سئل قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

وواضح مما سبق أن التوبة والاستغفار سبب لكل خير دنيوي وأخروي.

ومن جملة ذلك حصول الخير والبركة في المال، ودفع كل سوء ومكروه. وقد وجد كذلك نصوص صريحة في هذا.

منها: ما رواه أبو داود ^(٣)، وابن ماجه ^(٤)، والنسائي ^(٥)، وأحمد ^(٦)، والطبراني ^(٧)، والحاكم ^(٨)، والبيهقي ^(٩) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من لزم الاستغفار - وفي لفظ (أكثر) - جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب». وصححه الحاكم، لكن تعقبه الذهبي قائلاً: " أحد رواته فيه جهالة "، وقال

(١) الصحيح، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم واللييلة (١٠١/١١).

(٢) الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٠٧٥/٤ - ٢٠٧٦).

(٣) السنن، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (٨٥/٢).

(٤) السنن، كتاب الأدب، باب الاستغفار (١٢٥٤/٢).

(٥) عمل اليوم واللييلة، حديث رقم (٤٥٦).

(٦) المسند (٢٨٤/١).

(٧) المعجم الكبير (٣٤٢/١٠) حديث رقم (١٠٦٦٥).

(٨) المستدرک (٢٦٢/٤).

(٩) السنن الكبرى (٣٥١/٣).

المنذري: " في إسناده الحَكَم بن مصعب، ولا يحتج به " (١)، كما ضعفه الألباني بسبب الحكم بن مصعب أيضاً (٢).

قلت: وقد رمز السيوطي له بالصحة (٣)، وقال صاحب التاج: " سنده صحيح " (٤)، كما قال أحمد شاكر - أيضاً - إسناده صحيح، وقد ذكر الاختلاف في الحكم بن مصعب ورجح تعديله، كما رد على المنذري فقال " وهذا غلو منه شديد " (٥).

وقد روى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجذوبة، فقال له الحسن: " استغفر الله "، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: " استغفر الله "، وأتاه آخر فشكا إليه جفاف بساتينه، فقال له: " استغفر الله "، وأتاه آخر فقال له: " ادع الله أن يرزقني ابناً "، فقال له: " استغفر الله ". فقلنا له: " أذاك رجال يشكون إليك أبواباً، ويسألونك أنواعاً، فأمرتهم كلهم بالاستغفار "، فقال: " ما قلت من ذات نفسي في ذلك شيئاً، إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى إخباراً من نبيه نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: ١٠ - ١٢].

من أنواع الاستغفار

- من كتاب جامع العلوم والحكم -

وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ، قال: «سَيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما

(١) مختصر سنن أبي داود (١٥٢/٢).

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٧٠٥).

(٣) الجامع الصغير (١٦٦/٢).

(٤) التاج الجامع للأصول (١٥٠/٥).

(٥) المسند، حديث رقم (٢٢٣٤).

صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ» خرَّجه البخاري (١).

وفي "الصحيحين" (٢) عن عبد الله بن عمرو أنَّ أبا بكرٍ الصديق - رضي الله عنه - قال:

يا رسولَ الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللهمَّ إِنِّي ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إِنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيمُ».

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبدُ: «أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه». وقد روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّ من قاله، غُفِرَ له وإن كان فرّاً من الزَّحف؛ خرَّجه أبو داود والترمذي (٣).

وفي كتاب "اليوم والليلة" (٤) للنسائي، عن خُباب بن الأرتِّ، قال: قلت يا رسول الله، كيف نستغفر؟ قال: «قل: اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا وتُب علينا، إِنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرحيمُ»، وفيه عن أبي هريرة، قال: ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ (٥).

وفي "السنن الأربعة" (٦) عن ابن عمر، قال: إن كُنَّا لَنَعُدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة يقول: «ربِّ اغفر لي وتُب عليّ، إِنَّكَ أنتَ

(١) في "صحيحه" ٨٣/٨ (٦٣٠٦) و٨٨/٨ (٦٣٢٣).

(٢) صحيح البخاري ٢١١/١ (٨٣٤)، وصحيح مسلم ٧٤/٨ (٢٧٠٥) (٤٨).

(٣) (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧) من حديث بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جده، به مرفوعاً، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه—، وبلال وأبوه مجهولان، وزيد جد بلال لا يعرف له إلا هذا الحديث.

(٤) برقم (٤٦١)، وهو في "السنن الكبرى" (١٠٢٩٥)، وعنه أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٣٧٢)، وهذا حديث معلول بالإرسال، والمرسل هو الصواب كما ذكر ذلك المزي في "تحفة الأشراف" ٤٦/٣ (٣٥٢١).

(٥) أخرجه: عبد بن حميد (١٤٦٥)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٢٨٨) وفي "عمل اليوم والليلة"، له (٤٥٤)، وفي إسناده مقال.

(٦) أخرجه: أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في "الكبرى"، له (١٠٢٩٢) وفي "عمل اليوم والليلة"، له (٤٥٨)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

التَّوَابُ الْغُفُورُ».

وفي " صحيح البخاري " ^(١) عن أبي هريرة، عن النَّبِيِّ ﷺ ، قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». وفي " صحيح مسلم " ^(٢) عن الأغر المزني، عن النَّبِيِّ ﷺ ، قال: «إنَّه لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفرُ الله في اليوم مئة مرة». - انتهى من كتاب جامع العلوم والحكم لأبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

من صيغ الاستغفار

- صِيغُ الْإِسْتِغْفَارِ:

٦ - وَرَدَ الْإِسْتِغْفَارُ بِصِيغٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَالْمُخْتَارُ مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ^(٣).
٧ - وَمِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. ^(٤) وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ وَلَيْسَ الْحَصْرُ كَمَا

(١) ٨٣/٨ (٦٣٠٧).

(٢) ٧٢/٨ (٢٧٠٢) (٤١).

(٣) تفسير القرطبي ٤ / ٤٠، والأذكار ٧١، ٣٥٩ ط الحلبي، ومدارج السالكين ١ / ٢٢١ ط نصار، وفتاوى ابن تيمية ١٠ / ٢٤٩، وإتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٥ / ٦٠، والكلم الطيب والعمل الصالح لابن القيم ص ٢٢ ط الرياض. وحديث شداد بن أوس أخرجه البخاري (فتح الباري ١١ / ٩٧ ط السلفية).

(٤) حديث " أستغفر الله الذي.... " أخرجه أبو داود والترمذي مرفوعا من حديث زيد مولى النبي ﷺ بلفظ " أنه سمع النبي ﷺ يقول: من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

- أَنَّ بَعْضَ الْأَوْقَاتِ وَبَعْضَ الْعِبَادَاتِ تَخْتَصُّ بِصِيغِ مَأْثُورَةٍ تَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهَا وَيَنْبَغِي التَّقَيُّدُ بِالْفَافِظِهَا، وَمَوْطِنُ بَيَانِهَا غَالِبًا كَتَبُ السَّنَةِ وَالْأَذْكَارِ وَالْأَدَابِ، فِي أَبْوَابِ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.
- وَإِذَا كَانَتْ صِيغَةُ الْإِسْتِغْفَارِ السَّابِقَةِ مَطْلُوبَةً فَإِنَّ بَعْضَ صِيغِهِ مِنْهَى عَنْهَا،

مرقاة المفاتيح ٢ / ٦٣٤ ط المكتبة الإسلامية، والزرقاني على الموطأ ٢ / ٣٤ ط الاستقامة، والفتاوى الكبرى لابن حجر ١ / ١٤٩ ط عبد الحميد أحمد حنفي، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤٥٢ ط دار الكتب العلمية.

- فَقِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيُعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ
- " أخرجه البخاري (فتح الباري ١١ / ١٣٩ ط السلفية).

- اسْتَغْفَارُ النَّبِيِّ ﷺ :

- اسْتَغْفَارُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } [محمد: ١٩].
- وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُفَسِّرُونَ وَجُوهًا عَدِيدَةً فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ مِنْهَا: أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ مَا كَانَ مِنْ سَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ ذَنْبٍ، وَإِنَّمَا كَانَ لِتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ، وَرَأْيِ السُّبُكِيِّ: أَنَّ اسْتَغْفَارَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَهُوَ: تَشْرِيفُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ، لِأَنَّهُ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.

- من كتاب الفتوحات الربانية ٧ / ٢٦٩، والزرقاني على خليل ١ / ٧٧ ط دار الفكر، والفواكه الدواني ٢ / ٤٣٢، ومرقاة المفاتيح ٣ / ٦٠، وفتاوى ابن تيمية ١٥ / ٥٧، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣ / ٤٦٤.

الِاسْتِغْفَارُ بَعْدَ الْوُضُوءِ:

١٠ - يُسَنُّ الِاسْتِغْفَارُ ضِمْنَ الذِّكْرِ الْوَارِدِ عِنْدَ اِتِّمَامِ الْوُضُوءِ ^(١) رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَائِعٍ، فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ^(٢).
وَقَدْ وَرَدَتْ صِيغٌ أُخْرَى تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفَارَ عَقِبَ الْاِنْتِهَاءِ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَثْنَاءَهُ يَذْكُرُهَا الْفُقَهَاءُ فِي سُنَنِ الْوُضُوءِ.

الِاسْتِغْفَارُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ:

١١ - يُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ، الِاسْتِغْفَارُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ ^(٣)، لِمَا وَرَدَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّم، وَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّم، وَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ ^(٤).
وَالْوَارِدُ فِي كُتُبِ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ: اللَّهُمَّ

(١) ابن عابدين ١ / ٨٧ ط بولاق، وحاشية البنانى على عبد الباقي ١ / ٧٣ ط دار الفكر، والفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية ٢ / ٣١٧، ومدارج السالكين ١ / ١٧٦.

(٢) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط مسلم. قال ابن حجر الهيتمي: إنه ضعيف وإن قال الحاكم إنه صحيح. رواه سفيان الثوري عن أبي هاشم فرعه. وأخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ مقارب، ورواته رواه الصحيح، وصوب النسائي وقفه على أبي سعيد الخدري (الفتوحات الربانية ٢ / ٢٠ نشر المكتبة الإسلامية، ومجمع الزوائد ١ / ٢٣٩ نشر.

(٣) شرح ميارة الصغير ٢ / ١٣٧ ط الحلبي، ومنح الجليل ١ / ٥٦ ط ليبيا، والجمل ١ / ٤٥٣، والمغني لابن قدامة ١ / ٤٥٥ ط الرياض، والأذكار النووية ٢٥ ط البارودي ودار الفلاح، وكشاف القناع ١ / ٣٠١.

(٤) حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ أخرجه ابن ماجه والترمذي وحسنه لكثرة طرقه (تحفة الأحوذى ٢ / ٢٥٣ - ٢٥٥ نشر المكتبة السلفية، وسنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١ / ٢٥٣ ط عيسى الحلبي).

اَفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَعِنْدَ خُرُوجِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ (١)
الِاسْتِغْفَارُ فِي الصَّلَاةِ:

أَوَّلًا - الِاسْتِغْفَارُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ:

١٢ - جَاءَ الِاسْتِغْفَارُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي دُعَاءِ
الِافْتِتَاحِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ الشَّافِعِيُّ مُطْلَقًا، وَالْحَنَفِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ فِي
صَلَاةِ اللَّيْلِ، (٢) مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا
أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣).
وَيُكْرَهُ الِافْتِتَاحُ فِي الْمَكْتُوبَةِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ (٤).

وَمَحَلُ الِاسْتِغْفَارِ فِي دُعَاءِ الِافْتِتَاحِ يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ فِي سُنَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ
فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ.

ثَانِيًا: الِاسْتِغْفَارُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ:

١٣ - يُسَنُّ الدُّعَاءُ بِالْمَغْفِرَةِ فِي الرُّكُوعِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ. رَوَتْ
عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ
وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي (٥) يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، أَيْ
يُحَقِّقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ رَأْسَ غَفْرَةٍ } [النصر: ٣]، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
إِلَّا أَنَّ الشَّافِعِيَّةَ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لِلْمُنْفَرِدِ، وَلِإِمَامٍ قَوْمٍ مَحْضُورِينَ رَضُوا
بِالنَّطْوِيلِ. وَلَا يَأْتِي بِغَيْرِ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، غَيْرَ

(١) مراقي الفلاح ص ٢١٥، ٢١٦ ط بولاق. أخرج مسلم من حديث أبي أسيد مرفوعاً " إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك " (صحيح مسلم ١ / ٤٩٤ ط عيسى الحلبي).

(٢) المجموع ٣ / ٣١٥ ط المنيرية، والمغني لابن قدامة ١ / ٤٧٤ ط الرياض، والأذكار ص ٤٣، ٤٤، وفتاوى ابن تيمية ١٠ / ٢٤٩، والكلم الطيب والعمل الصالح لابن القيم ص ٢٢٠ ط الرياض.

(٣) حديث " اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً..... " أخرجه البخاري (فتح الباري ٢ / ٣١٧ ط السلفية).

(٤) الكافي لابن عبد البر ١ / ٢٠٦ ط الرياض.

(٥) حديث عائشة أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ١ / ١٩٠ ط دار إحياء التراث العربي ١٣٨١ هـ).

أَنَّ الْحَنَفِيَّةَ يُجِيزُونَ الْإِسْتِغْفَارَ عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ (١).

- أسأل الله أن يجعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب (آمين).

* * *

(١) الزرقاني على خليل ١ / ٢١٧، وابن عابدين ١ / ٣٤٠ والجمل على المنهج ١ / ٣٦٤ ط دار إحياء التراث العربي، والزوائد في فقه الإمام أحمد ١ / ١٢٠ ط السلفية.

«من مفاتيح الرزق السعي في الكسب أخذًا بالأسباب» (أحبتي في الله)

إن مما لا شك فيه أن الحصول على المال يحتاج إلى سعي، واتخاذ الأسباب الجالبة للرزق، والبركة فيه، وقد وجه الشارع العباد إلى العمل، وعدم التواكل أخذًا بالأسباب، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، ولم يرض الإسلام للإنسان المسلم أن يكون عالة على غيره، واقعا في نل السؤال والحاجة إلى الناس.

ونصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة مليئة بالتوجيهات بهذا الخصوص، فمن ذلك قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠]. أي انتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من رزق الله^(١).

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]. أي فساغفروا حيث شيء من أقطارها وترددوا في أرجائها وأطرافها وأقاليمها وفجاجها في أنواع المكاسب والتجارات، والسعي هنا لا ينافي التوكل حالكم كحال الطير لها غدو ورواح لطلب الرزق مع توكلها على خالقها^(٢). ونحو هذا المعنى ف

قوله تعالى: {وَأَخْرَجُوا مِنْ الْأَرْضِ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [المزمل: ٢٠]. ومن السنة المشرفة أن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده» أخرجه البخاري^(٣) وآخرون. وقد سئل رسول الله ﷺ أي الكسب أطيب أو أفضل فقال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور».

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٥/١٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١١/٤) بتصرف.

(٣) الصحيح، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (٣٠٢/٤).

أخرجه بهذا اللفظ كل من أحمد ^(١)، والبزار ^(٢)، والطبراني في (الأوسط ^(٣))، والحاكم ^(٤) من حديث رافع ابن خديج، وقال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن وائل بن داود إلا المسعودي" وبنحو هذا قال البزار عقبه، وممن أخرجه أيضا الحاكم ^(٥) من حديث سعيد بن عمير عن عمه (البراء بن عازب) بنحوه، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووائل بن داود وابنه بكر ثقتان وقد ذكر يحيى بن معين أن عم سعيد بن عمير البراء بن عازب وإذا اختلف الثوري وشريك فالحكم للثوري". أهـ. ووافقه على ذلك الذهبي.

وحصول الرزق، والبركة فيه وإن كان واضحا من النصوص السابقة إذ إن السعي أو الكسب سبب في حصول الخيرات والبركات إلا أن ثمة أموراً لابد من مراعاتها ليتم استجلاب البركة والنماء من الكسب وإلا لربما يشوب المرء رزقه وماله بشيء من الحرام فتذهب هذه البركة أدراج الرياح.

... ومن هذه الأمور التي لابد من مراعاتها وهي التي يستجلب النماء والبركة بسببها بإذن الله تعالى:

١ - أن يكون الكسب مباحاً حلالاً لا يدخله الحرام مهما قلَّ أو دقَّ:

وذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، والحرام خبيث ارتكب بسببه المعصية، فلا يبارك الله فيه بل يمحى الرزق، ويمنع تجدد وصوله، وقد جاء عند مسلم ^(٦) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» وفيه: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام،

(١) المسند (١٤١/٤).

(٢) المسند (كشف الأستار عن زوائد البزار) (٨٣/٢).

(٣) المعجم الأوسط (٤٤٦/٨) رقم (٧٩١٤).

(٤) المستدرك (١٠/٢).

(٥) المستدرك (١٠/٢).

(٦) الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٧٠٣/٢).

ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنيّ يستجاب لذلك؟». وقد حذّر النبي ﷺ من فتنة المال، وعدم توخي الحلال والتحري في الكسب كما جاء عند البخاري ^(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام».

٢ - الصدق والأمانة:

ومما يستجلب به البركة في المال، الصدق والأمانة في التعامل، فقد روى البخاري ^(٢) حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «البَيَّعان بالخيار ما لم يتفرقا - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

(يقول الشيخ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي في كتابة نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

ولما كان السعي في طلب الرزق ملهياً عن الذكر، بين أنه أعظم السعي في المعاش وأن من غفل عنه لم ينجح له مقصد وإن تحايل له بكل الحيل وغير ذلك فقال: {وَأَذْكُرُوا اللَّهَ} [الجمعة: ١٠] أي الذي بيده كل شيء ولا شيء لغيره فإنه لا رخصة في ترك ذكره أصلاً.

ولما كان العبد مطلوباً بالعبادة في كل حال فإنه مجبول على النسيان، فمهما فتر عن نفسه استولت عليها الغفلة فمرنت على البطالة فهلكت قال:

(١) الصحيح، كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال (٢٩٦/٤).
... قلت: والممارسات المحرمة القاضية بذهاب بركة المال وزواله كثيرة لا مجال لذكرها هنا، منها: الربا، والاحتكار، والحلف الكاذب، وجميع البيوع المحرمة، ونحو هذا، والله أعلم.

(٢) الصحيح، كتاب البيوع، باب إذا بَيَّن البيعان، ولم يكتما ونصحا (٣٠٩/٤).
قال الحافظ ابن حجر: " قوله صدقا، أي من جانب البائع في البيع ومن جانب المشتري في الوفاء، وقوله بَيَّنَّا: أي لما في الثمن والمثمن من عيب فهو من جانبيهما وكذا نقصه. قال: وفي الحديث حصول البركة لهما إن حصل منهما الشرط، وهو الصدق والتبيين، ومحققا إن وجد ضدهما وهو الكذب والكتم. وفي الحديث أن الدنيا لا يتم حصولها إلا بالعمل الصالح وأن شؤم المعاصي يذهب بخيري الدنيا والآخرة " (فتح الباري (٣١١/٤)).

{كثيراً} [الجمعة: ١٠]، أي: بحث لا تغفلوا عنه بقلوبكم أصلاً ولا بالسنتكم حتى عند الدخول إلى الخلاء وعند أول الجماع وعند الإنزال، واستثنى من اللساني وقت التلبس بالقذر كالكون في قضاء الحاجة.

ولما كان مراد الإنسان من جميع تصرفاته الفوز بمراداته قال معللاً لهذا الأمر: {لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ} [الجمعة: ١٠]، أي: لتكونوا عند الناظر لكم والمطلع عليكم من أمثالكم ممن يجهل العواقب على رجاء من أن تظفروا بجميع مطلوباتكم، فإن الأمور كلها بيد من تكثر من ذكره، وهو عالم بمن يستحق الفلاح فيسعه به وبمن عمل رياء ونحوه فيخيبه، فإذا امتثلتم أمره كان جديراً بتتوبلكم ما تريدون، وإن نسيتموه كنتم جديرين بأن يكلكم إلى أنفسكم فتهلكوا.

ولما كان التقدير مما ينطق به نص الخطاب: هذه أوامرنا الشريفة وتقديساتنا العظيمة وتفضلاتنا الكريمة العظيمة، فما لهم إذا نودي لها توانى بعضهم في الإقبال إليها، وكان قلبه متوجهاً نحو البيع ونحوه من الأمور الدنيوية عاكفاً عليها ساعياً بجهده إليها فخالف قوله أنه أسلم لرب العالمين فعله هذا، عطف عليه قوله: {وَإِذَا رَأَوْا} [الجمعة: ١١] أي: بعد الوصول إلى موطنها المريح ومحلها الفسيح الشرح المريح، والاشتغال بأنها العالي {تَجَرَّةً} [الجمعة: ١١]، أي: حمولاً هي موضع للتجارة.

ولما ذكر ما من شأنه إقامة المعاش أتبعه ما هو أنزل منه وهو ما أقل شأنه البطالة التي لا ينجح إليها ذو قدر ولا يلقي لها باله فقال: {أَوْ هَوًّا} [الجمعة: ١١]، أي: ما يلهي عن كل نافع.

ولما كان مطلق الانفضاض قبيحاً لأنه لا يكون إلا تقرباً على حال سيئ، فض الفم والطلع: كسرهما، فكيف إذا كانت علتة قبيحة، قال تعالى معبراً به: {أَنْفَضُوا} أي نفروا متفرقين من العجلة.

ولما كان سبب نزول الآية أنه اكن أصاب الناس جوع وجهد، فقد دحية الكلبي رحمه الله تعالى بغير تحمل الميرة، وكان في عرفهم أن يدخلوا في مثل ذلك بالطبل والمعازف والصياح، وكان قصد بعض المنفضين العير،

وبعضهم ما قارنها من اللهو.
(انتهى من كتاب نظم الدرر).

* * *

طلب الرزق والتوكل

المجيب د. عبدالله بن عمر السحيباني

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

التصنيف الفهرسة/ الرقائق والأنكار/ التوكل

التاريخ ١٤٢٣/٣/٢٤

السؤال

الإلحاح في طلب الرزق وزيادة الدخل الشخصي للمسلم، هل ينافي التوكل والرضا بالقضاء والقدر؟

الجواب

إن السعي في طلب الرزق والحرص عليه، وفعل الأسباب الموصلة إليه لا ينافي القدر؛ لأن الله - تعالى - قدر الأقدار، وأمر بالأسباب وكل ميسر لما خلق له، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠]، وقال - سبحانه -: {فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]، وقال - سبحانه -: {وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ فِى الزَّادِ الْثَقْوَى} [البقرة: ١٩٧]، وهذه آيات صريحة في الأمر بطلب الرزق والكسب والتجارة المباحة، والاستغناء عن المخلوقين، مع عدم نسيان ذكر الله وما عنده من الأجر العظيم والنعيم المقيم.

وجاء في الحديث الصحيح أنه قيل للنبي ﷺ: «أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون فيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف؟» لما قيل له: أفلا نتكل على الكتاب؟ قال: «لا اعملوا فكل ميسر - لما خلق له» البخاري (٤٩٤٩) مسلم (٢٦٤٧).

قال شيخ الإسلام: وجماع هذا أن الله خلق الأمور بأسباب، فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع" (انظر

قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل، تحقيق الشيخ علي الشبل، وهي مفيدة في هذا الباب).

لكن الذي ينبغي أن يعلمه السائل أن الإلحاح في طلب الرزق أو الحرص الزائد والشره مما يذم عليه المسلم، وربما أفسد دينه جاء في الحديث الصحيح: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" الترمذي (٢٣٧٦) أحمد (١٥٧٨٤).

من أبرز هذه الأسباب الجالبة للبركة في الرزق بشكل عام:

أ - تقوى الله عز وجل بفعل الطاعات، وتجنب المعاصي والمحرمات.

ب - حسن التوكل على الخالق، والانقطاع إليه دون غيره، مع ملازمة الذكر، والشكر، والدعاء والاستغفار.

ج - السعي في طلب الرزق واستجلاب البركة فيه، مع توخي الحلال والابتعاد عن الحرام بجميع صورته وأشكاله.

د - بذل الأموال، والقيام بالواجبات المتعلقة به من عبادات، وصدقات، وصلة أرحام، بسخاوة نفس وجود وبذل للمعروف.

هـ - الاقتصاد في المعيشة، مع حسن التدبير، والابتعاد عن الترف والتبذير.

٦ - إن عدم اتباع الشرع، أو الإخلال بشئ من هذه الأسباب يؤدي إلى زوال البركة، ومحق الرزق، وحرمان الإنسان من تجدد النعم واستقرارها.

عدم السعي على الرزق من أسباب تخلف المسلمين

(أحبتي في الله)

الفرق بين الفقر والتخلف في المفهوم الإسلامي:

١ - المفهوم الإسلامي للفقر:

الإسلام يرى أن الفقر هو: «عدم القدرة على الحصول على الاحتياجات الضرورية لعدم توفر أسباب العيش الكريم الرغد، وهو ما يعني العوز والتعرض للجوع والحرمان والإملاق».

ومن ثم فجهود التنمية وعمارة الأرض في الإسلام تهدف إلى رفع مستوى المعيشة وتحسينه بانتظام بما يكفل توفير حد الكفاية لجميع الأفراد، أي إغناء كل فرد بحيث يكون قادراً على الإنفاق على نفسه وعلى من يعول؛ وذلك تمييزاً له عن حد الكفاف الذي يعد الحد الأدنى للمعيشة.

ولا يقتصر توفير حد الكفاية على ضرورات الحياة اليومية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، بل يمتد إلى ما يلزم لتهيئة حياة كريمة للفرد مثل توفير الرعاية الطبية والتعليم الأساسي وسبل الزواج، أي كل ما يجعل الفرد يلحق بالمستوى المعيشي السائد في المجتمع.

والفقير في المفهوم الإسلامي هو من لا يملك قوت يوم وليلة لقوله ﷺ : «من سأل وعنده ما يغنيه؛ فإنما يستكثر من النار»، فقليل: وما حد الغنى يا رسول الله؟ قال: «شَبْعُ يوم وليلة» رواه أبو داود.

٢ - المفهوم الإسلامي للتخلف الاقتصادي:

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية وأفعال الصحابة ليدرك أن الإسلام ينظر إلى التخلف على أنه تراخ عن العمل، وتراخ في السعي في طلب الرزق وعمارة الأرض بشكل فعال؛ فإن الله قد أعطى للإنسان العديد من الثروات والنعم التي لا تحصى، وطالبه بعمارة الأرض. يقول تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١]، وإن الإسلام يساعد الفقراء من مال الصدقة، ولا يساعد المتخلفين أو القاعدين عن العمل بغير عذر.

وهكذا فرق الإسلام بين الفقر والتخلف، واعتبر أن للفقير حقاً معلوماً في الزكاة وموارد بيت المال.

وعمارة الأرض - وهي مطلب شرعي - غير مقصورة على البعد المادي المتمثل في إنتاج ما من المنتجات، بل يشمل أبعاداً أخرى

اجتماعية وثقافية وأخلاقية؛ حيث تهدف عمارة الأرض إلى إقامة مجتمع المتقين الذي يتمتع بمستوى معيشي طيب يصل إليه بزيادة الإنتاج إلى أقصى حد مع استشعار تقوى الله في ذلك. فإذا أصيب المجتمع بمصيبة التخلف؛ فإن هناك ثلاثة معايير يمكن النظر إليها على أنها تفرقة بين الدول المتخلفة والدول المتقدمة؛ وذلك في المفهوم الإسلامي:

١ - وجود الموارد الطبيعية الملائمة.

٢ - وجود الجهد البشري الفعال الذي يتعامل مع تلك الموارد أو يحيلها إلى منتجات نافعة.

٣ - وجود القيم التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع الموارد، ومن ثم دوام عملية الإشباع المتزايد للحاجات.

إذا وجدت تلك العناصر مجتمعة فإن المجتمع يعتبر مجتمعاً متقدماً، أو بالتعبير القرآني: مجتمعاً يحيا حياة طيبة تجمع بين رغد العيش واطمئنان النفس. يقول تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً} [النحل: ٩٧].

وتعد عمارة الأرض من أهم الأعمال الصالحة.

وإذا تخلف عنصر من العناصر السابقة فَقَدَ المجتمع طيب الحياة؛ فإذا خلا من الموارد الطبيعية المناسبة فعليه أن يبذل قصارى جهده في تعويضها وإلا كان فقيراً وليس متخلفاً ما دامت بقية العناصر قائمة.

وإذا فَقَدَ الجهد البشري في عمليات الإنتاج مع توفر الموارد فإنه في تلك الحالة يعتبر متخلفاً؛ إذ كان في إمكانه التقدم ولم يفعله، وإذا فقد مجموعة القيم الصالحة التي تضمن دوام التلاحم ونمو الإنتاج وعدالة توزيعه فإن ضخامة إنتاجه الاقتصادي لن تستمر طويلاً، وإذا كان متقدماً فهو تقدم وقتي سرعان ما يزول. يقول تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢].

ومما سبق نخلص إلى أن الإسلام ربط المشكلة بالإنسان وبما هو

عليه من قيم، أي ربط المشكلة بجنورها الثقافية والاجتماعية العميقة مع عدم تجاهل عنصر المال ولا عنصر النشاط الاقتصادي للإنسان، أي العنصر المادي في التقدم.

- إذن فلا بد من السعي - إخوة الإسلام - في طلب الرزق حتى نواكب جميع حضارات الدنيا بدلا من تضييع الوقت في مالا ينفع وطلب الحاجات من الناس حتى لا يصيب أمة الإسلام الفقر والعوز أكثر من ذلك والله أعلى وأعلم
(انتهى)

* * *

من مفاتيح الرزق - البكور في طلبه -

(أحبتي في الله)

وهذا المفتاح ثابت في الشرع، متعارف عليه عند الخاصة والعامة، مجرب بالحس والمشاهدة فلعن الله سبحانه وتعالى جعل في هذا الوقت من اليوم (الصباح) من البركة، والتيسير ما لم يجعل في باقي الأوقات فيما يتعلق بالسعي وطلب الأرزاق وقضاء الحاجات، لأنه وقت النشاط، والقوة.

وهنا تتجلى رحمة الله تبارك وتعالى في جعل مدة ما بين صلاتي الفجر وصلاة الظهر أطول مدة بين صلاتين من صلوات النهار وذلك حتى يتمكن الإنسان من السعي والذهاب لقضاء حاجاته والله أعلم.

(أحبتي في الله)

والاجتهاد بالطاعة أول النهار - كما بينا -؛ لأن الله يقسم الأرزاق أول النهار، ولأن أول النهار وقت مبارك، ويكون فيه الإنسان أقوى ما يكون وأنشط.

أخرج الترمذي وغيره بسنده من حديث صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أول النهار، وكان صخر رجلا تاجرا، وكان إذا بعث

تجارة بعثهم أول النهار، فأثرى وكثر ماله ^(١). قال أبو عيسى: حديث صخر الغامدي: حديث حسن ^(٢).

وأخرج الطبراني بسنده من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الغداة كان في ذمة الله حتى يمسي».

دعاء النبي ﷺ مستجاب، وما دعا به النبي ﷺ دليل على فضله وأهميته، بل وكان يفعل البكور في الأمور المهمة، وخاصة بعث البعوث، فكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار؛ لتحقيق البركة بالنصر والظفر والغنيمة ودحر الأعداء. وفهم ذلك الصحابة رضي الله عنهم فافتدوا برسول الله ﷺ، وخاصة صخر الغامدي، أثرى من بركة البكور. ثم إن صلاة الفجر مع الجماعة سبب لدخول المصلي في حفظ الله وتوقيفه حتى المساء، ومن يكون في ذمة الله ييسر الله له أموره، ومنها حصوله على الرزق والفضل من الله الرزاق العليم.

ومما يؤيد بركة الطلب والسعي في الصباح الباكر، هو أن الرسول ﷺ قال: " اللهم بارك لأمتي في بكورها "، قال: " وكان - يعني الرسول ﷺ - إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار، وكان صخر - راوي الحديث - رجلاً تاجراً، وكان إذا بعث تجارة بعثهم أول النهار فأثرى وكثر ماله ". أخرجه أبو داود ^(٣)، والترمذي ^(٤)، وابن ماجه ^(٥)، وأحمد ^(٦)، والطبراني ^(٧)، وابن حبان ^(٨) وغيرهم من حديث صخر ابن وداعة،

(١) سنن الترمذي البيوع (١٢١٢)، سنن أبو داود الجهاد (٢٦٠٦)، سنن ابن ماجه

التجارات (٢٢٣٦)، مسند أحمد بن حنبل (٤٣٢/٣)، سنن الدارمي السير (٢٤٣٥).

(٢) جامع الترمذي ٣/١٢١٢، وأخرجه أبو داود برقم ٢٦٠٦، وأحمد ٣/٤١٦، ٤١٧.

(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر (٣٥/٣).

(٤) الجامع، كتاب البيوع، باب التذكير في التجارة (٤٠٢/٤).

(٥) السنن، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور (٧٥٢/٢).

(٦) المسند (١٥٤/١، ١٥٥، ١٥٦)، (٤١٦/٣، ٤١٧، ٤٣٣)، (٣٨٤/٤، ٣٩٠، ٣٩١).

(٧) المعجم الأوسط، الأحاديث ذات الأرقام (١٠٠٠، ٢٩٩٩، ٣٣٣٦، ٤٠٨٢٦، ٥٧٤٧، ٦٨٧٩).

(٨) الصحيح، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) (٦٢/١١ - ٦٣) حديثاً (٤٧٥٤ - ٤٧٥٥).

وصحابة آخرين، هذا لفظ الترمذي، والباقون بمثله وبعضهم باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقال الترمذي عقبه: "حسن"، وصححه ابن حبان، كما صححه - أيضاً - الألباني^(١)، وقال المنذري: قد رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «باكروا طلب الرزق، فإن الغدو بركة ونجاح». (قلت):

وهذا الحديث عند كل من الطبراني^(٢) والبزار^(٣). وهذا لفظ البزار، ومثله الطبراني إلا أنه زاد لفظ: "والحوائج" بعد لفظ "الرزق".

وقال البزار عقبه: "هذا غريب لم نسمعه إلا من إبراهيم بن سعيد، وإسماعيل بن قيس صالح الحديث".

لكن قال الحافظ ابن حجر: "بل ضعفه جماعة"^(٤). وقال الهيثمي بعد أن عزاه للبزار والطبراني في (الأوسط): "فيه إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد ابن ثابت وهو ضعيف"^(٥).

... وأيضاً هناك أحاديث كثيرة بهذا المعنى، وفي النهي عن نوم الصبحة وأنه يمنع الرزق لكن كلها ضعيفة ومنكرة، وحديث عائشة المتقدم أمثلها، ويشهد له حديث صخر السابق، كما يشهد له ما ذكر بعده وبخاصة أنه في الفضائل وليس في الحلال والحرام، والله أعلم.

وقد بَوَّب البخاري بالحديث المعلق كان النبي ﷺ: «إذا لم يقاتل أول

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٩٤/٢)، وصحيح سنن ابن ماجه (٢١/٢).

(٢) الطبراني في الأوسط حديث (٧٢٤٦).

(٣) مسند البزار (كشف الأستار) رقم (١٢٤٧).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد (٥٠٣/١).

(٥) مجمع الزوائد (٦١/٤).

النهار آخر القتال حتى تزول الشمس» ^(١)، وذكره البخاري أيضًا ^(٢) بآتم من هذا معلقًا من حديث النعمان بن مقرن قال: شهدت القتال مع رسول الله ﷺ: " كان إذا لم يقاتل في أول النهار، انتظر حتى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات "، والحديث وصله كل من أبي داود ^(٣)، والترمذي ^(٤)، وأحمد ^(٥) وفيه عندهم لفظ: " حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر "، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد ذكر العلماء من أسباب وجود البركة في البكور، فقال الحافظ ابن حجر: " خصَّ البكور بالبركة لكونه وقت النشاط " ^(٦)..

وقال العجلوني: " العقل بكرة النهار يكون أكمل منه وأحسن تصرفًا منه في آخره، ومن ثم ينبغي التذكير لطلب العلم ونحوه من المهمات " ^(٧)..

* * *

من مفاتيح الرزق، القناعة والعفاف، والإجمال في الطلب (أحبتي في الله)

قد تقدم في مقدمة الكتاب الإشارة إلى أن الله تعالى بمنه وكرمه تكفل بأرزاق العباد بل وجميع النوايا، وأن الرزق مقسوم، وأنه يطلب صاحبه كما يطلبه أجله، وهنا سيقتصر على بيان أن القناعة والتعفف، والإجمال في الطلب، وعدم إشراف النفس للمال، وسؤال الناس كل ذلك سبب في حصول البركة في المال، وقد امتدح الله - سبحانه وتعالى - المتعففين من المساكين إذ قال: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا

(١) الصحيح، كتاب الجهاد، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل (١٢٠/٦).

(٢) الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (٢٥٨/٦).

(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء (٤٩/٣).

(٤) الجامع، كتاب السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال (٢٣٨/٥).

(٥) المسند (٤٤٥/٥).

(٦) فتح الباري (١١٤/٦).

(٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ص ١٨٧).

طَائِعُونَ ضَرَبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا [البقرة: ٢٧٣].

أي متعففون في لباسهم، وفي حالهم، ومقالهم، بحيث يحسبهم من لا
يعرفهم أغنياء، وبخاصة أنهم لا يسألون أحدًا ولا يلحون في المسألة لنلا
يكلفوا الناس ما لا يحتاجون، ولذا فلا يفتن الناس إليهم لجهلهم بحال فقرهم.
والآية وإن كان فيها مدح لهؤلاء الفقراء، ففيها أيضًا من جانب آخر
حض وتنبية وتذكير بهؤلاء وأمثالهم حتى لا يغفل عنهم ويظن أن
المساكين فقط هم الذين يسألون ويعطون، والله أعلم^(١).

* * *

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٣٤ - ٤٣٥)